سلاح الخطيب والداعية
من قطوف الخطب
الدانية



اسم الكتاب: سلاح الخطيب والداعية من قطوف الخطب الدانية
تأليف الأخ الفاضل: أبي عبد الرحمن موفق بن أحمد بن علي الفاضلي
رقم الإيداع: ٩١٠٢/٩٨٧٩.
نوع الطباعة: لون واحد.
عدد الصفحات: ٥٢٠ .
القياس: ١٧X٢٤.

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف: الأستاذ / عادل المسلماني

٢٠١٩



١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢
dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة زمار
جوال : ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

سلاح الخطيب والداعية

من

قطوف الخطب الدانية

تأليف

أبي عبد الرحمن موفق بن أحمد بن علي الفاضلي

تقديم الشيخ الفاضل

أبي عبد الله محمد بن أحمد العنسي الذماري






بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشيخ الفاضل محمد العنسي
حفظه الله

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسَنَة هي وظيفة الأنبياء والمرسلين ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم على علمٍ وبصيرة.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل : ١٢٥].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

والداعية الناجح في دعوته بإذن الله هو من يدعو كما دعا الأنبياء وأتباعهم بداية بتوحيد الله وتحقيق عبادته قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء : ٢٥].

وفي الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن قال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ** » وفي رواية للبخاري: «**إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى**».

ومن طرق الدعوة إلى الله عز وجل نشر العلم النافع تعليما وتدريسا وكتابة وتصنيفا وخطابة. وكذلك المحاضرات والندوات العلمية والاجتماعات السلفية.

ومن باب المشاركة في هذا العمل العظيم فقد جمع أخونا المفضال الداعية إلى الله عَزَّوَجَلَّ على بصيرة موفق بن أحمد بن علي الفاضلي جملة من الخطب العلمية النافعة بإذن الله ، التي نرجو أن ينفع الله بها ، وهي خطب في مواضيع متعددة تكون بإذن الله عونا لمن يحب أن يحضر خطبة في موضوع معين. فجزاه الله خير الجزاء ، ونفع به وثبتنا وإياه على السُّنَّة حتى نلقاه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ومما امتازت به هذه الخطب أنها تضمنت نصحا وتوجيها وإرشادا وصراحة في الحق .وهذا نادر، وهذا شأن أهل السُّنَّة والجماعة المتمسكين بالكتاب والسُّنَّة على فهم السلف الصالح .أنهم ناصحون محبون الخير للمسلمين .

فالله أسأل أن ينفع بها الإسلام والمسلمين ، وأن يجنبنا وإياه الفتن ومنها الحزبية المساخة إنه على كل شيء قدير وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه/

أبو عبد الله

محمد بن أحمد العنسي الذماري

حَفِظَهُ اللهُ

المقدمة

الحمد لله المحمود بكل لسان المعبود في كل زمان ، الذي لا يخلو من علمه مكان ولا يشغله شأن عن شأن ، جل عن الأشباه والأنداد وتنزه عن الصاحبة والأولاد ، ونفذ حكمه في جميع البلاد ، لا تتوهمه القلوب بالتصوير ، ولا تدركه القلوب بالتفكير ، ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى :١١].

أما بعد:

فهذا كتاب بعنوان : «**سلاح الخطيب والداعية من قطوف الخطب الدانية**» استعنت بالله فجمعت فيه ما يسر الله من المواعظ وبعض الأحكام والمسائل مدعمة بالأدلة من الكتاب والسُّنَّة وأقوال السلف وأهل العلم من المفسرين للآيات والشراح للأحاديث وجعلته عاما في مواضيع متعددة يخطب منه الخطباء على مدار السَنَة ، دون التقيد بالمناسبات، ولي كتاب آخر في الخطب جعلته خاصًا بالمناسبات والأحدَاث التي تحصل في السَنة، كالأعياد والآيات الكونية والعبادات المؤقتة في مواسم معينة يخطب منه الخطباء حسب الأحدَاث والمناسبات.

وقد التزمت في كتابي هذا وجميع كتبي بحمد الله ألا أذكر فيه إلا ما صح عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ معتمدًا في تخريجها على تحقيقات العلامة الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ أو ما رواه الشيخان الجليلان البخاري ومسلم أو أحدهما سائلًا المولى جَلَّوَعَلَا

أن ينفع بهذا العمل الإسلام والمسلمين وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأن يرزقنا الثبات على الدين حتى الممات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

١ محرم ١٤٣٩ هـ



توجيهات مهمة للخطيب والداعية

نوجه أنفسنا أولاً، وإخواننا الخطباء والدعاة إلى الله ثانيًا: بالإخلاص إلى الله في دعوتهم فإن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم فإنه تعالى يجعل البركة والقبول في العمل الخالص وأما ما كان فيه شرك أورياء فإنه يكون هباء منثورا ويذهب أدراج الرياح ، ولا ينفع صاحبة في الدنيا ولا في الآخرة.

هذا وإن مقام الدعوة إلى الله مقام عظيم ، إذ يقول ربنا في كتابه الكريم: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فُصِّلَت:٣٣] ، وهذا في حق من دعا بإخلاص، وعلم وبصيرة، وعمل بما يدعو إليه ولم يخالف أقواله بأفعاله.

ومما أنصح به إخواني الخطباء والدعاة إلى الله تعالى أن يستخدموا الأساليب النافعة في خطاباتهم ومحاضراتهم وأن يتحروا الأساليب التي تجذب انتباه السامعين، وأن يجتنبوا الأساليب المملة والكلمات المنفرة للسامعين، فعلى الخطيب والداعية أن يستخدم الكلمات الجذابة والبليغة المؤثرة بدون تكلف، مقتبسًا ذلك من كلام الله وكلام رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وكلام السلف، وأن يكون كلامه فصيحا واضحا غير ملتبس على السامع ، وليحذر من التلكؤ بالكلام وليطرح الخجل جانبا لأنه يضعف معنوية الخطيب ومن ثَمَّ يضعف الخطبة، بينما الشجاعة وقوة الشخصية تجعل الخطبة قوية ومؤثرة وتورث إيجابيات في الخطابة، وعلى الخطيب أن يراجع الموضوع مسبقا ويحضره بإتقان

سواء خطب عن ظهر قلب أو من الكتاب مباشرة، فعليه أن يراجعه مرتين أو أكثر ، وأن يتقن الآيات والأحاديث أكثر ويولي اهتمامه بالشكل لا سيما الآيات والأحاديث وأن يدعم خطبته بالأدلة من الكتاب والسُّنَّة وأن تكون خطبته مشتملة على ذكر الله بعيدا عن السياسات المصادمة للسياسة الشرعية إذ أن الذكر فيها ركن من أركان الخطبة لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ﴾ [الجمعة:٩] ، وأن يركز في خطبته على الأهم فالأهم وأن يقصر خطبته ولا يطيلها فإن رأى أنها ستطول فليقتصر على الأهم منها ويحذف ما كان مكررا إلا إذا كان في التكرار فائدة لتوكيد المعنى وتقريره.

هذه هي سُنَّة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ثبت في صحيح مسلم عن عمار ابن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**».

ومعنى مئنة من فقهة :أي علامة من فقهه.

ومن الأساليب النافعة في الخطابة رفع الصوت والحماس فذلك له وقع في النفوس واستمالة للقلوب وقرع للأسماع، فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا– ، قَالَ: « **كَانَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ»** .

وليستعن الخطيب بالله فلا يعجز ولا يتكاسل ولا يفتر عن الخطابة فلها شأن عظيم وهي جهاد في سبيل الله ، إذ أن الجهاد جهادان جهاد بالسيف والسنان وجهاد بالحجة والبرهان، وأول من يقوم في هذا الجانب هو الخطيب

والداعية فلا يلتفت إلى المخذلين والمثبطين فهم كثر -لا كثرهم الله- وعلى رأسهم إبليس وجنوده من الجن والإنس.

وعلى الخطيب أن يتعلم الخطابة بكثرة الممارسة، وأن يتقن خطبته ، ويتعلم النحو فإنه أمر مهم في باب الخطابة ، فإن النحو للكلام كالملح للطعام.

ونحث الخطيب والداعية على لزوم السُّنَّة في خطبه ودعوته وأن يبتعد عن البدع والمحدثات في الخطابة والدعوة ليجعل الله البركة والقبول في دعوته ويفوز بالأجر والمثوبة والسعادة في الدارين بإذن الله .

وكما قال الإمام الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«التمسك بالسُّنَّة نجاة» . اهـ .

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ :« السُّنَّة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » .اهـ.

وهكذا السُّنَّة من تمسك بها نجا ومن تركها هلك وغوى، وذلك في جميع جوانبها الاعتقادية والقولية والعملية ومنها الدعوية.

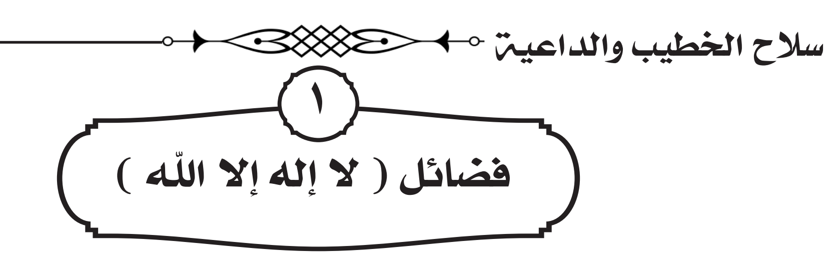
وليحذر الخطيب والداعية من مداهنة العوام، ومخالفة السُّنَّة في سبيل إرضائهم على حساب السُّنَّة، إلا ما كان موافقًا للسُّنَّة فيتحفهم به ، وعليه أن يحبب إليهم السُّنَّة وأن يقدمها لهم بالحكمة والموعظة الحسَنَة والطرق النافعة، والمعاني الجذابة، وينتقي العبارات الموجزة، والجمل الواضحة، والألفاظ العذبة والكلمات الجميلة والأساليب البليغة، وأن يتجنب التكلف كما يفعل بعض الخطباء فليس ذلك من السُّنَّة والبركة من الله ، قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ :«نهينا عن التكلف» ذكره البخاري في صحيحه.

ونحيل الخطيب والداعية لمعرفة مزيد من التوجيهات والإرشادات إلى كتاب شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري -حَفِظَهُ ٱللَّهُ- في كتابه القيم

«أحكام الجمعة وبدعها» فإنه حذر فيه من كثير من البدع والمحدثات.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه ، وأن يثبتنا وإياكم على الدعوة إلى الله ، وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص والقبول في القول والعمل، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين.





الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس:

يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٨].

يتبين من هذه الآية الكريمة وأمثالها ، عظمة هذه الكلمة وأهميتها ألا وهي كلمة التوحيد:(لا إله إلا الله).

فهي كلمة التوحيد، وهي كلمة الإخلاص، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي الكلمة الطيبة، وهي الكلمة الباقية، وهي الميثاق، وهي القول الصواب، وهي الحجة، وهي أفضل الذكر، وهي أعظم حسَنَة، وهي خير الكلام ، و كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وهي أول أركان الإسلام ودعائمه العظام لا إله إلا الله.

فمن عظمتها أن الله شهد بها لنفسه وأشهد ملائكته وأشهد أولي العلم.

قال المفسر البغوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في تفسيره: مَعْنَى شَهَادَةِ الله: الْإِخْبَارُ وَالْإِعْلَامُ، وَمَعْنَى شَهَادَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ: الإقرار. اهـ

فهي أول أركان الإسلام الذي لا يقبل من أحد عملًا إلا بالإقرار به والعمل بذلك، بل ويجب على كل من أراد الدخول في الإسلام أن يتلفظ بها ويعمل بمقتضاها.

فقد ثبت في الصحيحين عن ابن عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ** » .

فمن لم يقلْها ولم يقربها وجب قتاله، لأنه ليس مسلمًا لما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى الله** » .

وفي رواية لمسلم عن جابر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

-صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، فَإِذَا قَالُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ** ».

فمن قالها وعرف معناها وعمل بمقتضاها وأتى بشروطها واجتنب نواقضها عصم دمه وماله وعرضه، لا يجوز سفك دمه ولا أخذ ماله ولا هتك عرضه ويعامل معاملة المسلمين وسريرته إلى الله تعالى، لأنه موحد في الظاهر وباطنه إلى الله إلا بحقها.

قال ابن رجب- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : فما عصم الدم والمال فهو حقيقة التوحيد. اهـ

وقال المناوي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في معنى: (إلا بحقها) أي: الدماء والأموال يعني هي معصومة إلا عن حق يجب فيها كقود وردة وحد وترك صلاة وزكاة بتأويل باطل وحق آدمي ... وحقها ما تبعها من الأفعال والأقوال الواجبة التي لا يتم الإسلام إلا بها ، فالمتلفظ بكلمة التوحيد يطالب بهذه الفروض بعد. اهـ

فمن قَتل من أهلها نفسا معصومة بغير حق فإنه يُقتل ومن ارتد يقتل ومن زنى وهو محصن يرجم ، هذا من حقها.

وقال ابن عثيمين- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : إلا بحقها أي: بالحقوق التابعة لها لأن لا إله إلا الله ليست مجرد لفظ يقوله الإنسان بلسانه بل لها شروط ولها أمور لا بد أن تتم. اهـ

(وحسابه على الله) قال ابن بطال- رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: محاسبة العباد على سرائرهم وخفيان اعتقادهم إلى الله دون خلقه. اهـ

ولهذا نفعت المنافقين في الدنيا حينما قالوها ظاهرا فعصمت دماؤهم في الدنيا لكنها لم تنفعهم في الآخرة لأنهم لم يعتقدوها باطنا فهم في الدرك الأسفل من النار كما أخبر ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم.

ولهذا أنكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حينما قتل رجلاً بعد أن قال لا إله إلا الله .

فقد ثبت في الصحيحين عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: فَقَالَ لِي: «**يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَالَ: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ.

وفي رواية: قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: «**أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لاَ؟**» الحديث.

يتبين من هذا الحديث فضل هذه الكلمة العظيمة وأن دماء المسلمين الموحدين معصومة ولا يجوز لمسلم أن يقتل مسلمًا يقول: لا إله إلا الله ويعمل بها.

فانظر إلى هذا الرجل قالها في اللحظات الأخيرة من حياته ، فظن أسامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قالها لينجو من القتل فاجتهد فقتله فأنكر عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا يفهم من حديث أسامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن كل من قال لا إله إلا الله ولم يعمل بها بأنه موحد معصوم الدم، فلابد من العمل بها واجتناب نواقضها، فمن قالها وظهر منه ارتكاب بعض نواقضها من الشركيات أو الكفريات فإنها لا تنفعه ولو قالها ولا تعصم دمه، فإن أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قاتل مانعي الزكاة وهم يقولون لا إله إلا الله .

ففي الصحيحين عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا تُوُفِّىَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ قَالَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ لأَبِى بَكْرٍ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فَمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّى مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ** ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِى عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِى بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.

ولا يجوز الطعن في أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو تنقصه بسبب أنه قتل ذلك الرجل بعد ما قالها ، فإنه اجتهد في قتله ظانا أنه لايزال مشركًا وأنه ما قالها إلا لينجو من القتل كما تقدم من كلامه ، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عذره لتأوله ولم يحمله مسؤولية ذلك الفعل.

وأما قول أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم». يعني: لو أنه حصل منه ذلك قبل الإسلام كان أهون ثم يسلم لأن الإسلام يمحو ما قبله وهذا من صدقه وندمه على هذا الخطأ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ- عند قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا»: «ومعناه أنك إنما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه فأنكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان وقال: أفلا شققت عن قلبه لتنظر هل قالها القلب واعتقدها وكانت فيه أم لم تكن فيه، بل جرت على اللسان فحسب يعنى وأنت لست

بقادر على هذا فاقتصر على اللسان فحسب يعنى ولا تطلب غيره، وقوله : «حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ» معناه لم يكن تقدم إسلامى بل ابتدأت الآن الإسلام ليمحو عنى ما تقدم وقال هذا الكلام من عظم ما وقع فيه .. » . اهـ

وقال الخطابي: لعل أسامة تأول قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ﴾ [غافر:٥٨] ، ولذلك عذره النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فلم يلزمه دية ولا غيرها. اهـ

فمن قال هذه الكلمة العظيمة باطنًا وظاهرًا نفعته في الدنيا والآخرة ومن قالها ظاهرا فقط ولم يظهر منه ما يناقضها وجب الكف عنه في الدنيا لكنها لا تنفعه يوم القيامة ولذلك لم تنفع فرعون -لعنه الله- حينما قالها عند الموت، لعدم إقراره بها في حياته، وكحال المنافقين إذ قالوها ظاهرًا فعصمت دماءهم فكف عنهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فلم يعاملهم معاملة المشركين .

عباد الله :

من أجل لا إله إلا الله خلق الله المخلوقات وبسط الأرض ورفع السماوات وهي الحق الذي أوجبه الله تعالى لنفسه على عباده ووعد من حققه بمزيد من فضله وثوابه والنجاة من سخطه وعقابه فقد جاء في الصحيحين عن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا أَخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى عِبَادِهِ**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**حَقُّ الله عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**» قُلْتُ:

لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى الله إِذَا فَعَلُوهُ**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**حَقُّ العِبَادِ عَلَى الله أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ**»، وَفِي رواية: «**أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

فهذا وعد من الله أن من وحد الله ولم يشرك به شيئًا؛ لا شرك أكبر ولا أصغر أن لا يعذبه، وأن يغفر ذنوبه.

فقد جاء عند الترمذي من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**».

فلو لقي العبد ربه بملء الأرض أو ما يقارب ملأها ذنوبا لكنه موحد لغفر الله له تلك الذنوب كلها بفضله وكرمه، لكن هناك شرط ثقيل إلا على من يسره الله عليه، وهو أن يلقى الله موحدًا لا يشرك به شيئًا.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله النجدي: شرط ثقيل بحصول المغفرة وهو السلامة من الشرك كثيره وقليله صغيره وكبيره، ولا يسلم من ذلك إلا من سلمه الله وذلك هو القلب السليم كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ اهـ.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٨٤- ١١٦].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يغفرجميع الذنوب لمن شاء إلا الشرك، لكن ليحذر العبد من الذنوب ولا يستهين بها فإنها قد توبقه ويدخل بسببها جهنم ثم يخرج منها بتوحيده، فإن سائر الذنوب ما خلا الشرك تحت المشيئة إن شاء الله غفرها وإن شاء أخذ بها.

قال ابن رجب-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: جَاءَ مَعَ التَّوْحِيدِ بِقُرَابِ الْأَرْضِ - وَهُوَ مِلْؤُهَا أَوْ مَا يُقَارِبُ مِلأَهَا - خَطَايَا، لَقِيَهُ اللهُ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً، لَكِنْ هَذَا مَعَ مَشِيئَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَخَذَهُ بِذُنُوبِهِ، ثُمَّ كَانَ عَاقِبَتُهُ أَنْ لَا يُخَلَّدَ فِي النَّارِ، بَلْ يَخْرُجُ مِنْهَا، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ. قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُوَحِّدُ لَا يُلْقَى فِي النَّارِ كَمَا يُلْقَى الْكُفَّارُ، وَلَا يَلْقَى فِيهَا مَا يَلْقَى الْكُفَّارُ، وَلَا يَبْقَى فِيهَا كَمَا يَبْقَى الْكُفَّارُ، فَإِنْ كَمُلَ تَوْحِيدُ الْعَبْدِ وَإِخْلَاصُهُ للهِ فِيهِ، وَقَامَ بِشُرُوطِهِ كُلِّهَا بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ، أَوْ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ، أَوْجَبَ ذَلِكَ مَغْفِرَةَ مَا سَلَفَ مِنَ الذُّنُوبِ كُلِّهَا، وَمَنَعَهُ مِنْ دُخُولِ النَّارِ بِالْكُلِّيَّةِ. اهـ

ومن فضل هذه الكلمة العظيمة أنها أثقل شيء في الميزان فلا يقابلها شيء من الذنوب ولو كثرت كما هو حال صاحب البطاقة الذي خلصه الله بكلمة التوحيد وقد نشرت له السجلات الكثيرة والمليئة بالذنوب فنجا وغفر الله له.

فقد روى الترمذي وصححه الألباني وغيره ؛ عن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو ابْنِ العَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:« **إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟، فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**».

فانظر كيف رجحت البطاقة على جميع تلك السجلات وغفر له بفضل توحيده وإخلاصه وتحقيقه لشروط لا إله إلا الله فأحرقت جميع تلك الذنوب.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: فهناك فرق بين هذا الإنسان الذي قال لا إله إلا الله بعلم ويقين وإقرار وصدق ومحبة فيغفر له بذلك ما كان من ذنوبه ومن قالها بغير توفير شروطها والله أعلم من يستحق الجنة ممن قال لا إله إلا الله ومن يستحق النار من أهل لا إله إلا الله ... فمن قالها مخلصًا من قلبه مقرًا موقنًا بها محبًا لها ولأهلها محبًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ راضيًا بدينه مخلصًا في عمله هذا تنفعه هذه الكلمة يوم القيامة حتى وإن أتى بمعاصٍ كثيرة. اهـ

فلا بد من تعلم شروط هذه الكلمة العظيمة والعمل بها والاهتمام بها لمن أراد النجاة في الدنيا والآخرة، نسأل الله أن يثبتنا عليها حتى الممات.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد ابن عبد الله الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فكلمة التوحيد(لا إله إلا الله) هي الكلمة ا لتي اتفقت فيها جميع الشرائع ودعت إليها جميع الرسل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾[الأنبياء:٢٥] .

وكلمة التوحيد لو وزنت بالسماوات والأرض لرجحت عليهن، فكما أنها أثقل حسَنَة في الميزان يوم القيامة فهي أثقل شيء في الدنيا.

فقد روى النسائي والحاكم وصححه الألباني عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «أوصى نوح ابنه فقال لابنه: أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين ، أما اللتان أوصيك بهما ، فيستبشر الله بهما وصالح خلقه ، وهما يكثران الولوج على الله أوصيك بلا إله إلا الله ، فإن السموات والأرض لو كانتا حلقة قصمتهما ، ولو كانتا في كفة وزنتهما وأوصيك بسبحان الله وبحمده ، فإنهما صلاة الخلق ، وبهما يرزق الخلق ، ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ وأما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله منهما وصالح خلقه ، أنهاك عن الشرك والكِبر».

ولابد فيها من الإخلاص فإن الإخلاص يدفع العبد للعمل لله وحسن العبادة والعمل بكل ما يقربه إلى الله من فرائض ونوافل، فمن قالها مخلصًا فيها عاملا بمقتضاها مجتنبا لما يخدشها من الشرك ، أو يخل بها من الذنوب

والمعاصي ، فإنها تصعد إلى السماء وتفتح لها أبواب السماوات السبع ، حتى تصل إلى العرش.

فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَا قَالَ عَبْدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ قَطُّ مُخْلِصًا، إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**».

حتى تفضي إلى العرش أي: حتى تصل إلى العرش.

قال المناوي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: تفتح السماوات بقوله بتلك الشهادة فلا تزال صاعدة حتى تنتهي إلى العرش مدة تجنب قائلها الكبائر من الذنوب. اهـ

فاحذر أيها المؤمن الموحد من الذنوب فإن الكبائر تخدش بتوحيد العبد، وقد تسبب لصاحبها دخول جهنم إلى ما شاء الله ثم يخرجه الله بتوحيده، فلا يظن أن العاصي من الموحدين في مأمن من العذاب بل هو تحت مشيئة الله قد يغفرالله له وقد يعذبه ثم تنفعه لا إله إلا الله فيخرج من العذاب لما ثبت في صحيح البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**» .

فمن خطر الذنوب أن العبد قد يدخل النار بذنوبه وهو من أهل التوحيد لكن بفضل لا إله إلا الله يخرج من النار بتوحيده :«فمن قالها نفعته يوما من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه رواه الطبراني عن رفاعة الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما من لقي الله موحدا مخلصًا بعيدا عن الكبائر متعبدا لله فإن الله حرم جسده

على النار فقد جاء في الصحيحين عن عتبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « **فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّاَ اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ** » فيستلزم من ذلك أن يتعبدلله بمقتضاها.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: يقولها بإخلاص لأن الإخلاص يدفعه إلى العمل لله رب العالمين وحسن العبادة فهذا يستحق الجنة . اهـ

وقال ابن عثيمين: ومعلوم أن الذي يقول هذا طالبا وجه ا لله فسيعمل كل شيء يقربه إلى الله من فروض ونوافل. اهـ

ومن فضائل لا إله إلا الله أن من ختم له بها فمات عليها دخل الجنة. فعند الإمام مسلم من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**» .

وعند أبي داود عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال:قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كان آخرُ كلامِهِ لا إله إلا اللهُ دخل الجنة**» .

فمن مات عليها وهو يعلم أنه لا إله إلا الله علما يقينيا منافيا للجهل يعلم معناها بأنه لا معبود بحق إلا الله وغيرالله إن عبد فقد عبد بباطل، ويعلم بمعناها نفيا وإثباتا (نفيًا) أي :ينفي جميع العبادات عما سوى الله وينفي جميع المعبودات سوى الله (وإثباتًا) أي :يثبت جميع العبادات لله القولية والفعلية والقلبية وإثبات إله واحد وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذاهو معنى لا إله إلا الله ، الذي جهل معناها كثير من الناس إلا من وفقه الله ، فمن مات وهو على علم بهذا المعنى دخل الجنة .

ومن نطق بها عند موته وكان آخر كلامه لا إله إلا الله فهذه علامة على حُسن الخاتمة ولهذا حث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تلقين الميت هذه الكلمة «**لَقِّنُوا**

مَوْتَاكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» رواه مسلم عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال أهل العلم: وذلك بأن يذكره بها تذكيرا ويذكرها عنده لا يأمره أمرًا حتى لا يتضجر وهو في تلك الحالة فإن قالها ثم تكلم بعدها كلامًا آخر ذكره مرة أخرى حرصًا على أن يكون آخر كلامه بها.

ومن لم يعمل بشروطها فيخشى عليه أن يفتتن عنها عند الموت ويحال بينه وبينها ؛ حتى وإن كان يقولها في حال صحته.

فما أعظمها من كلمة ، فعودوا أنفسكم عليها ورطبوا ألسنتكم بذكرها واملأوا قلوبكم بحبها فإنها أفضل الذكر وأعلى شعب الإيمان ، كما عند الإمام ابن ماجهْ عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ للهِ» .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله**» الحديث.

ومن أكثر منها ملئت صحيفة حسناته منها ، وكفرت سيئاته بها، وعصم من الشيطان بسببها، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: « **مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْم مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جاءَ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ** » .

ومن كان من أهلها حلت له الشفاعة يوم القيامة وكان أسعد الناس بشفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما ثبت في البخاري عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن النبي

ﷺ قال: « **أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ** » .

فحافظ على هذه الكلمة مما يناقضها أو يخدشها أو يخل بها من الذبح أو النذرلغيرالله ، أو الدعاء لغير الله أو تصديق الكهنة والمشعوذين والذهاب إليهم، أو الحلف بغير الله أو الاستسقاء بالنجوم، أو تعليق التمائم أو التشاؤم بالأشياء وأمثال ذلك مما يناقض كلمة التوحيد أو يخل بها وسيأتي الكلام على نواقض التوحيد لاحقًا بإذن الله رب العالمين.

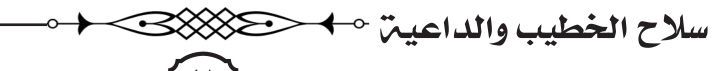
اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ،اللهم ثبتنا على كلمة التوحيد ، وأمتنا عليها ، وابعثنا عليها برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، اللهم إنا نسألك الجنة ومايقرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار، وما يقرب إليها من قول أو عمل.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها .

اللهم آتنا في الدنيا حسَنَة ، وفي الآخرة حسَنَة ، وقنا عذاب النار .





٢
(بعض نواقض لا إله إلا الله)
وهي من نواقض الإسلام

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ الله ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس :

سبق وأن تكلمنا في خطبة ماضية عن فضل لا إله إلا الله وأنها جاءت

مقيدة بقيود ثقال وشروط عظام من حققها فقد حاز الخير كله وذكرنا معناها وأركانها وما هو مقتضاها الذي يتضمن من هذه الكلمة العظيمة .

واليوم نذكر بعض نواقضها التي تفسد على العبد توحيده، وتحرمه سعادته في دنياه وآخرته.

لأن لكلمة التوحيد شروطا لا بد من العمل بها، ولها نواقض يجب اجتنابها، ولأن لها أركانًا لا بد من معرفتها، فإنها تضمنت النفي والإثبات فلا بد من إثبات جميع العبادات لله وحده، ونفي جميع العبادات عما سوى الله ، فلا بد من معرفة معناها والعمل بشروطها ومقتضاها وتجنب نواقضها، وهذه النواقض التي سنذكرها، منها ما ينقض هذه الكلمة من أصلها ويبطلها ومنها ما يخل بها ويخدشها وينقصها مع بقاء أصل التوحيد ، ومنها ما قد ينقضها من أصلها أو يخدشها وينقصها على حسب ما يقوم بالقلب من الاعتقاد كما سيأتي بيان ذلك بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

فمن نواقض لا إله إلا اللّه دعاء غير اللّه:

فمن دعا غير الله فقد أشرك بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة وسواء كان الدعاء دعاء عبادة أو دعاء مسألة في شيء لا يقدر عليه إلا الله، فمن دعا ملكًا أو نبيًا أو قبرًا أو شجرًا أو حجرًا أو دعا وليًّا أو صالحًا حيًّا كان أو ميتًا فقد أشرك بالله تعالى وانتقض توحيده .

ومن أمثلة ذلك دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من دون الله أو دعاء الخمسة أو غيرهم من أصحاب الأضرحة والقبور والقباب، فقد روى البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قَالَ: النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَلِمَةً وَقُلْتُ أُخْرَى، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ**

دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»وَقُلْتُ أَنَا :مَنْ مَاتَ وَهْوَ لاَ يَدْعُو للهِ نِدًّا دَخَلَ الْجَنَّةَ.

وقوله: «مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا» أي: جاءه الموت وهو مصرٌ على الشرك من دعا غير الله ونحوه ولم يتب ، دخل النار، أما من تاب قبل موته فإن التوبة تمحو ما قبلها .

ومن الجهل العظيم أن يدعو العبد شيئًا لا ينفع نفسه فضلًا عن غيره قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ ﴾[الأعراف:١٩٤] .

وقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣ ﴾ [الحج:١٢-١٣] .

ومعنى قوله تعالى: ﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ﴾ .

قال البغوي: لا يضره لو ترك دعاءه وعبادته.اهـ

وقوله: ﴿ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ ﴾ .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي ضرره في الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها وأما في الآخرة فضرره متيقن . اهـ

ثم بيّن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عجز هؤلاء المدعوين وبطلان ما هم عليه، فضرب مثلا بأحقر الأشياء وأضعفها فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـًٔا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ ﴾ [الحج:٧٣] .

قال ابن كثير –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– في تفسير هذه الآية :« لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك...

﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ أي: هم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه، لو سلبها شيئًا من الذي عليها من الطيب، ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك. هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها، ولهذا قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ .

وقال سبحانه:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [العنكبوت:٤١] .

و قَالَ تَعَالَىٰ :﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾[فاطر:١٣-١٤] .

والقطمير هو اللفافة التي على نواة التمرة ، وهي من أصغر الأشياء ، ومع هذا فإنهم لا يملكونها.

و قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

و قَالَ تَعَالَىٰ :﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الرعد : ١٤] .

قال ابن كثير –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– في قوله تعالى:﴿ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ﴾

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده، وهو لا يناله أبدًا بيده، فكيف يبلغ فاه؟» اهـ.

فهذا شأن الذي يدعوغير الله وهذا حاله والعياذ بالله.

ومن نواقض لا إله إلا الله ياعبادالله: الذبح لغير الله:

فإن الذبح من أعظم العبادات التي يُتقرب بها إلى الله، فمن صرفها لغير الله فهو مشرك بالله ، قد أشرك الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

قال الله في كتابه الكريم: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾** ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقال سبحانه: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾[الكوثر:٢] قرن الله النحر بالصلاة، فإن النحر أفضل عبادة مالية ، والصلاة أفضل عبادة بدنية، فمن ذبح لغير الله كمن سجد وركع لغير الله، فمن ذبح لغير الله من جن أو إنس أو ذبح لصاحب قبر أو ذبح للبيت الجديد عند أول دخوله للجن لئلا يدخلوه أو ذبح على مريض للجن لئلا يأخذوه أو يضروه أو ذبح على نهر أو بئر لئلا يجف ماؤها فهو مشرك كافر ملعون مطرود من رحمة الله .

فقد روى الإمام مسلم عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ**» .

واللعن هو الطرد والإبعاد من رَحْمَةِ اللَّهِ وقد دخل رجل النار بذباب قربه لصنم كما عند أحمد عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا عليه أي من كلامه، فهذا الرجل دخل النار بذباب قربه لغير الله ، فكيف بالذي يقرب الإبل والبقر والغنم لغير الله والعياذ بالله، فهو في النار من باب أولى إن مات ولم يتب من

ذلك، فالحذر الحذر من الذبح لغير الله ولو شيئًا يسيرًا ولو عصفورا صغيرًا .

ومن الذبح المحرم الذبح لإرضاء الخصم فإنه مقصود لغير الله ولم يفعله السلف الصالح ومن الذبائح لغير الله الذبح للسلطان تعظيمًا له كل هذا محرم شرعًا ، ولا يجوز الأكل من الذبيحة التي ذبحت لغير الله .

فأيما ذبيحة ذبحت لغير الله فلا يجوز الأكل منها سواء ذبحت لصنم أو لقبر أو لشجر أو حجر أو لإرضاء الخصم أو لغير ذلك، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:١٧٣] ، وما ذُبح لغير الله فإنه مما أُهل به لغير الله غالبًا ، فلا يجوز الأكل منها.

ومن نواقض لا إله إلا الله:النذر لغير الله:

فإن النذر عبادة عظيمة لا تصرف إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فمن نذر لغير الله فقد أشرك بالله شركًا أكبر مخرجًا من الملة ، وذلك أن النذر يصاحبه تعظيم للمنذور له فيكون صرفه لغير الله شرك أكبر، ولا يكون النذر إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمن نذر شيئًا لله وجب عليه أن يفي به .

قَالَ تَعَالَىٰ في سياق المدح للمؤمنين: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾[الإنسان:٧] وهذا في حق الوفاء بالنذر لله.

وقال في سيقاق الذم للمشركين: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[النحل:٥٦] أي أنهم جعلوا لأصنامهم شيئًا من القربات والذبائح والنذور من هذه الأرزاق التي رزقهم الله إياها.

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: يخبر تعالى عن جهل المشركين وظلمهم وافترائهم على الله الكذب، وأنهم يجعلون لأصنامهم ـ التي لا تعلم ولا تنفع ولا تضر – نصيبًا مما رزقهم الله وأنعم به عليهم، فاستعانوا برزقه على الشرك

به، وتقربوا به إلى أصنام منحوتة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[الأنعام:١٣٦] .

ويدخل في ذلك النذر لأصحاب القبوروالقباب وغيرهم من نذر الذبائح لهم والشموع والأموال وغير ذلك، وسواء كان المنذور له نبيًا أو وليًّا، أوحجرًا أو شجرًا أو صنمًا لافرق بين ذلك، فإن النذرلهم شرك أكبر مخرج من الملة.

ومما نبه عليه أن الأولى ترك النذر ، لأنه إيجاب العبد على نفسه شيئًا لم يوجبه الله عليه ، لكن من نذرشيئًا لله وجب عليه الوفاء به إلا أن يكون النذر في معصية الله فلا يجوز الوفاء به، لما جاء في صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ**».

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى كراهة النذر لأنه لايأت بخير وإنما يستخرج من البخيل فقد جاء في الصحيحين عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ نَهَى عَنِ النَّذْرِ وَقَالَ : « **إِنَّهُ لاَ يَأْتِى بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ** ».

ومن نواقض لا إله إلا الله :التنجيم وتصديق المنجمين ومنه الاستسقاء بالنجوم:

فإن المنجم مشرك بالله شركًا أكبر لأنه يدعي علم الغيب ، ولا يعلم الغيب إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإنها صفة من صفاته .

وعرف شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ التنجيم بأنه الاستدلال بالأحوال

الفلكية على الحوادث الأرضية. بمعنى أن المنجم يدعي معرفة الخير والشر في الأرض عن طريق حركات النجوم وسيرها، وهذا من الشرك الأكبر، والمنجم مشرك كافر، ومن صدقه فهو مشرك مثله لأنه أقره على صفة خاصة بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا تنبغي إلا له وهي علم الغيب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[النمل:٦٥].

فمن ادعى علم الغيب فهو كافر لما روى أبو داود عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ**».

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اقتبس، أي: تعلم من علم تأثير النجوم لا تسييرها. وقوله: شعبة من السحر: أي قطعة منه. اهـ

وتعلم السحر كُفر، كما سيأتي بيانه قريبًا إن شاء الله.

فيا عباد الله:

إن الله ـ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ـ خلق النجوم لثلاثة أشياء: زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾[المُلك:٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ١٦ ﴾[النحل:١٦].

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة للسماء ومعالم للطرق ورجوما للشياطين فمن قال غير ذلك فقد أخطأ وتكلف ما لا علم له به وأضاع نصيبه. اهـ

فلا بأس من الاستدلال بالنجوم على الأوقات ومعالم الزراعة والجهات الأصلية وجهة القبلة ونحوذلك، فهذا لايدخل في ادعاء علم الغيب وإنما

تتخذ مجرد علامات على ما تقدم ذكره.

أما التنجيم الذي فيه ادعاءٌ لعلم الغيب ، أو الذي يتخذ علاماتٍ على حصول الخير والشر فهذا من الشرك.

فإياكم وتصديق المنجمين فمن صدقهم فهو مشرك كافر، والجنة عليه حرام، فقد روى ابن حبان عَنْ أَبِي مُوسَى،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ** » أي: المصدق للمنجمين والسحرة بما يخبرون به من الأمور الغيبية فمن صدقهم فإنه لا يدخل الجنة، أما قاطع الرحم ومدمن الخمر فهما تحت مشيئة الله ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، إن لم يستحل ذلك.

ومن التنجيم المحرم سؤال المنجم أو غيره من المشعوذين عن الساعات والأوقات الطيبة والمنحوسة ، فمن ذلك أن بعض الناس يسألهم عن أفضل ساعة طيبة ـ زعموا ـ لإخراج العروسة من بيت أبيها إلى بيت زوجها وهذا من الشرك بالله إذ أن الأوقات والساعات بيد الله يقدر الله فيها من الخير أو الشر ما يشاء ولا علاقة لها بالأقدار إلا ما قدره الله.

ومن التنجيم المحرم سؤال المنجم وغيره عن السعود والنحوس، فيطلب المنجم من الشخص اسمه واسم أمه ، ثم يقول له:أنت برجك سعيد أو نحس ونحوذلك ، فمن صدقه فقد كفربما أُنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنه: ما جاء في بعض المجلات من ادعاء معرفة السعود والنحوس ، إذ يكتبون فيهاعلى سبيل المثال :من كان برجه الميزان فهو سعيد ومن كان برجه العقرب فهو منحوس ونحوذلك.

فلا يجوز القراءة في هذه الجرائد والمنشورات وأمثالها التي تنشر الكهانة،

فمن قرأ فيها للتسلية ولم يكن له مقصد شرعي فحكمه حكم من سأل الكاهن، أي: لم تقبل له صلاة أربعين يوما ، ومن قرأ فيها وصدق بما فيها فحكمه كحكم من سأل الكاهن وصدقه أي :فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسيأتي بيان ذلك عند ناقض الكهانة والعرافة.

ومن التنجيم المحرم نسبة المطر إلى الأنواء والنجوم فمن اعتقد أن النجم هو الذي ينزل المطر فهو مشرك كافر وشركه أكبر مخرج من ملة الإسلام ومن اعتقد أن هذا النجم سبب لنزول المطر وأن الله هو الذي أنزله، وإنما هذا النجم سبب فقط، فهذا شرك أصغر لأنه اعتقده سببًا ولم يجعله الله سببًا .

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي ينزل المطر متى شاء وفي أي نجم أو قت شاء حسب ما تقتضيه حكمته وحسب مصالح عباده، لا علاقة للنجوم بالأمطار،وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة:٨٢] أي: تقولون مطرنا بنوء كذا ونجم كذا.

وقد روى البخاري ومسلم عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « **أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ:مطرنا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ** » .

وفي رواية عند البخاري:قال: « **وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ ، كَافِرٌ بِي**».

وروى مسلم عن أبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ- قَالَ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**» .

ومن نواقض لا إله إلا الله الكهانة والعرافة:

فالكاهن ـ ياعباد الله ـ كافر لأنه مدعٍ لعلم الغيب ومثله العراف والمرمل وغيرهم ممن يدعون علم الغيب، فإنهم يدعون أنهم يعلمون ما في المستقبل أو يعلمون ما في الضمير، أو يعلمون بأماكن الضالات ، وقد تقدم أن علم الغيب صفة خاصة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ،فمن صدق الكهنة والعرافين فهو كافر مثلهم، ومن ذهب إليهم وسألهم ولم يصدقهم،فلن تقبل له صلاة أربعين يومًا، أي ليس له ثواب عليها، لكن لا يجوز أن يتركها، ومن أتاهم لينصحهم ويقيم عليهم الحجة فهو مأجور، ومن أتاهم ليفضحهم ويبين للناس كذبهم ودجلهم فهو جائز.

والدليل على ما تقدم ما رواه مسلم عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**» .

وروى أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**» . أي: فقد كفر بالقرآن والسُّنَّة اللذين أنزلا على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ويدخل في حكم العراف كل من يدعي معرفة الأمور الغيبية.

فإن قال قائل إنهم يحدثون بالأمر فيقع حقًا كما أخبروا؟ .

يجاب عنه بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بين ذلك غاية البيان، ونهى عن تصديقهم أو إتيانهم ، ففي الصحيحين من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الْكُهَّانَ كَانُوا يُحَدِّثُونَنَا بِالشَّيْءِ فَنَجِدُهُ حَقًّا قَالَ: «**تِلْكَ**

الْكَلِمَةُ الْحُقُّ، يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيَقْذِفُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، وَيَزِيدُ فِيهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ» ، وفي رواية: «**إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ**». وفي رواية عند مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:« فلا تأتوهم».

فإن الجن يخطفون الكلمة من الحق من السماء ثم يُرمَون بالشهب، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها إلى الكاهن من الإنس،وربما ألقاها إليه قبل أن يدركه الشهاب،فيأخذها الكاهن فيخلط معها تسعة وتسعين كذبة فيصدقه الناس بتلك الكلمة من الحق ،فيهرعون إليه وقد كذب معها مائة كذبة ،وإلا فلا الكاهن يعلم الغيب ولا وليه من الجن ، فلا يجوز تصديقهم وإن صدقوا مرة واحدة في المائة.

والجن كذلك لا يعلمون الغيب ، قَالَ تَعَالَىٰ عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ** ﴿١٤﴾ ﴾[سبأ:١٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنَّهُ مَكَثَ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصَاهُ مُدَّةً طَوِيلَةً نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ، فَلَمَّا أَكَلَتْهَا دابةُ الْأَرْضِ، وَهِيَ الْأَرَضَةُ، ضَعُفَتْ وَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ، وَعُلِمَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ-تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَيْضًا أَنَّ الْجِنَّ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، كَمَا كَانُوا يَتَوَهَّمُونَ وَيُوهِمُونَ النَّاسَ بذلك. اهـ

ومن نواقض لا إله إلا الله السحر بنوعيه الصرف والعطف:

وأعني بالسحر الذي يكون ناقضا :الذي يكون باستخدام الشياطين لأن الشياطين لا تخدم الساحر حتى يكفر بالله الكفر البواح ويزاول أعمالًا كفرية، كإهانة المصحف أوالدوس عليه أووضعه في القاذورات، أويعبد الشياطين فيركع ويسجد لهم أو يصلي جُنبًا أو بغير وضوء ونحو ذلك ؛ من الكفر بالله ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ لأجل أن تخدمه الشياطين فتضر بالآخرين .

وتعلم السحر كفر بالله تعالى، بصريح قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة:١٠٢] .

ففي هذه الآية عدة دلالات على كفر الساحر ، وعلى أن تعلم السحر كفر ، وأن من أتى الساحر مصدقا له فهو كافر، وإن أمره بشيء من الشرك كالذبح لغير الله أو تعليق تمائم أو نحو ذلك فهو مشرك .

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ سَاحِرًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–**» . رواه البزار وصححه الألباني وله حكم الرفع لأنه مما لا يقال بالرأي.

فمن ابتلي بشيء من السحر ، فعليه بالرقية الشرعية فبها ينفك السحر بإذن الله ، ولا يجوز الذهاب إلى السحرة لفك السحر مطلقًا، وننصح كل مسلم بأن يتحصن من السحرة والمردة والشياطين بتقوى الله والتوكل عليه، وبذكر الله، ومنها أذكار الصباح والمساء وسائر الأذكار، فإن ذكر الله حصن حصين بإذن الله رب العالمين.

ونعوذ بالله من الشرك وأهله.



الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإن نواقض لا إله إلا الله كثيرة.

ومنها: الرياء والسمعة وهو فعل العمل الصالح من أجل الناس ومدحهم وإكرامهم وتعظيمهم له فإن هذا من الشرك لما روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** » .

وفي رواية لابن ماجه: فأنا منه بريء وهو للذي أشرك. فيتبرأ الله من هذا العمل ويوكل صاحبه إلى الذين كان يعمل العمل من أجلهم، فيخرج صفر اليدين.

والرياء قد يكون شركًا أكبر مخرجًا من ملة الإسلام كشرك المنافقين كما قَالَ تَعَالَىٰ عنهم : ﴿ **إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ١٤٢** ﴾ [النساء : ١٤٢] ، وقد يكون الرياء شركًا أصغر، وذلك على حسب النية.

ذكر ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من عمل عملًا صالحًا وكان من أصله لأجل الناس فعمله باطل ومردود، وقد يصل إلى حد الشرك الأكبر إذا كثر ، وإن كان أصل العمل الصالح لله وإنما طرأ عليه الرياء فاسترسل ولم يجاهد نفسه عليه؛ فهو

محبوط ومردود أيضًا . اهـ بمعناه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة:٢٦٤] .

ففي هذه الآية أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بيّن أن المن والأذى يبطلان الصدقة، كما يبطلها الرياء.

وقد خاف النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على أصحابه وأمته من الرياء، فقد روى الإمام أحمد عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ** » ، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: « **الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً** » .

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ**» أي: يفضحه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ، وروى الطبراني عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُومُ فِي الدُّنْيَا مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ إِلَّا سَمَّعَ اللهُ بِهِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» .

والرياء أشد من فتنة المسيح الدجال فقد روى ابن ماجهْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ـ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ـ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْ الْمَسِيحِ**

الدَّجَّالِ؟ »، قَالَ: قُلْنَا: بَلَى. فَقَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**».

فجاهد نفسك على الإخلاص ياعبد الله فإن الله لايقبل من الأعمال إلا أخلصها.

ومن نواقض لا إله إلا الله يا عباد الله الطيرة:

والطيرة:هي التشاؤم بالمرئيات أوالمسموعات أو المعلومات ، كالتشاؤم بالأشخاص أو بعض الحيوانات أو التشاؤم بالأصوات كأصوات بعض الطيور وأصوات الحمير أو الكلاب أو التشاؤم ببعض الساعات أو الأيام أو الشهور كشهر شوال وصفر فهذا كله من الشرك لأنه ينافي التوحيد والتوكل على الله، فقد نفى نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطيرة إذ لا علاقة لها بالمقادير.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ**» وزاد مسلم: « **ولا نوء ولا غول**».

فهذه الأمور لا علاقة لها بالخير ولا بالشر فليست هي الموجدة للشر ولا سببًا له فمن اعتقد أن شيئًا من هذه الأمور هو الموجد للضر فهذا شرك أكبر مخرج من الملة ومن اعتقد أن شيئًا من هذه الأمور سبب لحصول الشر من مرض أو خسارة أو موت أو غير ذلك فهذا شرك أصغر ما دام يعتقد أن المقدر لها هو الله ولكنه شرك أصغر لأنه اتخذ سببًا لم يجعله الله سببًا لا شرعيًا ولا حسيًا .

فقد روى أبو داود عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: «**الطِّيَرَةُ شِرْك، الطِّيرة شركٌ، الطيرة شِرْكٌ**».

ومن نواقض لا إله إلا اللّه أو ما يخل بها:تعليق التمائم والحروز:

فمن علق تميمة لدفع العين أو لدفع الجن فقد وقع في الشرك، ومنه تعليق الخرزات على الأطفال وتعليق الأوتار أو النعال والجلود على الحيوانات ، أو الأشجارأو السيارات لدفع العين.

ومنه تعليق السلاسل والسنابل على البيوت لدفع الجن ومنه أخذ العروس للسيف وأخذ العروسة للجنبية حرزا من الجن، إلا أن يتخذ السيف للزينة فلا بأس والأفضل تركه سدًا للذريعة.

فمن علق هذه الأشياء معتقدا أنها تدفع الجن أو العين أو الضر بنفسها فهذا شرك أكبر مخرج من الملة وإن اعتقد أن الله سيدفع الضرر بسبب هذه المعلقات فهذا شرك أصغر يخدش في كلمة التوحيد لا إله إلا الله

فقد روى ابن حبان عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه دخل على امرأته وفي عنقها شيء معقود فجذبه فقطعه ثم قال لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ثم قال سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:« **إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**» قالوا يا أبا عبد الرحمن هذه الرقى والتمائم قد عرفناهما فما التولة؟ قال شيء تصنعه النساء يتحببن إلى أزواجهن.

والرقى التي ذكرت في هذا الحديث هي الرقى الشركية التي فيها طلاسم وتمتمة لايفهم معناها وأسماء جن ونحو ذلك مما يخالف الرقية الشرعية، وأما الرقى التي هي بكلام الله وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا بأس بها فإنها مشروعة.

والتمائم :هي الحروز المعلقة لدفع الضرر ، والتولة هي ما يفعله السحرة لعطف الرجل على امرأته أو العكس ومنه الأخذة وهي شيء يفعله السحرة لصرف الرجل عن زوجته أوالعكس.

وكل هذا من الشرك ومن علق قلبه بهذه الأمور وكله الله إليها وخذله فقد روى أبو داود عن عبد الله بن حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من علق شيئًا وكل إليه».

عباد الله:

وهناك شيء يعلقه بعض الناس يستحسنونه ويزعمونه مشروعًا وهو تعليق القرآن الكريم، والصحيح أنه لا يجوز تعليقه لدفع العين ولا لغير ذلك، لأن تعليقه ذريعة لتعليق التمائم الشركية ولأن هذا الفعل بدعة لم يفعله السلف وفيه امتهان للقرآن الكريم.

ومن نواقض كلمة التوحيد أو ما يخل بها الحلف بغير الله:

وقد انتشر ذلك كثيرًا على ألسِنَة كثير من المسلمين وهو الحلف بغير الله كالأمانة واليهودية والشرف والنبي والكعبة وغير ذلك، فإن اليمين عبادة لا تكون إلا بالله تعالى، لأن الحلف يقتضي التعظيم ولأن اليمين هو تأكيد الكلام بذكر معظم، وهذا لا ينبغي إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فمن حلف بغير الله وعظمه كتعظيم الله فهذا شرك أكبر مخرج من الملة كما يعظم بعض الناس أصحاب القبور وعلامة ذلك أنه لا يحلف به إلا صادقًا وإذا حلف بالله لا يبالي حلف صادقًا أو كاذبًا .

وإن حلف بغير الله بدون تعظيم للمحلوف كتعظيم الله أو أشد، فهو شرك أصغر يخدش في توحيده.

فقد روى الترمذي عن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لاَ وَالكَعْبَةِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لاَ يُحْلَفُ بِغَيْرِ الله، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**».

وما أكثر ما يُحلف بالأمانة وقد جاء نص صريح في تحريم ذلك فقد روى أبو داود عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «مَنْ حلفَ بالأمانةِ فليس منا» أي ليس على طريقتنا ومنهجنا فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب.

وبعضهم ربما حلف باليهودية أوالنصرانية والعياذ بالله فقد روى البخاري ومسلم عن ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ» .

فمن قال في حلفه إنه يهودي إن فعل كذا وهو كاذب فقد ارتكب جرمًا كبيرًا و يخشى عليه أن يكون يهوديًا كما قال ، وإن كان صادقًا فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا.

فقد روى أبو داود عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من حلفَ فقال: إني بَرِيءٌ من الإسلام: فإن كان كاذبًا، فهو كما قال، وإن كان صادقًا فلن يرجعَ إلى الإسلام سالمًا» .

أي: فإنه يأثم وينقص توحيده لأنه خدش فيه.

فيجب على المسلم أن يعود لسانه على الحلف بالله ويتجنب الحلف بغير الله مهما كان الأمر لأن الشرك أظلم الظلم ولا يغفره الله لمن لقيه مشركًا والعياذ بالله.

ويجب على المسلم أن يحافظ على توحيده وأن يتعلم هذه الكلمة العظيمة فيتعلم معناها وشروطها ليعمل بها ويتعلم نواقضها ليجتنبها وأن يخاف على نفسه من الشرك فقد خافه إبراهيم الخليل على نفسه وذريته وخافه نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صحابته وهم دعاة التوحيد العاملون به والله المستعان.

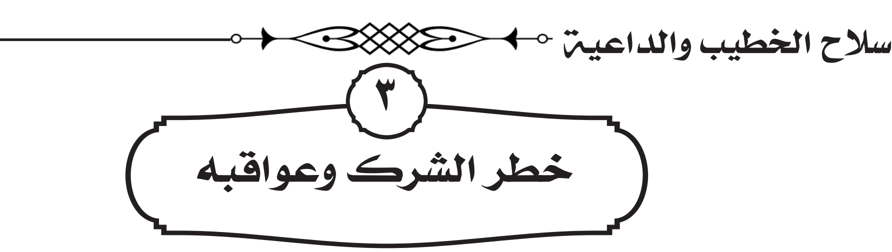
فنسأله الله أن يبصرنا في ديننا ، وأن يتوفانا مسلمين ، وأن يحشرنا مع

الموحدين ، برفقة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه ؛ ونستغفرك لما لا نعلمه

اللهم اجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله ، اللهم أحينا عليها وتوفنا عليها وابعثنا عليها برحمتك يا أرحم الراحمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





٣
خطر الشرك وعواقبه

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أعاذنا الله وإياكم من البدع والمحدثات والنار.

أيها الناس:﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾[الأنعام:١٣٤].

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ولا يشركوا به شيئًا فمن وحده دخل الجنة ومن أشرك به دخل النار.

وإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق الخلق على الفطرة وهي توحيد الله وعدم الإشراك به شيئًا، ، فاجتالتهم الشياطين وصرفت كثيرًا منهم عن التوحيد إلى الشرك ، وإن الناس كانوا على التوحيد منذ زمن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، استمروا على ذلك عشرة قرون إلى أن جاء قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فصوروا الصالحين وعبدوا تلك الصور من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[البقرة:٢١٣] أي: كانوا على دين واحد.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان الناس على التوحيد عشرة قرون من لدن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ. اهـ بمعناه

قَالَ تَعَالَىٰ عن قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾[نوح:٢١-٢٣] .

روى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال:« صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وُدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثم لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجُرُفِ عِنْدَ سَبَا وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لآلِ ذِي الْكَلاَعِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ » .

فيجب الحذر من الشرك ووسائله وسد الذرائع المفضية إليه كالغلو في

الصالحين والتصوير ونحو ذلك فانظر كيف وسوس لهم الشيطان بالغلو في صالحيهم وتصويرهم حتى عبدوهم من دون الله.

قال بعض السلف: من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل.

وفي هذا اليوم بإذن الله نستعرض بعض أخطار الشرك، على سبيل التحذير منها، لأن الشرك أعظم معصية عصي الله بها في الأرض كما قَالَ تَعَالَىٰ عن لقمان الحكيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان:١٣] ولأن الشرك هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، فكيف يسوى المخلوق بالخالق سبحانه؟.

فقد روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سَأَلْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». والند: هو الشريك والمثيل.

وقَالَ تَعَالَىٰ عن حال المشركين وهم في جهنم:﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[الشعراء:٩٦-٩٨].

فمن أشرك بالله تعالى لم يكن له هداية في الدنيا ولا أمن يوم القيامة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢] ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ أي: لم يخلطوا إيمانهم بشرك، كما فسرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومفهوم الآية: أن الهداية والأمن التام لا يكون إلا للموحدين؛ ولا يكون للمشركين بالله عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ

ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾﴾[الحج:٣٠-٣١] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فتخطفه الطير : تقطعه في الهواء في مكان سحيق بعيد مهلك لمن هو فيه. اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أمرهم أن يكونوا ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ أي: مقبلين عليه وعلى عبادته، معرضين عما سواه، ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ فمثله ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: سقط منها ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ بسرعة ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ أي: بعيد، كذلك المشرك، فالإيمان بمنزلة السماء، محفوظة مرفوعة. ومن ترك الإيمان، بمنزلة الساقط من السماء، عرضة للآفات والبليات، فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه. اهـ

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الاختطاف تناول الشيء بسرعة ﴿تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ تميل وتذهب به. اهـ

فحري بالعبد أن يتمسك بتوحيد الله ولا يشرك بالله وإن قطعوا أوصاله أوحرقوا جسده، فعند الإمام ابن ماجهْ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ: «**لَا تُشْرِكْ بِالله شَيْئًا، وَإِنْ قُطِّعْتَ وَحُرِّقْتَ**». ولأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فقد دخل رجل النار بذباب قربه لصنم ، ودخل رجل الجنة لأنه أبى أن يقرب لصنم ذبابًا ، فقتلوه فدخل الجنة.

فقد أخرج الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ موقوفًا عليه وصححه الألباني قال: دخل رجل الجنة في ذباب ودخل النار رجل في

ذباب قالوا : وكيف ذلك قال: مر رجلان مسلمان فيمن كان قبلكم على قوم لهم صنم ، وفي رواية: يعكفون على صنم لهم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئًا فقالوا لأحدهما: قرب شيئًا، قال : ليس عندي شيء فقالوا له قرب ولو ذبابًا فقرب ذبابًا فخلوا سبيله قال : فدخل النار وقالوا للآخر قرب ولو ذبابًا قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عَزَّوَجَلَّ قال : فضربوا عنقه قال : فدخل الجنة.

فانظر يا مسلم إلى هذا الرجل كيف دخل النار بشيء قربه لغير الله، قرب أحقر الأشياء وأخسها، فكيف بالذي يستسمن الإبل والبقر والشياه، ويتقرب بها لغير الله من أصحاب القبور ومن الأشجار والأحجار والجن وغير ذلك؟ فمن فعل ذلك ومات عليه فهو من الخالدين في النار والعياذ بالله.

وفي هذه الحديث دلالة واضحة على خطر الشرك وقبحه، وسوء عاقبته، إذ أن الرجل دخل النار بذباب وهذا كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان:١٣] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووجه كونه عظيمًا، أنه لا أفظع وأبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئًا، بمن له الأمر كله، وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه. اهـ

عباد الله :

إن الشرك لا ينحصر في عبادة الأصنام كما يفهمه بعض الناس، فقد بين النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن من الشرك عبادة الأصنام ومنه الذبح والنذر لغير الله ، ومنه التنجيم والتكهن ، والاستسقاء بالنجوم ، والسحر ، ومنه دعاء غير الله وغير ذلك ، فكل عبادة تصرف لغير الله فهي من الشرك بالله.

فالشرك أخطاره جسيمه وعواقبه وخيمة في الدنيا والآخرة وسنذكر ما تسير من عواقب الشرك وعقوبات المشرك.

وسنبدأ بالعقوبات الدنيوية:

من عقوبات الشرك الدنيوية: عدم تزويج المشركين من المؤمنات:

فإنه لا يجوز تزويج المشرك بالموحدة ولا يجوز للموحد أن يتزوج بالمشركة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ [البقرة:٢٢١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣].

ومن عقوبات المشرك أنه يمنع من دخول البيت الحرام:

وذلك لأن المشرك نجس ونجاسته معنوية وهو خبث عقيدته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة:٢٨].

قال السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ أي: «خبثاء في عقائدهم وأعمالهم، وأي نجاسة أبلغ ممن كان يعبد مع الله آلهة لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عنه شيئًا؟».

وأعمالهم ما بين محاربة لله، وصد عن سبيل الله ونصر للباطل، ورد للحق،

وعمل بالفساد في الأرض لا في الصلاح، فعليكم أن تطهروا أشرف البيوت وأطهرها عنهم.اهـ

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعثني أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الحَجَّةِ الَّتِي أَمَّرَهُ عَلَيْهَا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ يَوْمَ النَّحْرِ فِي رَهْطٍ يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ «**أَلاَ لاَ يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ**».

ومن عقوبات المشرك الدنيوية أنه يقتل إن لم يتب:

والذي يتولى قتله هو ولي الأمر سدًا لباب الفتنة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾[التوبة:٥].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ في أي مكان وزمان، ﴿وَخُذُوهُمْ ﴾ أسرى ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ ﴾ أي: ضيقوا عليهم، فلا تدعوهم يتوسعون في بلاد الله وأرضه، التي جعلها [الله] معبدا لعباده.

فهؤلاء ليسوا أهلا لسكناها، ولا يستحقون منها شبرًا، لأن الأرض أرض الله، وهم أعداؤه المنابذون له ولرسله، المحاربون الذين يريدون أن يخلو الأرض من دينه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾أي: كل ثنية وموضع يمرون عليه، ورابطوا في جهادهم وابذلوا غاية مجهودكم في ذلك، ولا تزالوا على هذا الأمر حتى يتوبوا من شركهم» أ هـ.

ومن عواقب المشرك أنه لا يصلى عليه ولا يدعى له بالمغفرة، ولا يقبر في مقابر المسلمين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[التوبة:٨٤] .

فهذه الآية وإن كانت في شأن المنافقين فإنها عامة في كل من مات مشركًا أو كافرا أو منافقا ولأن المنافقين مشركون في حقيقة الأمر.

ولا يصلى عليهم ، لأن الصلاة عليهم تتضمن الدعاء لهم والاستغفار، وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة:١١٣] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نزلت هذه الآية في أبي طالب لما مات مشركًا، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» فنزلت الآية. اهـ

وترمى جثة المشرك في حفرة وتوارى بالتراب لئلا يؤذي الناس بجيفته ولا يقبر في مقبرة المسلمين، فإنه لما مات أبو طالب على الشرك جاء علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: «إن عمك الشيخ الضال قد مات». فقال: «اذهب فوارِ أباك ثم لا تحدثن شيئًا حتى تأتيني» فذهبت فواريته وجئته فأمرني فاغتسلت ودعا لي. رواه أبو داود .

وقد نهى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه عن الاستغفار لأمه لأنها ماتت مشركة ، فقد روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**».

فانظروا كيف نهاه الله عن الاستغفار لأمه وهي أقرب الناس إليه، وذلك

بسبب أنها ماتت على الشرك ، بينما يجوز الاستغفار لأصحاب المعاصي والكبائر من الموحدين ، يدلك هذا على خطر الشرك وسوء عواقبه.

قَالَ تَعَالَىٰ عن أصحاب المعاصي من الموحدين: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٢ – ١٠٣] .

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية:« يقول تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ﴾ ممن بالمدينة ومن حولها، بل ومن سائر البلاد الإسلامية، ﴿ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ أي: أقروا بها، وندموا عليها، وسعوا في التوبة منها، والتطهر من أدرانها.

﴿ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ ولا يكون العمل صالحًا إلا إذا كان مع العبد أصل التوحيد والإيمان، المخرج عن الكفر والشرك، الذي هو شرط لكل عمل صالح، فهؤلاء خلطوا الأعمال الصالحة، بالأعمال السيئة، من التجرؤ على بعض المحرمات، والتقصير في بعض الواجبات، مع الاعتراف بذلك والرجاء، بأن يغفر الله لهم » أهـ .

و روى أبو داود عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**» أي من أهل التوحيد ، أما أهل الشرك فلا شفاعة لهم ولا مغفرة لذنوبهم كما سيأتي.

فنعوذ بالله من الشرك وأهله ، ونسأل من الله العافية والسلامة في الدنيا والآخرة.





الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى الحمد لله ملء السماوات والأرض وملء ما شاء من شيء بعد، الحمد لله أهل الثناء والمجد، وكلنا له عبد أحق ما قال العبد.

أما بعد:

عرفنا بعض عواقب الشرك الدنيوية ونتعرف الآن على بعض عواقب الشرك الأخروية والشرك المعني هنا هو الشرك الأكبر لمن مات عليه.

فمن عواقب الشرك الوخيمة أنه لا يُغفر:

فقد دلت الأدلة من الكتاب والسُّنَّة أن الله تعالى لا يغفر للمشرك إن مات عليه، وإن صلى وصام، وحج وجاهد وقام، وأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد يغفر جميع المعاصي والكبائر لمن شاء من خلقه إلا الشرك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨ ﴾[النساء:٤٨] .

فإن المشرك لا تنفعه حسَنَة عملها، ولا تُغفرله سيئة اقترفها، ولا تكفر عنه مصيبة أصيب بها، ولا تقبل فيه شفاعة طلبها، لأنه سد على نفسه أبواب الرحمة والمغفرة بالشرك، بخلاف الموحد من العصاة فإنه تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ثم يكون مآله بعد العذاب إن عذبه إلى الجنة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر تعالى أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدًا من المخلوقين،

ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمتُه مغفرتَه. فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسبابا كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين.

ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد. وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئًا، وما لهم يوم القيامة ﴿ مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ أ هـ .

فالحاصل أن ا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يَغفر الشرك.

وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره إلى أنه لا يغفر الشرك، صغيره وكبيره لعموم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ الشرك الأكبر والأصغر.

ومن عواقب الشرك أن الشفاعة لا تقبل في مشرك يوم القيامة:

فلا تنفع المشرك شفاعة ولو من أقرب قريب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدَّثر:٤٨] .

وقَالَ تَعَالَىٰ مخبرا عن حال المشركين يوم القيامة: ﴿ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[الشعراء:٩٦-١١٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٣] .

فالشفاعة المنفية في هذه الآيات وأمثالها هي الشفاعة للمشركين والكفار، وأما الموحدون فإنهم أسعد الناس بالشفاعة يوم القيامة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ

ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾ ﴾[مريم:٨٧] ، والعهد هو: شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها ، كما ذكر ذلك ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره.

وروى البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: « أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ ».

ومن عواقب الشرك أن أعمال المشرك تحبط يوم القيامة:

فإن وجد للمشرك عمل صالح فإنه يحبط ويذهب هباءًا منثورًا ، ولا يقبله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[الزُّمر:٦٥] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[الأنعام:٨٨] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾[الفرقان:٢٣].

فالشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال وصاحبه مخلد في النار والعياذ بالله ، بينما الشرك الأصغر يحبط العمل الذي وقع فيه الشرك فقط كمن طرأ عليه الرياء في عمل من الأعمال الصالحة فإنه يبطل ذلك العمل فقط إن استرسل مع الرياء ولم يدفعه .

فقد روى الطيالسي عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **الظُّلْمُ ثَلاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يَتْرُكُهُ اللهُ، وَظُلْمٌ يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَأَمَّا الَّذِي لَا يُتْرَكُ فظلم العباد، فَيَقْتَصُّ اللهِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ** ».

فالظلم الذي بين العبد وبين ربه هو الذنوب والمعاصي، فهذا يغفره الله إن شاء، وأما الظلم الذي لا يُترك فهو المظالم بين العباد فيقتص بعضهم من بعض يوم القيامة ، وأما الظلم الذي لا يُغفر فهو الشرك.

ومن عواقب الشرك أنه يخلد صاحبه في جهنم وتحرم عليه الجنة:

فإن مات المشرك على الشرك فإنه لا يدخل الجنة ولا يشم ريحها ومأواه النار خالدا فيها أبد الآباد من غير انقطاع عذاب ولا تصرم آماد والجنة عليه حرام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢] .

وروى الإمام مسلم عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ**» .

والشرك الأكبر هو الخطيئة العظيمة التي تحيط بالعبد من جميع الجوانب فلا تدع له منفذا ينجو منه فيكون من الهالكين مع أصحاب الجحيم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[البقرة:٨١] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿ وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ أي: أحاطت بعاملها، فلم تدع له منفذا، وهذا لا يكون إلا الشرك، فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته. اهـ

وذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أن الخطيئة في هذه الآية هي الشرك.

وعواقب الشرك وأضراره وأخطاره كثيرة اقتصرنا على ذكر أهمها فالواجب

على المسلم أن يحذر من الشرك صغيره وكبيره سواء كان قوليًا أو عمليًا أو اعتقادًا جليًا أو خفيًا وأن يبتعد عن أسبابه وذرائعه المفضية إليه، وأن يدعو الله أن يصرفه عنه، فإن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل كما أخبر المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خطبنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**». فَقَالَ لَهُ: مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهِ؟، **قَالَ: قُولُوا: « اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ** » .

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه .

اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين، واحشرنا في زمرة الموحدين، وثبتنا على الدين، وأسكنا جنات النعيم.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين.





الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الأخوة المسلمون:

معلوم لدى كل مسلم أن الركن الأول من أركان الإسلام هو الشهادتان،

وقد تحدثنا في خطبة سابقة عن الشطر الأول منه وهو(لا إله إلا الله) و نتحدث معكم اليوم عن الشطر الثاني وهو:شهادة أن محمدًا رسول الله، إذ أن الشهادتين متلازمتان ولا تقبل إحداهما بدون الأخرى، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فقد روى البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**» .

ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله هو أن يشهد العبد بلسانه ويعتقد بقلبه ويعمل بمقتضى ذلك بجوارحه ؛ أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله أرسله الله إلى العالمين، إلى الجن والإنس، ويشهد بأنه قد بلغ ما أرسله الله به أتم البلاغ ،وجاهد في سبيل الله لنشر الرسالة أتم الجهاد، وأنه يجب طاعته، وتحرم معصيته أوالإحداث في منهجه وأنه لا يجوز التعبد بغير ما شرع ولا يقبل عمل من أحد يخالف هديه،وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده، وفضله الله على سائر خلقه، وجعله رحمة للعالمين، وأن من كذبه أورد قوله ، فإنه كافر لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا وأن الله أكمل به الدين ، فلا يجوز الاستدراك عليه أو التعقيب أو التبديل أو الزيادة أو النقصان في منهجه وسنته ، هذا هو مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومعنى شهادة ان محمدًا رسول الله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع. اهـ

وعرفها بعض أهل العلم بأنه لا متبوع بحق إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره إن اتبع فيما لا دليل عليه فقد اتبع بباطل. اهـ

فإن الله قد أمرنا بطاعته ونهانا عن معصيته فقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧] ﴿ وَمَآ ﴾: اسم موصول يعم كل شيء بمعنى أنه يجب امتثال كل أوامره؛ واجتناب كل نواهيه.

وقد جعل سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ طاعته من طاعة الله ومعصيته من معصية الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ ﴾[النساء:٨٠] أي: كما قال في آية أخرى: ﴿ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾.

ولا فرق بين القرآن والسُّنَّة فالقرآن يحثنا على التمسك بالسُّنَّة والسُّنَّة تحثنا على التمسك بالقرآن، وكلٌ وحي من عند الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ ﴾[النساء:١١٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: الكتاب هو القرآن والحكمة هي السُّنَّة. اهـ

فكل ما جاء عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لا ينفك عن القرآن الكريم بل كل أوامره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ داخلة تحت أوامر القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [الحشر:٧].

وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن امرأة جاءت إلى ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وقالت: بلغني أنك تنهى عن ا لواشمة والواصلة أشيء وجدته في كتاب الله أو عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قالت: والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول، قال وما وجدت فيه ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [الحشر:٧] قالت: بلى قال: فإني سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ينهى عن الواشمة والواصلة والنامصة.

الشاهد من الحديث أن أمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ونهيه في حكم أمر

القرآن ونهيه لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر:٧] .

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: «وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله. اهـ.

ومن مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله متابعته في أقواله وأفعاله والاقتداء والتأسي به في كل أموره لأنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ. اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:٨٠]: أي: كل مَنْ أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه ﴿ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ تعالى لكونه لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر الله وشرعه ووحيه وتنزيله، وفي هذا عصمة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الله أمر بطاعته مطلقًا، فلولا أنه معصوم في كل ما يُبَلِّغ عن الله لم يأمر بطاعته مطلقًا، ويمدح على ذلك. اهـ

فمن كان كذلك فهو صادق في شهادته لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة لأن الشهادة لا يكفي مجرد التلفظ بها فقط ، بل العمل بمقتضى هذه الشهادة علامة على صدق العبد ومحبته لنبيه ولربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأنه هو الذي أرسله وقد

اختبر الله عباده بمتابعتهم لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران:٣١] .

قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ حَاكِمَةٌ عَلَى كُلِّ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّةَ الله، وَلَيْسَ هُوَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فَإِنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ الْمُحَمَّدِيَّ وَالدِّينَ النَّبَوِيَّ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَحْوَالِهِ كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عليه أمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» ولهذا قال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ: زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللهَ فَابْتَلَاهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ فقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ اهـ

وقد كتب الله رحمته لمن اتبع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقتفى أثره ، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[الأعراف:١٥٦-١٥٧] .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، تمنوا رحمة الله وَقَالُوا: نَحْنُ نتّقي ونؤمن ونؤتي الزكاة ونؤمن، فَجَعَلَهَا اللهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فَقَالَ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ الْآيَةَ. اهـ

وقال الحسن وقتادة –رَحِمَهُمَاٱللَّهُ–: وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة للمتقين خاصة. اهـ

فيجب على كل من يشهد أن محمدًا رسول الله أن يعمل بسنته ويجتنب البدع والمحدثات، لما روى الترمذي عَنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ،رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَوْمًا بَعْدَ صَلاَةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلاَلَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ ».وعند النسائي :«وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ»

فقوله :«عليكم بسنتي»: أي الزموا سنتي، وقال :«عضوا عليها بالنواجذ» أي : تمسكوا بها بالأضراس، كناية عن شدة التمسك بها، خصوصًا إن وجد المنازع والمحذر والمثبط، وهم كثر ـ لا كثرهم الله ـ وخصوصًا في زمن الفتن والبدع، فليتمسك العبد بالسُّنَّة تمسك الغريق بالحبل بيديه وأضراسه.

وسُنَّته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ :هي طريقته في أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته.

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ: وسُنَّته هي طريقته التي يمشي عليها عقيدة وخلقًا وعملًا وعبادة وغير ذلك،نلزم سُنَّته ونجعل التحاكم إليها كما قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] . اهـ

فكل الطرق إلى الله مسدودة إلا طريق واحد وهو طريق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ : يُقْسِمُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ: أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ حَتَّى يُحكم الرَّسُولَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، فَمَا حَكَمَ بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ الِانْقِيَادُ لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ أَيْ: إِذَا حَكَّمُوكَ يُطِيعُونَكَ فِي بَوَاطِنِهِمْ فَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا حَكَمْتَ بِهِ، وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فَيُسَلِّمُونَ لِذَلِكَ تَسْلِيمًا كُلِّيًّا مِنْ غَيْرِ مُمَانِعَةٍ وَلَا مُدَافِعَةٍ وَلَا مُنَازِعَةٍ. اهـ

ومن مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعظيمه تعظيمًا شرعيًا كما أراد الله، فلا يرفع فوق منزلته ولا يخفض عنها، ومحبته حبا شرعيًا بلا غلو ولا إفراط، لما روى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» فهو عبد الله ورسوله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ: هو عبد فلا يُعبد ورسول فلا يُكذب . اهـ

فلا يُعبد كما عبده أرباب التصوف، فدعوه من دون الله وتوسلوا به واعتقدوا فيه بعض صفات الربوبية ، بأنه يتصرف في الكون وينفع ويضر من دون الله ، ولا يكذّب كما كذبه اليهود والنصارى.

ومن تعظيمه تعظيم ما جاء به وتعظيم حديثه والعمل بسُنَّته وعدم رفع

الصوت عنده كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور:٦٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحُجُرات:٢].

ألا وإن من رفع الصوت فوق صوت الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته مخالفة سنته وتقديم الأقوال على قوله وسلوك مناهج وطرق تخالف منهجه وطريقته.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧] ومعنى ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي عظموه تعظيمًا شرعيًا إذ أنه لا يجوز رفعه فوق منزلته والغلو فيه، فإنه بشر كسائر الناس إلا أن الله أكرمه بالرسالة، فلا يعلم الغيب ولا ينفع ولا يضر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ﴾ [الأنعام:٥٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف:١٨٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن:٢١-٢٢] هذا في حياته لا ينفع نفسه فضلًا عن غيره ولا يعلم الغيب إلا ما أعلمه الله، فكيف من بعد موته؟، فإنه لا ينفع ولا يضر ولا يعلم الغيب.

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومقتضى هذه الشهادة ألا تعتقد أن لرسول

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقًا في الربوبية وتصريف الكون أو حقًا في العبادة بل هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد لا يعبد ورسول لا يكذب ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا من النفع أو الضر إلا ما شاء الله . اهـ

فيجب الحذر من مخالفته فإن مخالفته تخل بالشهادة وتعرض صاحبها للعقوبة العاجلة والآجلة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[النور:٦٣] .

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أتدري ما الفتنة؟ هي الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.اهـ

قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ** ﴾: أَيْ: عَنْ أَمْرِ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وهو سبيله وَمِنْهَاجُهُ وَطَرِيقَتُهُ وَسُنَّتُهُ وَشَرِيعَتُهُ، فَتُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ بِأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ، فَمَا وَافَقَ ذَلِكَ قُبِلَ، وَمَا خَالَفَهُ فَهُوَ مَرْدُود عَلَى قَائِلِهِ وَفَاعِلِهِ، كَائِنًا مَا كَانَ. اهـ

وإن مما يخل بهذه الشهادة ، إحداث البدع في الدين، وترك السنن، فمن أحدث بدعة أو عمل عملًا يخالف السُّنَّة فهو مردود على صاحبه لا يقبله الله كائنا من كان، وصاحبه مبتدع إن لم يتب من ذلك.

فقد روى الإمام البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**» **وفي رواية لمسلم** : «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» أي: مردود على صاحبه لأنه محدث فعله صاحبه بهواه، والغالب على هذا الصنف أنه لا يوفق للتوبة إلا أن يشاء الله، روى الطبراني عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى

يدع بدعته» .

والله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حذرا من هذا الصنف ، فإنه أضر على الدين من صاحب المعصية.

قال سفيان بن عيينه رَحِمَهُ اللَّهُ :«البدعة أحب إلى إبليس من المعصية» أ هـ .

وقد عرف أهل العلم البدعة بأنها :ما أحدث بعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنية التعبد بغير دليل، وهذا لا يقبله الله إذ لم يأذن به قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [الشورى:٢١] .

فمن عبد الله بغير سُنَّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد شرع في دين الله مالم ياذن به الله، ومن أخذ دينه من غير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد اتخذ شريكًا مع الله والعياذ بالله.

اللهم ثبتنا على سُنَّة نبيك ، وارزقنا طاعته ، وجنبنا البدع والمحدثات .



الخطبة الثانية :

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه ، حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشأنه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، الداعي إلى رضوانه ، والصلاة والسلام عليه وعلى آله وأصحابه ، أزواجه وإخوانه .

أما بعد:

فإن مما يخل بشهادة أن محمدًا رسول الله، لهوالتحذير من السُّنَّة وأهل السُّنَّة والاستهزاء ببعض السنن التي جاءت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو التحذير منها، كالعمامة والقميص القصير واللحية والسواك ونحوذلك، فمن فعل ذلك فإنه يخشى عليه من الكفر والعياذ بالله لقوله تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٥ ، ٦٦] .

وسبب نزول هذه الآية كما ذكره ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس :ما رأيت مثل قُرائنا هؤلاء، أرغبَ بطونا، ولا أكذبَ ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المسجد: كذبتَ، ولكنك منافق. لأخبرن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبلغ ذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: وأنا رأيته متعلقا بحَقَب ناقة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنكُبُه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ

وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾ .

فهذا هو معنى أشهد أن محمدًا رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فيجب على الناس كلهم أن يقولوهاويتعلموا معناها ويعملوا بمقتضاها قَالَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ﴾ [الأنعام:١٣٠] .

وروى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**».

ومما يجدرالتنبيه عليه أن السُّنَّة محفوظة بحفظ الله لها كما حفظ القرآن الكريم إلى قيام الساعة قَالَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ [الحِجر:٩] والذكر: هو الكتاب والسُّنَّة فهما وحيان نزلا من السماء.

ومن الأدلة على أن السُّنَّة وحي من السماء قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤** ﴾[النجم:٣-٤] فالسُّنَّة وحي يوحى، لأنه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم ينطق عن هواه ولا من ذات نفسه ، فإنه لا ينطق في أمور الدين إلا بوحي كما ذكر الله في الآية الآنفة الذكر.

قال المفسر السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: أي: لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتقوى، في نفسه وفي غيره.

ودل هذا على أن السُّنَّة وحي من الله لرسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كما قَالَتَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله

تعالى وعن شرعه، لأن كلامه لا يصدر عن هوى، وإنما يصدر عن وحي يوحى. اهـ

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ أي: القرآن والسُّنَّة. اهـ

فإذا تقرر أن السُّنَّة وحي من السماء، فهي إذن من الذكر الذي تكفل الله بحفظه فلا تنفق الشبهات على أحد بأن السُّنَّة قد حرفت أو بدلت أو صارت أحاديث ضعيفة فهذه مشاقة للقرآن وتكذيب للواقع فإنه لا غنى عن السُّنَّة لأنها تبين لنا ما أجمل في القرآن وتخصص ما عمم في القرآن وتقييد ما أطلق في القرآن وتوضح ما أشكل في القرآن كعدد الصلوات والركعات ومقادير الزكوات والنفقات وغير ذلك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤﴾[النحل:٦٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾[النحل:٤٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**» يَعْنِي: السُّنَّةَ. وَالسُّنَّةُ أَيْضًا تَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ، كَمَا يَنْزِلُ الْقُرْآنُ؛ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُتْلَى كَمَا يُتْلَى الْقُرْآنُ، وَقَدِ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَى ذَلِكَ بِأَدِلَّةٍ كَثِيرَة. اهـ

واعلموا أن الله قد قيض للسُّنَّة رجالًا وأعلامًا ربانيين، يهذبونها ويبينون صحيحها من ضعيفها فيدلون الناس على الصحيح منها ويحذرونهم من الضعيف، وهذا مِنْ حفظ الله للسُّنَّة ، إذ لم يستطع الملاحدة وأعداء السُّنَّة

أن يدخلوا في السُّنَّة ما ليس فيها، وإذا أرادوا ذلك فإنهم يفضحون وتفضح أقاويلهم ويرد عليهم جهابذة الإسلام وعلماؤه الأعلام ولله الحمد والمنة.

فلا تصغوا لهذه الشبه الباطلة العارية عن الدليل والبرهان، ولا تخالفوا سُنَّة سيد المرسلين ولا تبدعوا في الدين، فإن الله قد أكمل دينه، وأتم نعمته على عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

فالكتاب والسُّنَّة هما المصدران الوحيدان للتشريع، فمن تمسك بهما فإنه لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ومن خالف السُّنَّة أو ابتدع في الدين فقد شاق الله ورسوله وعرض نفسه للعقوبة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: وَمَنْ سَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَصَارَ فِي شِقٍّ وَالشَّرْعُ فِي شِقٍّ، وَذَلِكَ عَنْ عَمْد مِنْهُ بَعْدَمَا ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ وَتَبَيَّنَ لَهُ وَاتَّضَحَ لَهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هَذَا مُلَازِمٌ لِلصِّفَةِ الْأُولَى، وَلَكِنْ قَدْ تَكُونُ الْمُخَالَفَةُ لِنَصِّ الشَّارِعِ، وَقَدْ تَكُونُ لِمَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّة فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضُمِنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أهـ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: نتركه وما اختاره لنفسه، ونخذله فلا نوفقه للخير، لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزاؤه من الله عدلًا أن يبقيه في ضلاله حائرا ويزداد ضلالا إلى ضلاله. ونعذبه في جهنم عذابًا عظيمًا وساءت مرجعًا ومآلا. اهـ بمعناه.

وفي هذه الآية دلالة على وجوب أخذ الكتاب والسُّنَّة على فهم السلف الصالح ووجوب اتباعهم ، وفيها الوعيد على مخالفتهم وذلك من قوله تعالى: ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ .

كتاب وسُنَّة على فهم سلف الأمة، وذلك لأنهم عايشوا نزول القرآن الكريم وأخذوا السُّنَّة من صاحبها وهم أهل اللغة ونزل القرآن بلغتهم ، وشهدوا الأحداث والوقائع التي نزل بسببها القرآن، وهم أهل القرون المفضلة، فتعين فهم نصوص الكتاب والسُّنَّة على فهمهم والرجوع إلى أقوالهم، عند الاختلاف وعند المشكلات وغيرذلك .

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ، يَقُولُ : «**إِنَّ أُمَّتِي لاَ تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلاَلَةٍ** » رواه الترمذي وابن ماجه.

وروى الترمذي عن العرباض رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، قال : «**عليكم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ** ».

وغيرذلك من الأدلة في وجوب اتباع السلف الصالح.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يثبتنا على السُّنَّة، وأن يتوفانا عليها وأن يزيدنا من فضله العظيم، والحمد لله رب العالمين.

٥

(فضائل الصلاة وأهميتها)

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الأخوة المسلمون:

أخرج الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ:**

شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ » .

فهذا الحديث العظيم يبين أركان الإسلام ودعائمه العظام، ألا وإن أهمها بعد الشهادتين لهو إقام الصلاة.

فالصلاة يا عباد الله هي الصلة بين العبد وربه، وهي العهد الذي بين المسلمين والمنافقين والمشركين وهي عنوان الفلاح والسعادة في الدارين، وهي راحة المؤمنين ومرضاة رب العالمين، وطريق عظيم إلى جنات النعيم، وهي أول ما يحاسب عليه العباد يوم الدين، فإن صلحت كان صاحبها من الفائزين، وإن فسدت كان من الخاسرين، ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ** ﴿٩٨﴾ ﴾ [الحِجر:٩٨] ،﴿ **وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ** ﴿٤٣﴾ ﴾[البقرة:٤٣].

ولأهميتها وشرفها فرضت في السماء، ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند سدرة المنتهى، شرعت خمسين صلاة ، فخففت إلى خمس صلوات أجرها أجر خمسين صلاة رحمة بهذه الأمة ، كما في الحديث الطويل الذي رواه البخاري ومسلم، عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهي عمود الدين والشرع القويم وصراطه المستقيم ، قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ** ﴿٥﴾ ﴾[البيِّنة:٥] .

وهي أصل أصيل وشرع قويم لجميع الأديان السابقة وعبادة عظيمة لجميع الأمم السالفة ، قَالَ تَعَالَىٰ عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ **رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ** ﴿٤٠﴾ ﴾[إبراهيم:٤٠] .

وقال تعالى عن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم:٥٥] .

وقال تعالى عن موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[يونس:٨٧] .

وقال تعالى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾[مريم:٣١] .

وقال تعالى عن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾ [آل عمران:٣٩] .

وقال تعالى لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه:١٣٢] وقد أخذ بعض أهل العلم من هذه الآية أن الصلاة من أعظم أسباب الرزق والبركة فيه.

فالصلاة ـ عباد الله ـ هي أفضل الأعمال لما روى الإمام ابن ماجهْ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةَ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**» أي: استقيموا على دين الله وحافظوا على الأعمال الصالحة ومنها الصلاة فهي خير هذه الأعمال فلن تحصوا ثواب الاستقامة وثواب الصلاة التي لا يعلم قدرها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأنها جامعة لكل عبادة من قراءة وتسبيح وتكبير وتهليل وإمساك عن كلام البشر والمفطرات وهي معراج المؤمن ومقربته إلى جناب ربه. اهـ

ويزيد فضل الصلاة إذا كانت في أول وقتها لما روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا**»، **قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:** «**ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ**» **قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:** «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**» **وفي رواية:** «**الصلاة لوقتها**».

فانظر أيها المسلم كيف قدم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلاة على وقتها على الجهاد في سبيل الله وذلك لأن الصلاة من أعظم الجهاد، فيحتاج العبد إلى أن يجاهد نفسه على الصلاة ليؤديها في أول وقتهابدون تقديم ولا تاخير، ويقوم بشروطها وأركانها ، لا سيما ونحن في زمن كثر فيه التهاون بالصلاة وكثر فيه التلاعب بأوقات الصلوات فهذا يؤخرها إلى آخر وقتها، وهذا ربما جمع بين صلاتين بغير عذر، وهذا ربما أذن للصلاة قبل دخول وقتها كما هو حال كثير من أئمة المساجد ومؤذنيها وهؤلاء أخلوا بشرط من شروط الصلاة وهو دخول الوقت، فيخشى على صلاتهم من البطلان فجاهدوا أنفسكم على الصلاة واحرصوا على أن تكون في وقتها لتكون صحيحة ومقبولة عند الله بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

واعلموا -عباد الله- أن الصلاة راحة للقلوب وسكينة للجوارح وفرج للهموم ومخرج للضيق إذا كانت بشروطها وأركانها مع حضور القلب فيها وخشوع الجوارح ، فلهذا أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالاستعانة بها فقال: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾** ﴾ [البقرة:١٥٣] .

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾** ﴾ [البقرة:٤٥] .

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: وأمر تعالى بالاستعانة بالصلاة لأن الصلاة هي عماد الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فإذا

كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعا فيها ما يلزم فيها، وما يسن، وحصل فيها حضور القلب، الذي هو لبها فصار العبد إذا دخل فيها، استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه، موقف العبد الخادم المتأدب، مستحضرا لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقا بمناجاة ربه ودعائه لا جرم أن هذه الصلاة، من أكبر المعونة على جميع الأمور، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة، يوجب للعبد في قلبه، وصفا، وداعيا يدعوه إلى امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه، هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء. اهـ

وكل إنسان يكون له حظ من هذا على حسب خشوعه واستحضاره لعظمة ربه في صلاته، فمستقل ومستكثر، أما من لم يخشع في صلاته ولم يستحضر ما يقوله في صلاته فستكون الصلاة ثقيلة عليه على حسب غفلته وسهوه فيها كما قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة:٤٥] .

قال السعدي: أي: شاقة ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ فإنها سهلة عليهم خفيفة؛ لأن الخشوع، وخشية الله، ورجاء ما عنده يوجب له فعلها، منشرحا صدره لترقبه للثواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه. والخشوع هو: خضوع القلب وطمأنينته، وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه، ذلا وافتقارا، وإيمانا به وبلقائه. اهـ

فمن كان كذلك فليبشر بخير الله وثوابه،ونصره وتأييده ، وعونه وتسديده، وهذه هي المعية التي وعدها الله بني إسرائيل في كتابه الكريم إن هم أقاموا الصلاة وذلك عام لهم ولغيرهم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ

لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[المائدة:١٢] وهذا عام لكل من اتصف بهذه الصفات وقام بهذه الأعمال ؛ ومنها إقامة الصلاة .

ولهذا كان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اغتم بشيء أو أشكل عليه شيء أو أحزنه شيء فزع إلى الصلاة وقال:« أرحنا بها يا بلال». فالصلاة راحة للأبدان وطمأنينة للقلوب، فقد روى أبو داود عن حُذَيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: « كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حَزَبَهُ أمْرٌ صَلَّى». أي: أهمه وأغمه يفزع إلى الصلاة ولا تقر عينه إلا بالصلاة لما جاء عند الإمام النسائي عَنْ أَنَسٍ بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**» .

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لأن الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة، ..ولأن فيها نعيمه وبها تطيب حياته. اهـ

ومن هذا الباب شرعت ركعتان للاستخارة وهي ركعتان يستخير العبد ربه في أمر أشكل عليه هل الخير في فعله أم في تركه، فإذا صلى ركعتين فاستخار الله وفقه فإن كان في الأمر خير يسره له ، وإن كان فيه شر صرفه عنه.

ومن فضائل الصلاة : أنها وقاية للعبد من الفواحش، ومطهرة من الخطايا، ومطفئة لنار الذنوب.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[العنكبوت:٤٥] .

فالصلاة التي لا تنهى صاحبها عن الفواحش والمنكرات ، فهي ناقصة ؛ وفيها خلل.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، لَمْ يَزْدَدْ بِهَا مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا**».

وقال أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّ الصَّلَاةَ فِيهَا ثَلَاثُ خِصَالٍ فَكُلُّ صَلَاةٍ لَا يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْخِلَالِ فَلَيْسَتْ بِصَلَاةٍ: الْإِخْلَاصُ، وَالْخَشْيَةُ، وَذِكْرُ اللهِ. فَالْإِخْلَاصُ يَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْخَشْيَةُ تَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَذِكْرُ اللهِ الْقُرْآنِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ.

وَقَالَ ابْنُ عَوْن الْأَنْصَارِيُّ: إِذَا كُنْتَ فِي صَلَاةٍ فَأَنْتَ فِي مَعْرُوفٍ، وَقَدْ حَجَزَتْكَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَر. اهـ.

ومن فضائل الصلاة أنها تزكي العبد وتطهره من ذنوبه فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا ببَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ** ». قَالُوا لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ.**قَالَ** : « **فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا** ».

فكما أن الاغتسال خمس مرات في اليوم يطهر الجسد ولا يبقي من الوسخ شيئًا، فكذلك الصلوات الخمس تكفر الذنوب في سائر اليوم ، وذلك كل يوم ، وانظر كيف مثل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذنوب بالوسخ والصلاة بالماء بجامع التطهير،فالماء يطهر حسيًا والصلاة تطهر معنويًا وهذا من بلاغة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذلك بأنه شبه الصلاة بماء الإطفاء وشبه الذنوب بالنار، وذلك لأن الذنوب هي في الحقيقة نار القلوب تحرقها حتى تسود فإذا اسودت فسدت

وإذا فسدت فسد الجسد وفسد صاحبه ومن ثَمَّ تفسد عليه حياته الدينية والدنيوية ، فينتقل من الاحتراق المعنوي الذي هونار الذنوب إلى الاحتراق الحسي الذي هو نار الآخرة والعياذ بالله.

فإن للذنوب حرارة في القلوب تحتاج إلى تبريدوإطفاء، فالصلاة هي التي تطفئ هذه النيران بإذن الله تطفئ نيران الذنوب، و نيران جهنم، بل وتدافع عن صاحبها في قبره ، وحرم الله على النار أن تأكل مواضع السجود إن دخلها العبد بسبب ذنوبه، فلا تتهاون بالصلاة يا مسلم ولا تستهن بها فشأنها عظيم وثوابها جزيل وأثرها كبير في حياة العبد.

أخرج الطبراني عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**تَحْتَرِقُونَ، تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْفَجْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الظُّهْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعَصْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْمُغْرِبَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعِشَاءَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَنَامُونَ فَلَا يُكْتَبُ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ حَتَّى تَسْتَيْقِظُوا**».

فيؤخذ من هذا الحديث أن كل عبد لا يسلم من الذنوب إلا من سلم الله ، لكن جعل الله لهذه الذنوب مكفرات ومنها الصلاة ، فإذا اقترف العبد ذنبًا في الليل كفرته صلاة الفجر،وإذا اقترف ذنوبا في أول النهار كفرته صلاة الظهر، وإذا اقترف ذنوبا بعد صلاة الظهر كفرتها صلاة العصر، وهكذا في صلاة المغرب والعشاء وثبت عند الطبراني عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِنَّ الْمُسْلِمَ يُصَلِّي وَخَطَايَاهُ مَرْفُوعَةٌ عَلَى رَأْسِهِ، كُلَّمَا سَجَدَ تَحَاتْ عنه، فَيَفْرُغُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ صَلَاتِهِ، وَقَدْ تَحَاتَتْ خَطَايَاهُ**» .

ولله ملك ينادي عند كل صلاة فيقول: يا بنى آدم قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها فأطفئوها. رواه الطبراني عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فالصلاة الخمس تكفر ذنوب اليوم كله وصلاة الجمعة إلى الجمعة تكفر ذنوب الأسبوع وهذا من كرم الله ولطفه بخلقه، فقد جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُولُ: «**الصَّلَوَاتُ الْخُمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**» لكن هناك شرط وهو اجتناب الكبائر فقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن هذا التكفير لا يحصل مع وجود الكبائر بمعنى أن الصلاة لا تكفر ذنوب الذي يرتكب الكبائر وإنما تكفر الصغائر فقط إذا لم توجد كبائر، لكن فضل الله واسع ورحمته قريب من المحسنين، ولكن يجب الابتعاد عن الكبائر لأنها خطيرة على العبد ولأن الكبائر لا تكفرها الصلاة والصيام وسائر الأعمال.

قال أهل العلم: إن الصلاة لا تكفر الكبائر فإنها تحتاج إلى توبة وإنما تكفر الصلاة صغائر الذنوب ، لكن إذا كثرت النوافل وأعمال البر من الصلاة والصيام والصدقة والذكر وغيرها وكفرت الصغائر فلم يبق صغيرة فيرجى أن هذه الأعمال تكفر من الكبائر أو تخففها بفضل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ .

قال النووي رَحِمَهُٱللَّهُ بعد أن ذكر جملة من المكفرات مثل صيام عرفة وعاشوراء والوضوء وغير ذلك إذا اجتمعت، قال: إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ صَالِحٌ لِلتَّكْفِيرِ فَإِنْ وَجَدَ مَا تكَفِّرُهُ من الصغائركفرته ، وإن لم تصادف صغيرة ولا كبيرة كتبت له حسنات ورفعت له به درجات وإن صَادَفَتْ كَبِيرَةً أَوْ كَبَائِرَ وَلَمْ تصَادِفْ صَغِيرَةً رَجَوْنَا أَنْ يُخَفِّفَ مِنَ الْكَبَائِرِ وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ

وقال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكبائر الذنوب هي: كل ذنب رتب عليه الشارع عقوبة خاصة، فكل ذنب لعن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعله فهو من كبائر الذنوب، كل شيء فيه حد في الدنيا كالزنى، أو وعيد في الآخرة كأكل الربا، أو فيه نفي إيمان، مثل (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، أو فيه براءة منه، مثل (من غشنا فليس منَّا)، أو ما أشبه ذلك فهو من كبائر الذنوب. اهـ

فهذا هو ضابط الكبيرة فيجب على المسلم أن يجتنب جميع الذنوب صغيرها وكبيرها وما أحسن قول القائل:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى





الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد:

فقد أخرج الطبراني من حديث عبد الله بن قُرْط ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن النَّبِي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ**» ، وفي رواية عند الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « **فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ** ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : (فإن صلحت) أي: كان قد صلاها متوفرة الشروط والأركان وشملها القبول صلح له سائر عمله يعني سُومِح له في جميع أعماله ولم يُضايَق في شيء منها في جانب ما واضب من إدامة الصلاة التي هي علم الدين وإن فسدت بأن لم تكن كذلك فسد سائر عمله أي ضُويِق فيه واستقصى وحُكِم بفساده. اهـ

فالعاقل اللبيب هو الذي يعتني بصلاته ويعقل ما فيها ويتقنها لأنها أساس الأعمال وسبيل النجاة ووقاية من عذاب القبر والنار.

فقد روى الطبراني عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إن الميت إذا وضع في قبره إِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ**

عَنْهُ مدبرين ، **فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَالزَّكَاةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَالصَّوْمُ عَنْ شِمَالِهِ، وَفِعْلُ الْخَيْرَاتِ وَالْمَعْرُوفُ وَالْإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: لَيْسَ قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: لَيْسَ مِنْ قِبَلِي مَدْخَلٌ ...** » الحديث

فانظريا عبد الله كيف تنافح الصلاة عن صاحبها فتقول: (ما قبلي مدخل) أي: لا يمكن أن يعذب من جهة الصلاة فإنه كان محافظا عليها، فهذا النجاة في القبر، وأما يوم القيامة فإن المصلين يأتون غرا محجلين من آثار الوضوء «سيماهم في وجوههم من أثر السجود» يفوزون بالنعيم وينجون من الجحيم، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» رواه مسلم عن أبي زهير عُمَارَةَ بْنِ رُؤَيْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وخص بالذكر صلاة الفجر والعصر لأنهما علامة على غيرهما من الصلوات، فإن من حافظ على صلاتي الفجر والعصر فهو لما سوهما أحفظ، ومن ضيعهما فهو لما سواهما أضيع،ولأن هاتين الصلاتين لهما فضل على غيرهما من الصلوات.

قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ : خص هاتين الصلاتين لأن وقت الصبح وقت لذة - يقصد لذة النوم - فالقيام أشق على النفس منه في غيره، والعصر وقت قوة الاشتغال بالتجارة، فما يتلهى عن ذلك إلا من كمل دينه ولأن الوقتين مشهودان تشهدهما ملائكة الليل والنهار، وترفع فيهما الأعمال، فإذا حافظ عليهما مع ما فيهما من التثاقل والتشاغل، فمحافظته على غيرهما أشد، وما عسى أن يقع منه تفريط فبالحرى أن يقع مكفرًا فلن يلج النار. اهـ

وإذا كان المصلي لا يدخل النار فإنه سيدخل الجنة، لما روى البخاري ومسلم عن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ**» .

والبردان هما صلاة الفجر والعصر وسميتا بذلك لأنه اجتمع فيهما بردُ الليل وبردُالنهار، فبرد الليل في صلاة الفجر وبرد النهار في صلاة العصر.

ويقال في هذا الحديث ما قيل في الحديث الذي قبله من تخصيص صلاة الفجر والعصر، وإلا فالفضل عام في جميع الصلوات، وهناك أدلة عامة في أن من حافظ على الصلوات عمومًا أورثه الله جنات الفردوس التي هي أفضل مكان وأعلى مكان في الجنة، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون:١-١١].

ولأهمية الصلوات فقد ذكرها الله في هذه الآيات مرتين فابتدأها بالخشوع في الصلاة واختتمها بالمحافظة عليها.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: أي: قد فازوا وسعدوا ونجحوا، وأدركوا كل ما يرام المؤمنون الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين الذين من صفاتهم الكاملة أنهم﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾.

والخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرا لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدبا بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار الردية، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع

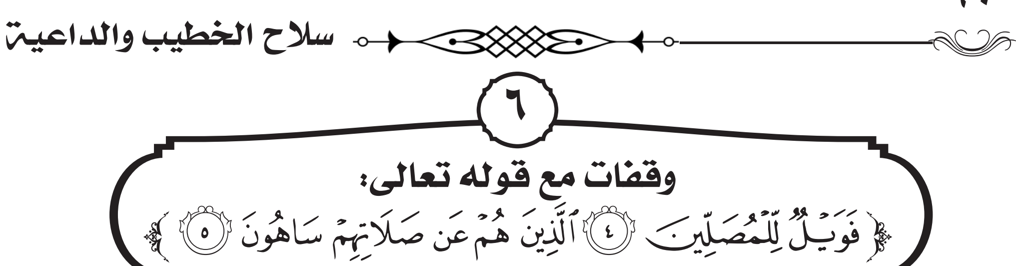
فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة مثابا عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها..

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ أي: يداومون عليها في أوقاتها وحدودها وأشراطها وأركانها، فمدحهم بالخشوع بالصلاة، وبالمحافظة عليها، لأنه لا يتم أمرهم إلا بالأمرين، فمن يداوم على الصلاة من غير خشوع، أو على الخشوع من دون محافظة عليها، فإنه مذموم ناقص. اهـ

فلشرف الصلاة وفضلها ورث الله سبحانه أصحابها أعلى ا لجنان وأحسنها وهي الفردوس الأعلى لما روى الترمذي وغيره عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **ذَرِ النَّاسَ يَعْمَلُونَ فَإِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَالفِرْدَوْسُ أَعْلَى الجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا، وَفَوْقَ ذَلِكَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ** ».

فالصلاة الصلاة يا عباد الله ، فإنها آخر وصية للرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان آخِرُ كلام رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**الصلاةَ الصلاةَ، اتقوا الله فيما مَلَكَتْ أيمانُكم**» رواه أبو داود

اللهم حبب إلينا الصلاة ، واجعلها قرة أعيننا ، وثبتنا عليها ، وتوفنا ساجدين ، واجعلنا من أهل الفردوس ، خالدين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخُطْبَةُ الأُولَى:

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله:

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلقنا لحكمة بالغة ، وغاية حميدة ، وهي عبادته، وحده

لا شريك له ، ويسر لنا أسباب العبادة وطرق المعيشة وتكفل بها ؛ لنستعين بها على طاعته، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] .

وإن من أعظم العبادات التي أمر الله بها لهي الصلوات التي هي عماد الأديان وسبب الغفران ومرضات الرحمن وطريق الجنان، والنجاة من النيران.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البيِّنة:٥] .

فمن حافظ على الصلاة أكرمه الله ومن ضيعها فهو معرض لإهانة الله وعذابه ، قَالَ تَعَالَىٰ في محكم التنزيل:﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الماعون:٤-٥] .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله ﴿ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾: قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سَاهٍ عَنْهَا لَا يُبَالِي صَلَّى أَمْ لم يصل. قيل: لَا يَرْجُونَ لَهَا ثَوَابًا إِنْ صَلَّوْا وَلَا يَخَافُونَ عِقَابًا إِنْ تَرَكُوا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : غَافِلُونَ عَنْهَا يَتَهَاوَنُونَ بِهَا.

وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الَّذِي إِنْ صَلَّاهَا صَلَّاهَا رِيَاءً، وَإِنْ فَاتَتْهُ لَمْ يَنْدَمْ.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : لَا يُصَلُّونَهَا لِمَوَاقِيتِهَا وَلَا يُتِمُّونَ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا. اهـ

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾: أي عذاب عظيم للمتهاونين بالصلاة فإذا كان هذا الوعيد في حق المصلين فكيف بمن تركها بالكلية فالعقوبة أعظم والجرم أكبر.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ: ﴿ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ أَيْ: الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ

وَقَدِ الْتَزَمُوا بِهَا، ثُمَّ هُمْ عَنْهَا سَاهُونَ، إِمَّا عَنْ فِعْلِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَإِمَّا عَنْ فِعْلِهَا فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ لَهَا شَرْعًا، فَيُخْرِجُهَا عَنْ وَقْتِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، كَمَا قَالَهُ مَسْرُوقٌ، وَأَبُو الضُّحَى.

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي قَالَ: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وَلَمْ يَقِلْ: فِي صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ.

وَإِمَّا عَنْ وَقْتِهَا الْأَوَّلِ فَيُؤَخِّرُونَهَا إِلَى آخِرِهِ دَائِمًا أَوْ غَالِبًا. وَإِمَّا عَنْ أَدَائِهَا بِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ. وَإِمَّا عَنِ الْخُشُوعِ فِيهَا والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل هذا كله، ولكن مَنِ اتَّصَفَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فله قِسْطٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ. وَمَنِ اتَّصَفَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، فَقَدْ تَمَّ نَصِيبُهُ مِنْهَا، وَكَمُلَ لَهُ النِّفَاقُ الْعَمَلِيُّ. كَمَا ثَبَتَ فِي صحيح مسلم أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللهُ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**» فَهَذَا آخَرَ صَلَاةَ الْعَصْرِ الَّتِي هِيَ الْوُسْطَى، كَمَا ثَبَتَ بِهِ النَّصُّ إِلَى آخِرِ وَقْتِهَا، وَهُوَ وَقْتُ كَرَاهَةٍ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَنَقَرَهَا نَقْرَ الْغُرَابِ، لَمْ يَطْمَئِنَّ وَلَا خَشَعَ فِيهَا أَيْضًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: «**لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**» . اهـ

وقَالَ تَعَالَى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم:٥٩] أي خسارا يوم القيامة.

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَضاعُوا الصَّلاةَ أي: تَرَكُوا الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَإِبْرَاهِيمُ: أَخَّرُوهَا عَنْ وَقْتِهَا.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ : هُوَ أَنْ لَا يُصَلِّيَ الظُّهْرَ حَتَّى يَأْتِيَ الْعَصْرُ وَلَا الْعَصْرَ حَتَّى تغرب الشمس. اهـ

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ أي: عذابًا مضاعفًا شديدًا. اهـ

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الحسن: عطلوا المساجد ولزموا الضيعات. اهـ

فانظر يا عبد الله إذا كان هذا في حق المصلين المتهاونين بالصلاة، ألا ليت شعري ما حال من يترك الصلوات بالكلية؟! ، كيف سيكون حالهم يوم القيامة؟!.

فاحذر يا مسلم من التهاون بالصلوات، فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَا تَتْرُكِ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا، فَإِنَّهُ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ وَرَسُولِهِ**» رواه أحمد عن أم أيمن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقد برئت منه ذمة الحفظ؛ لأنه ألقى بيده إلى التهلكة وغرر بنفسه. اهـ

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ذمة الله): عهد الله وأمانته، لأن لكل أحد عهدا بالحفظ والكلاءة. اهـ

وقال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلا يبقى آمنا فلا أمن من الله في الدنيا ، ولا في الآخرة .أو كما قال. اهـ

وقال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يبقى له احترام فعرض نفسه للحبس والعقوبة. اهـ

وبالعكس من حافظ على الصلوات فهو في ذمة الله، خصوصًا صلاة الفجر مع الجماعة.

فقد روى مسلم عن جُنْدَب بْن عَبْدِ الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ**

بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»

وفي رواية عند ابن ماجه: «**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ في جماعة فَهُوَ فِي ذِمَّةِ الله** » .

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فَهُوَ فِي ذِمَّةِ الله** » عهده أو أمانه أو ضمانه فلا تتعرضوا له بالأذى ، فمن آذاه فإن الباري سيأخذ حقه منه في إخفار ذمته. اهـ

فمن ضيع الصلاة فقد ضيع نفسه وأضاع حظه وعرض نفسه للأخطار في الدنيا والعقوبات في الآخرة فليس له عهد في الدنيا ولا نجاة يوم القيامة.

قال الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لا حظ في الإسلام لمن ضيع الصلاة. أي: ليس له نصيب بمعنى : ليس له كبير حظ في الإسلام .

فإياكم والتهاون بالصلوات فليس فيها مشقة أو كلفة ، ولا تحتاج إلى كثير وقت أوكبير جهد، فهي سهلة وأسبابها ميسرة، وهي خمس في العمل و خمسون في الميزان ، أولها صلاة الفجر وآخرها صلاة العشاء فيبدأ العبد يومه بها ويختم بها، فهذه نعمة عظيمة أن يفتتح العبد يومه بمناجاة ربه ويختم بذلك، لكنها ثقيلة على المنافقين لاسيما صلاة الفجر والعشاء فإياك أن تتشبه بهم، فقد ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**» ، وفي رواية لهما: «**وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا**» يَعْنِي صَلَاةَ الْعِشَاء.

فلو يعلم هؤلاء المتخلفون عن صلاة الفجر والعشاء ما فيهما من الأجور لأتوهما ولو على صدورهم، لكن الكثير لا يبالون بذلك، بسبب زهدهم في

الآخرة وغفلتهم عما عند الله ، إلا من رحم الله، ولو كانت هناك مصلحة دنيوية تترتب على صلاة العشاء والفجر لحضروها كما أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا**» يعني لو كان هناك لحوم وموائد لحضرها، وهذا هو واقع كثير من الناس يزدحمون حول الموائد والقدور ولا يبالون بالصلوات والأجور إلا ما رحم ربنا العزيز الغفور.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢] .

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والصبح »، وذلك لأن العشاء وقت استراحة والصبح وقت لذة النوم صيفا وشدة البرد شتاء وأما المتمكنون في إيمانهم فتطيب لهم هذه المشقات لنيل الدرجات لأن نفوسهم مرتاضة بأمثالها متوقعة في مقابلة ذلك ما تستخف لأجله المشاق وتستلذ بسببه المتاعب لما تعتقده في ذلك من الفوز العظيم بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الأليم ، ومن ثم كانت قرة عين المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاة ، ومن طاب له شئ ورغب فيه حق رغبته ، احتمل شدته بل تصير لذته ولم يبال بما يلقى من مؤنته ، ومن أحب شيئًا حق محبته أحب احتمال محنته حتى إنه ليجد بتلك المحنة ضروبًا من اللذة ، ألا ترى جاني العسل لا يبالي بلسع النحل لما يتذكر من حلاوة العسل ؟. اهـ

أما المؤمن الخاشع في صلاته فإنها خفيفة عنده مشتاق لفعلها لا يرتاح إلا بها ولا تقر عينه إلا فيها ولا يهدأ له بال إلا بأدائها ، فيقيمها منشرحًا بها صدره لعلمه أنه يناجي ربه، محتسبا لثوابه، خائفا من عقابه، فمن تلذذ بالصلاة واستحضر وقوفه بين يدي مولاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واحتسب ما أعد الله له من الأجر والثواب سهلت عليه، ومن ليس كذلك فإنها تثقل عليه الصلوات

كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة:٤٥] .

قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لأن أصلي الصبح في جماعة أحب إلي من قيام ليلة.

وقال عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: من شهد العشاء فكأنما قام نصف الليل ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة، وثبت هذا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كنا إذا فقدنا الرجل في صلاة العشاء أو الصبح أسأنا به الظن.

وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتفقد المصلين في هاتين الصلاتين لأهميتهما، فقد روى أحمد عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «**أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟**». قَالُوا: لَا، فَقَالَ: «**أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟**» فَقَالُوا: لَا، لِنَفَرٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ لَمْ يَشْهَدُوا الصَّلَاةَ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ أَثْقَلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**» .

فاحذر أخي المسلم من التهاون بهذه الصلاة ، فكما أنه قد رتب على أدائها أجور عظيمة، فكذلك قد رتب على تضييعها عقوبات وخيمة، فإن الذي ينام عن صلاة مكتوبة فإنه يعذب في قبره، لما روى البخاري من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل ونقتصر على موضع الشاهد

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ**

فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الأُولَى» قَالَ: « قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ الله مَا هَذَانِ؟ ، قَالَ: « **قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ** ...» الحديث ثم ذكر الحديث وقال في آخره: «**أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ المَكْتُوبَةِ**».

ويدخل في الصلاة المكتوبة دخولا أوليًا صلاة الفجر فغالب ما ينام المتهاون عنها.

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا إنما يتوجه إلى تضييع صلاة الصبح وحدها، لأنها هي التي تبطل بالنوم، وهى التى أكد الله المحافظة عليها، وفيها تجتمع الملائكة، وسائرُ الصلوات إذ ضُيعت فحملها محملها، لكن لهذه الفضل. اهـ

بمعنى أن من نام عن أي صلاة مكتوبة حتى خرج وقتها متساهلا ومتكاسلا فإنه يعذب بتلك الصخرة في قبره فقد أمر الله بالمحافظة على الصلوات عمومًا وعلى صلاة العصروالفجر على وجه الخصوص ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ** ﴿٢٣٨﴾ ﴾[البقرة:٢٣٨] .

والصلاة الوسطى هي صلاة العصر لما روى البخاري ومسلم عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَلأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةِ الوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ**» .

وقد أقسم الله بصلاة العصرلأهميتها، ولأنها الصلاة الوسطى كما ذكر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وصلاة العصر مشهودة تحضرها الملائكة، فمن حافظ عليها فله أجره مرتين ومن تركها عمدًا بغير عذر، فقد حبط عمله، وعرض نفسه للعقوبه.

فقد روى مسلم عَنْ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْعَصْرَ بِالْمُخَمَّصِ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ عُرِضَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَضَيَّعُوهَا، فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ..**» الحديث

ومن تركها عمدًا فقد حبط عمله في سائر يومه ذلك لما روى البخاري عن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبِي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**» . وهكذا يخشى على من ترك صلاة من الصلوات أن يحبط عمله.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ حَبطَ عَمَلُهُ وَهَذَا إنما يكون في العامد قال بن عَبْدِ الْبَرِّ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَلْحَقَ بِالْعَصْرِ بَاقِي الصَّلَوَاتِ وَيَكُونُ نَبَّهَ بِالْعَصْرِ عَلَى غَيْرِهَا وَإِنَّمَا خَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا تَأْتِي وَقْتَ تَعَبِ النَّاسِ مِنْ مُقَاسَاةِ أَعْمَالِهِمْ وَحِرْصِهِمْ عَلَى قَضَاءِ أَشْغَالِهِمْ » . اهـ

ويكون مع هذا كالخاسر لأهله وماله، فضيع دينه ودنياه بضياع صلاة العصر، فأي حياة يعيشها هذا الصنف من الناس؟!، وأعجب من هذا أن الكثير قد سمع الوعيد الشديد في حق المتهاونين بالصلاة، فقد جاء في الصحيحين عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**الَّذِي تَفُوتُهُ صَلاةُ الْعَصْرِ، كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ**» .

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي انتزع أهله وماله.

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: سلب أهله وماله وبقي بلا أهل ولا مال. اهـ

وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: والقصد هو الحث عليها والتحذير من فوتها كحذره من ذهاب أهله وماله وخص صلاة العصر لاجتماع ملائكة الليل والنهار فيها أو أن صلاة العصر لا عذر لأحد في تفويتها لكونه وقت يقظة. اهـ

نسأل الله أن يعيننا على طاعته.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عبده ورسوله الذي اصطفى وعلى آله وصحبه ومن بآثاره اقتفى.

أما بعد:

فإن من تمام المحافظة على الصلاة، لهو المحافظة على أوقاتها المفضلة بأن تكون في أول وقتها.

فقد جاء في الصحيحين عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا**» الحديث وفي رواية: «في أول وقتها» .

وإن من تضييعها ضياع أوقاتها بأن يصليها قبل دخول وقتها أو بعد خروجه، أو يجمع بين صلاتين بغير عذر فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾[النساء:١٠٣] .

فالذي يصلي الصلاة لغير وقتها فصلاته باطلة لأن دخول الوقت شرط لصحة الصلاة فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ ﴾ [مريم:٥٩] أنهم ضيعوا أوقاتها ولم يضيعوها بالكلية.

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها: وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَإِبْرَاهِيمُ: أَخَّرُوهَا عَنْ وَقْتِهَا، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: هُوَ أَنْ لَا يُصَلِّيَ الظُّهْرَ حَتَّى يَأْتِيَ الْعَصْرُ وَلَا الْعَصْرَ حَتَّى تغرب الشمس. اهـ

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن عمر بن عبد العزيز: لم تكن إضاعتهم تركها ولكنهم أضاعوا الوقت. اهـ

وتقدم تفسير قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾[الماعون:٤-٥] أنه يدخل في ذلك ضياع أوقاتها أو التهاون بها .

وإن من تمام المحافظة على الصلوات لهوالمحافظة عليها مع الجماعة لقوله تعالى:﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [البقرة:٤٣] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: أي: صلوا مع المصلين، ففيه الأمر بالجماعة للصلاة ووجوبها. اهـ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَدِ اسْتَدَلَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وُجُوبِ الْجَمَاعَةِ.اهـ

فالجماعة واجبة على الاثنين فما فوقهم وإن تهاونوا بالجماعة فقد تسلط عليهم الشيطان واستولى عليهم، وأيما قرية لا تقام فيها الجماعة فهي قرية سوء بعيدة عن الخير، لما روى أبو داود عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «**ما من ثلاثةٍ في قريةٍ ولا بَدوٍ لا تُقامُ فيهمُ الصلاةُ إلا استَحوَذَ عليهمُ الشَّيطانُ، فعليك بالجماعةِ فإنَّما يأكُلُ الذِّئبُ القاصِيَةَ**» .

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشيطان مسلط على مفارق الجماعة.

وقال ابن عثيمين: فيه دليل على وجوب الجماعة.

وقال عبد العظيم آبادي: وهكذا الشيطان يتسلط على الخارج عن الجماعة وعن أهل السُّنَّة. اهـ

فالشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد.

ومن الأدلة على التشديد في أمر الجماعة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يأذن للأعمى أن يصلي في بيته فغيره من باب أولى وأحرى، وأوجب بحضور الجماعة فقد روى أبو داودوغيره عن ابن أُمِّ مكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سأل النبيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: يا رسولَ الله، إني رجلٌ ضريرُ البَصَر شاسِعُ الدَّار، ولي قائد لا يُلائمُني، فهل لي رُخصة أن أُصلِّيَ في بيتي؟ قال: «**هل تسمعُ النِّداء؟** » ، قال: نعم، قال: «**لا أجِدُ لك رُخصةً**» .

وهذا في حق من كان قادرًا ، أما من لم يستطع حضور الجماعة من (المكفوفين) ولا يوجد من يقوده فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

فالذي يصلي في بيته من غيرعذر فإنه آثم لأنه ترك واجبا وصلاته ناقصة لأن صلاة الفرد بدرجة والجماعة بسبع وعشرين درجة، وهو خاسر لفوات خطوات يخطوها إلى المسجد ودرجات كثيرة وفوات دعاء الملائكة واستغفارهم لمن حضر الجماعة إلى غير ذلك من الفضائل التي فوتها على نفسه هذا المتهاون بالجماعة.

وروى الإمام الحاكم عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **من سمع النداء فارغًا صحيحًا، فلم يجب؛ فلا صلاة له** » . أي: لا صلاة له كاملة، فإنها تكون ناقصة بتخلفه عن الجماعة.

وفي صحيح مسلم قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَام فِي الصَّفّ.

وأما من ترك الصلاة بالكلية فهو على خطر عظيم ، لما روى مسلم عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ؛ تَرْكَ الصَّلَاةِ**» .

وروى الترمذي عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**».

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ**) يعني المنافقين هو (**الصَّلاَةُ**) بمعنى أنها موجبة لحقن دمائهم كالعهد في حق المعاهد (**فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**) أي فإذا تركوها برئت منهم الذمة ودخلوا في حكم الكفار فنقاتلهم كما نقاتل من لا عهد له. اهـ

فالمصلي معصوم الدم وتارك الصلاة يستتاب فإن تاب وإلا قتل لأنه جاحد ولا خلاف في كفر الجاحد لوجوب الصلاة ، فإن صلى فهو مسلم معصوم الدم لما روى أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني نُهيتُ عن قتلِ المُصلِّين».

فيخشى على المتهاون بالصلاة من الكفر والعياذ بالله .

قال الحافظ: هو توبيخ لتارك الصلاة وتحذير له من الكفر أي سيؤديه ذلك إذا تهاون بالصلاة. اهـ

وانظروا إلى حال السلف مع الصلاة ومع الجماعة، فقد جاء في ترجمة سعيد بن المسيب أنه لم تفته تكبيرة الإحرام في المسجد النبوي أربعين عامًا، وجاء عنه أنه قال:مَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ مُنْذُ ثَلاَثِيْنَ سَنَةً، إِلاَّ وَأَنَا فِي المَسْجِدِ، وقال :مَا فَاتَتْنِي الصَّلاَةُ فِي جَمَاعَةٍ مُنْذُ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً.

وهذارَبِيْعَةَ بنَ يَزِيْدَ يَقُوْلُ:مَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ لِصَلاَةِ الظُّهْرِ مُنْذُ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً إِلاَّ وَأَنَا فِي المَسْجِدِ، إِلاَّ أَنْ أَكُوْنَ مَرِيْضًا أَوْ مُسَافِرًا.

وكان ابْنَ عُمَرَ إِذَا فَاتَتْهُ العِشَاءُ فِي جَمَاعَةٍ، أَحْيَى بَقِيَّةَ لَيلتِهِ.

كَانَ سَعِيْدُ بن عبد العزيز إِذَا فَاتَتْهُ صَلاَةُ الجَمَاعَةِ بَكَى.

وبعضهم يقول: ما صلى في غير الصف الأول أربعين عامًا.

وبعضهم يقول: ما أذن المؤذن إلا وهو في مكانه في المسجد عشرين عامًا.

وقال إبراهيم النخعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: إذا رأيت الرجل يتهاون في صلاة الجماعة فاغسل يديك منه.

وغيرهم أكثر، فأين نحن من هؤلاء؟!

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا ياجرير المجامع

وقال آخر:

إن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا   إن التشبه بالكرام فلاح

وفي الختام تارك الصلاة مجرم يستحق جهنم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدّثر:٣٨-٤٣].

فسماهم الله مجرمين لأنهم ارتكبوا بعض المعاصي ومنها ترك الصلاة.

ويوم القيامة ينزل ربنا -جَلَّ وَعَلَا- لفصل القضاء ويكشف عن ساقة فيسجد المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله في الدنيا طوعًا واختيارًا ويذهب الفجار والمنافقون ليسجدوا فلا يقدرون على السجود، وتكون ظهورهم كصياصي البقر لا يستطيعون الانحناء، وهذا الجزاء من جنس العمل، فإنهم كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود لله وتوحيده وهم سالمون لا علة فيهم فيستكبرون.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[القلم:٤٢-٤٣] .

نسأل الله أن يعيننا على الصلاة ، وأن يثبتنا عليها وأن يقر بها أعيننا ، وأن يثبت قلوبنا ، ويشرح صدورنا ، وينور بها بصائرنا ، وأن يجعلها لنا نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة والحمد لله رب العالمين .





٧
إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس:

روى البخاري ومسلم ؛ عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ**

امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، ومَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

فهذا الحديث العظيم يعتبر أصلًا من أصول الدين وعليه مدار أعمال القلوب وصلاح أعمال الجوارح وهو من جوامع كلم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلامنا اليوم حول أول فقرة منه وهي: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**».

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وَهَذَا الْحَدِيثُ أَحَدُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَدُورُ الدِّينُ عَلَيْهَا، فَرُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: هَذَا الْحَدِيثُ ثُلُثُ الْعِلْمِ، وَيَدْخُلُ فِي سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْفِقْهِ.

وَعَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: أُصُولُ الْإِسْلَامِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحَادِيثَ: حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» وَحَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» وَحَدِيثُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ.**». اهـ

ومعنى: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» أي :صحة الأعمال وجزاؤها والثواب المترتب عليها يكون على حسب ما يقوم في القلب من النيات.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: معناه أن صحة الأعمال ووجوب الأعمال إنما تكون بالنيات وأن النية هي المصرفة لها إلى جهاتها. اهـ

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: النية هي قصد القلب. اهـ

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: النية في اللغة هي عزيمة القلب، وفي الشرع قصد الشيء مقترنا بفعله. اهـ

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: الأعمال صالحة أو فاسدة أو مقبولة أو مردودة

أو مثاب عليها أو غير مثاب عليها بالنيات، وتقع على معنيين بمعنى تمييز العبادات بعضها عن بعض ، وبمعنى تمييز المقصود بالعمل هل هو الله وحده لا شريك له ، أم غيره ، وهذا القسم هو الذي يتعلق بالإخلاص وتوابعه ، ويعبر عنها بالقرآن بالابتغاء. اهـ

عباد الله:

إن النية أمرها عظيم فمن أراد أن يكون وقته كله معمورًا بطاعة الله فلينوِ الخير والطاعات ولو لم يتيسر فعلها لأن الأعمال بالنيات، فالنية الصالحة تجعل العبد في طاعة مستمرة حتى في أكله وشربه وفي نومه ويقظته، ولهذا قال بعضهم إن المؤمن يخلد في الجنة أبد الآباد مع كونه لم يمكث في الدنيا إلا يسيرًا لأن نيته كانت صالحة، أي أنه كان ينوي الاستمرار في الطاعات وإن خلد في الدنيا، والكافر يخلد في النار أبد الآباد مع كونه لم يمكث في الدنيا إلا قليلًا لأن نيته كانت فاسدة وأنه لو خُلد في الدنيا لظل كافرًا فاستحق الخلود في النار.

قال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:انوِ في كل شيء الخير حتى خروجك إلى الكناسة.

ولهذا روى البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**» وفي رواية: «**وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ**».

ومعنى الهم: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو ترجيح قصد الفعل. اهـ

ولنا وقفة عند قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**». وهذا في حق من ترك السيئة خوفًا من الله كما في الرواية الأخرى في مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**وَإِنْ تَرَكَهَا** – أي السيئة – **فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ**» أي من أجلي .

وأما من ترك السيئة عجزا أو خوفًا من الناس فإنها تكتب عليه سيئة.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**إِذَا التقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**» وفي رواية: «إنه أراد قتل صاحبه».

فانظر إلى هذا المقتول يدخل جهنم بنيته الفاسدة مع أنه لم يقتل صاحبه لكنه عجر عن ذلك ، فكتبت عليه سيئة «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**».

ومعنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**وَلَا يَهْلِكُ عَلَى الله إِلَّا هَالِكٌ**): قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي من أصر على السيئة وأعرض عن الحسنات ولم ينفع فيه الآيات والنذر فهو غير معذور فهو هالك ، أو من حتم هلاكه وسدت عليه سبل الهدى أو من غلبت آحاده وهو السيئات عشراته وهي الحسنات المضاعفة إلى أضعاف كثيرة وأعظم. اهـ

وفي هذا الحديث فضل الله الواسع إذ جعل الحسَنَة بعشر أمثالها، وجعل السيئة بمثلها فقط ولم يجعلها بعشر سيئات بمقابل الحسَنَة، ولولا ذلك لما دخل الجنة أحد لكثرة السيئات إلا من رحم الله، لكن رحمته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- غلبت غضبه ووسعت رحمته كل شيء وهو أكرم الأكرمين.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: في هذا الحديث بيان فضل الله العظيم على هذه الأمة

لأنه لولا ذلك كاد لا يدخل أحد الجنة لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم الحسنات. اهـ

ويوم القيامة يبعث الله الناس على نياتهم ويحاسبون عليها ، فقد روى البخاري ومسلم عن عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»** .

وفي الحديث عدم جواز مخالطة أهل المعاصي والطغيان وعدم تكثير سوادهم، وإن كانت النية صالحة ، لأن العقوبة إذا نزلت أخذت الصالح والفاسد ثم يبعثون على نياتهم.

فينبغي على المؤمن أن يصلح نيته وأن يحتسب الأجر فإن النية الصالحة تجعل العادات عبادات وتزيد الأجور في الواجبات.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ الله إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ» أي: حتى ما تنفق على امرأتك فإنك تؤجر عليه وإن كان واجبا عليك ما دام أنك تبتغي بذلك وجه الله تعالى وتحتسب الأجر.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: يُستفاد منه أجر الواجب يزداد بالنية. اهـ

فبالنية الصالحة يستمر الثواب وكأن الأعمال جارية فيكتب للإنسان ما كان يعمله حيًا صحيحًا مقيمًا فإذا مات كتب له ما كان يعلمه حيًا وإذا مرض كتب

له ما كان يعمله صحيحا وإذا سافر كتب له ما كان يعمله مقيما وإذا عجز كتب له ما كان يعمله قويا وذلك بنيته الصالحة التي كانت مصاحبة له في فعل الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلًا وفي أي زمان أومكان حتى آثار الخير تلحقه إلى قبره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس:١٢].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ ﴾ من الخير والشر، وهو أعمالهم التي عملوها وباشروها في حال حياتهم، ﴿ وَءَاثَٰرَهُمْۚ ﴾ وهي آثار الخير وآثار الشر، التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم. اهـ

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ﴾ [فُصِّلَت:٨] أي غير مقطوع.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: غَيْرُ مَقْطُوع. وَقَالَ السُّدِّيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمَرْضَى وَالزَّمْنَى وَالْهَرْمَى، إِذَا عَجَزُوا عَنِ الطَّاعَةِ يُكْتَبُ لَهُمُ الأجر كأصح ما كانوا يعلمون فِيهِ. اهـ

وروى البخاري عن أبي موسى ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: « **إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا** ».

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي إذا مرض المؤمن وكان يعمل عملًا قبل مرضه ومنعه منه المرض ونيته لولا المانع أدامه وكذلك السفر قدر له ثواب الذي كان يعمل في اللوح المحفوظ. اهـ مختصرًا.

وقال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الإنسان يبلغ بنيته أجر العامل إذا كان لا يستطيع

العمل الذي ينويه. اهـ

وروى البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما-، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «لاَ هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ» أي لا هجرة في مكة لأنها صارت دار إسلام، ولكن بقي من الأعمال الصالحة التي تقابل الهجرة الجهاد والنية الصالحة.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ) معناه لكم طريق إلى تحصيل الفضائل التي في معنى الهجرة وذلك بالجهاد ونية الخير في كل شيء. اهـ

وهكذا العكس فإن ا لنية الفاسدة تجعل الأعمال الفاسدة مستمرة ولولم يعملها وتكتب على العبد السيئات بمجرد الإصرار عليها.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ فَعَلَ الْمَعْصِيَةَ وَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا ثُمَّ هَمَّ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ يُعَاقَبُ عَلَى الاصرار كَمَا جزم بِهِ بن الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَغَيْرُهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ الْإِصْرَارَ مَعْصِيَةٌ اتِّفَاقًا فَمَنْ عَزَمَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَصَمَّمَ عَلَيْهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ فَإِذَا عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ مَعْصِيَةٌ ثَانِيَةٌ. اهـ

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهُوَ ظَاهِرٌ حَسَنٌ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَقَدْ تَظَاهَرَتْ نُصُوصُ الشَّرْعِ بِالْمُؤَاخَذَةِ بِعَزْمِ الْقَلْبِ الْمُسْتَقِرِّ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ١٩ ﴾ [النور:١٩] اهـ .

فهذا الوعيد ترتب على مجرد محبة إشاعة الفاحشة في المؤمن وهذا من عمل القلب، فعلى المؤمن أن يسعى في صلاح قلبه بالأسباب المشروعة وهي كثيرة.

وروى الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي كبشة الأنماري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلاَ عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**».

فانظر أيها المسلم إلى الفرق بين الرجلين، فالأول يكون له أجر عامل الخيرات بنيته وعزمه على فعل الخير ولم يفعل شيئًا في واقعه ، والثاني يكون له وزر عامل السيئات والمنكرات بنيته الفاسدة وعزمه على فعل السيئات لو قدر على ذلك ، فكتب عليه الإثم ولم يفعل شيئًا من ذلك.

وفي الحديث فضل العلم فإنه حصن حصين من اقتراف السيئات ، لاسيما لمن كان عنده مال، وفيه خطر الجهل فإنه باب كل شر، لا سيما لمن كان عنده مال فإنه يتخبط فيه بغير علم فيقع في المنكرات والمخالفات ثم المهلكات.

فالشاهد من الحديث أن الصنف الرابع شارك الصنف الثالث في المنكرات بنيته الفاسدة وإن كان الثالث المباشر للمعصية أعظم وزرا ممن نواها ولم يباشرها فإن المباشر للمعصية يؤثم على نيته الفاسدة وعلى مباشرته ، بينما الآخر يأثم على نيته الفاسدة فقط والله أعلم.

وفي الحديث بيان أن العبد يبلغ درجة المنفق في سبيل الله بنيته الصالحة .

وبالنية الصالحة فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتقبل الصدقة حتى وإن وقعت في يد غير مستحقها ما دام أنه نواها للفقراء والمساكين فقد روى البخاري ومسلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ فَقَالَ: اللهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ؟ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ** » .

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال المهلب يعني أنه رأى في المنام والرؤيا حق ودل ذلك أن صدقة الرجل على هؤلاء قد قبلها الله وقال بعض الفقهاء من أخرج زكاة لرجل ظاهره الفقر ثم تبين أنه غني فإنها تجزئه.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:وفيه فضل صدقة السر لأنها تُصدِق بها في الليل لقوله فأصبح الناس يتحدثون. اهـ

فإذا وقعت الزكاة أو الصدقة في يد غير مستحقها فإنها تجزئ بمجرد النية ومن ذلك لو أخرج عبد زكاة ماله فوصلت الزكاة إلى من لا تجزئ كالابن أو الزوجة فإنها تجزئ إذا وقعت في يده بغير قصد ما دام أنه نواها للفقراء والمساكين فقد روى البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مَعْن بْن يَزِيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ.. كَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي المَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا، فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ: وَالله مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: «**لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ**».

« **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**».



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإن النية لها شأن عظيم في العبادات من حيث القبول والرد والصلاح والفساد والتمييز بين العبادات والإخلاص والرياء.

وإنه قد يوجد الرجلاَن في الصف الواحد يصليان وبينهما كما بين السماء والأرض باختلاف النيات فهذا مراءٍ وهذا مخلص، فلذا ينبغي على العبد أن يصحح نيته قبل العمل وأن يهتم بها .

قال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل.

وقال زبيد اليامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الطعام والشراب.

وقال: انوِ في كل شيء تريده الخير حتى خروجك إلى الكناسة.

وقال داود الطائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية وكفى به خيرًا وإن لم تصب.

وقال مطرف بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صلاح القلب بصلاح العمل وصلاح العمل بصلاح النية.

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما عالجت شيئًا أشد علي من نيتي.

فبالنية الصالحة تبلغ عمل المجاهدين وأنت في بيتك وإن مت على فراشك فقد روى الإمام مسلم عن سَهْلِ بْنِ حُنَيْف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**» . أي يعطى ثواب الشهداء وهذا كله بفضل النية الصالحة (**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**) .

وروى مسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال حينما رجع من غزوة تبوك: «**إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**» وفي رواية: «إِلاَّ شَرِكُوكُمْ فِي الأَجْرِ ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةُ النِّيَّةِ فِي الْخَيْرِ وَأَنَّ مَنْ نَوَى الْغَزْوَ وَغَيْرَهُ مِنَ الطَّاعَاتِ فَعَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مَنَعَهُ حَصَلَ لَهُ ثَوَابُ نِيَّتِهِ وَأَنَّهُ كُلَّمَا أَكْثَرَ مِنَ التَّأَسُّفِ عَلَى فَوَاتِ ذَلِكَ وَتَمَنَّى كَوْنَهُ مَعَ الْغُزَاةِ وَنَحْوِهِمْ كَثُرَ ثَوَابُهُ وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ

وقال العباد رَحِمَهُ اللَّهُ: فهم يجاهدون بنياتهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الجهاد يكون بالنية وبالمال وبالنفس وباللسان يعني بالدعوة إلى الله والدفاع عن الإسلام. اهـ

ويحصل بنيته على ثواب المجاهدين في سبيل الله إذا كانت نيته صالحة ليس فيها رياء أو غرض دنيوي، فإنه لا يكفي أن يكون العمل صالحًا حتى يكون خالصًا لوجه الله ، فإن شرط العمل الصالح أن يكون خالصًا صوابًا موافقًا للسُّنَّة.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً،

أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»

وكلمة الله هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله، فمن أحب الظهور بإعلاء كلمة الله فلا بأس بذلك، قاله المهلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وبالنية الصالحة يبلغ العبد درجة القائمين القانتين وهو نائم على فراشه.

فقد روى النسائي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ**» .

وقال معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إني أنام نصف الليل وأقوم نصفه وأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي. يعني يحتسب أجر النوم لأنه ينام من أجل أن يتقوى به على قيام الليل وهكذا الذي ينام مبكرًا ليستيقظ مبكرًا فيصلي ما كتب الله له من الليل ثم يصلي الفجر كان نومه عبادة ، والعكس من نام ليقوم آخر الليل يؤذي عباد الله ،أو يجاهر الله بالمعاصي ،كان نومه معصية «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ** ».

حتى اللقمة من الطعام من أكلها ليتقوى بها على طاعة الله أُجر عليها، ومن أكلها ليتقوى بها على المعصية أثم عليها، ولهذا روى ابن حبان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**» .

قال بعض أهل العلم في شرح هذا الحديث: لأن التقي يتقوى بهذا الطعام على طاعة الله ولا يأكل طعامك العاصي فإنه سيتقوى بهذا الطعام على المعصية.

فالنية أمرها عظيم إذا صلحت صلحت الأعمال والأحوال وصلحت حياة العبد في دنياه وآخرته، وأن فسدت النية فسدت الأعمال والأحوال وفسدت

حياة العبد في دنياه وآخرته.

فقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ:« ..**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ** ».

ومن أمثلة ذلك أن أول من تسعر بهم النار ثلاثة ، وهم رجل حفظ القرآن رياء ومجاهد جاهد رياء حتى قتل في أرض المعركة ومنفق في باب الخير رياء، فأمر بهم إلى النار بسبب نياتهم الفاسدة.

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِىءٌ ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ .**

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِىَ فِى النَّارِ ».

فجاهد نفسك يا عبد الله على صلاح نيتك بالإخلاص والدعاء والاحتساب للثواب عند الله والاستمرار على الخيروتعلم الخير وغيرذلك من الأسباب نسأل الله أن يصلح نياتنا وأن يتقبل أعمالنا

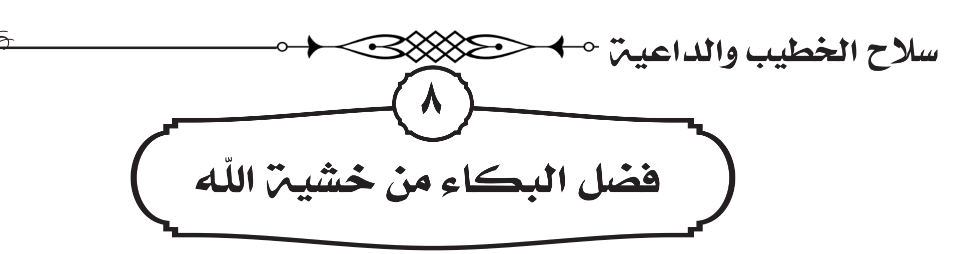
اللهم إنا نسألك التقى والهدى والعفاف والغنى.

اللهم آتنا في الدنيا حسَنَة وفي الآخرة حسَنَة وقنا عذاب النار.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

والحمد لله رب العالمين.





٨
فضل البكاء من خشية الله

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُه وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده الله فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله:

أخرج الترمذي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ

بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

ففي هذا الحديث العظيم فضل البكاء من خشية الله وهو من صفات الصالحين وسمات الخائفين وأولى الناس بذلك هم العالمون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر:٢٨] ولا يصدر ذلك إلا من الطائعين.

قال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن الغالب من الخشية امتثال الطاعة واجتناب المعصية. وقال: هو من شدة خوفه وعظمته المورثة لمحبته. اهـ

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأعلم أن البكاء إما من حزن ، وإما من وجع، وإما من فزع ، وإما فرح ، وإما من شكر ، وإما من خشية من الله تعالى وهو أعلاها درجة ، وأغلاها ثمنا في الدار الآخرة ، وأما البكاء للرياء والكذب فلا يزداد صاحبه إلا طردًا ومقتًا.. وقيل إن بكاء العين يطفئ بحورًا من النيران ، فإن خشيته تحرق قلبه فتذيب شحم فؤاده فتجري دموعه فتطفئ نار معصيته. اهـ

فأيما عين بكت من خشية الله واتصف صاحبها بهذه الأوصاف فلا تمسها النار،وجسد صاحبها محرم على النار، فقد روى الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرَيْ مُسْلِمٍ أَبَدًا** ».

والبكاء من خشية الله من علامات الإيمان وسواء كان البكاء في الخلوة أو عند قراءة القرآن أو في مجالس الذكروالوعظ أو عند تذكر الجنة والنار أو يبكي العبد على ذنوبه فكل هذا داخل في هذا الفضل. فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ**

مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بصدقة فأَخْفَاها حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ففاضت عيناه إما شوقًا إليه وإما خوفًا من عقابه. اهـ

فالبكاء من خشية الله مأموربه، لأنه يزيد الإيمان ويحزن الشيطان وينجي من النيران بإذن الواحد المنان فقد روى الترمذي من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «**امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**».

وعن ابن أبي مليكة قال: جلسنا إلى عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الحجر فقال: ابكوا فإن لم تجدوا بكاء فتباكوا لو تعلموا العلم لصلى أحدكم حتى ينكسر ظهره ولبكى حتى ينقطع صوته.

والبكاء من خشية الله هو دأب الأنبياء والمرسلين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم:٥٨].

ولقد كان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبكي حتى يبلَّ لحيته ويبلَّ الثرى، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: «**نَعَمْ**» فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١]، قَالَ: «**حَسْبُكَ الآنَ**» فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ .

وعند ابن ماجهْ من حديث الْبَرَاءِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِخْوَانِي، لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا»

فإذا كان خير الخلق يبكي! فكيف بنا؟لماذا قست قلوبنا وجفت مدامعنا؟ وأكثرنا غارقون في الذنوب والمعاصي ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعبد الخلق لله وأبعدهم عن المعاصي ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع هذا يقرأ القرآن ويبكي ويسمعه من غيره ويبكي ويصلي حتى تتفطر قدماه وهويبكي .

فقد جاء عند ابن حبان عن عبيد بن عُمَيْرٍأنه قال لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا :أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي **قَالَ** : «**يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي**» قُلْتُ وَالله إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا يسرَّكَ قَالَتْ فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَالَتْ : فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ قَالَتْ : ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ قَالَتْ : ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ : يَا رَسُولَ الله لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ **قَالَ** : «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾**

وهي الآيات من آخر سورة آل عمران .

هكذا كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعبد الله ويبكي فإذا صلى بكى وإذا قرأ القرآن أو سمع القرآن بكى ، وإذا وقف على القبور بكى لأنه أخشى الناس لربه وأتقاهم ، فينبغي علينا أن نتأسى به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو قدوتنا وأرحم الناس بنا ،فقد كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبكي شفقة على أمته، كبكائه حينما سمع من ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ

وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ [النساء: ٤١].

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بكى رحمة لأمته لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيما فقد يفضي إلى تعذيبهم والله أعلم. اهـ

وقال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما بكى لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف وهو أمر يحق له طول البكاء. اهـ

وكان سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم يكثرون من البكاء في كثير من أحوالهم في صلاتهم وعند سماعهم للذكر والمواعظ وعند قراءة القرآن الكريم وغير ذلك.

ففي صحيح البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**»، قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ. أي بكاء.

وفي رواية عند الترمذي عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ**».

وفي رواية عند أبي داود: قالوا: ما ذا رأيت يا رسول الله قال: «**رأيت الجنة والنار**».

فلو يعلم الناس ما علم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقل ضحكهم، وكثر بكاؤهم ، وما تلذذوا بالنساء من الخوف، ولخرجوا إلى الطرقات يستجيرون بالله، ويلجأون إليه من الحزن.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا) قِيلَ: مَعْنَى الْقِلَّةِ هُنَا الْعَدَمُ وَالتَّقْدِيرُ لَتَرَكْتُمُ الضَّحِكَ ، وَلَمْ يَقَعْ مِنْكُمُ الَّا نَادرا لغَلَبَة الْخَوْف واستيلاء الْحزن. اهـ

وقال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغى للعبد الاهتمام بأمر الآخرة ويفكر فى معاده وعرضه على ربه، وكيف ينجو من سؤاله عن الفتيل والقطمير ولذلك قال (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا) . فهاهنا يحسن الهم والبكاء.اهـ

وانظر إلى حال السلف الصالح كيف كان بكاؤهم من خشية الله، فهذا عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أحد العشرة المبشرين بالجنة يقف على القبر ويبكي فتنزل دموعه على وجنته ولحيته، فقد روى الترمذي عن هَانِئٍ مَوْلَى عُثْمَانَ قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذْكَرُ الجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلاَ تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجاَ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ .. الحديث.

وهذا أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صاحب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذروة الحفاظ الذي روى أكثر من خمسة آلاف حديث يبكي في مرض موته ويقول: والله ما أبكي على دنياكم هذه ولكني أمسيت في صعود إما إلى جنة وإما إلى نار ولا

أدري إلى أيتهما يؤخذ بي. أو كما قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهكذا كان كثيرًا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين يبكون حتى يصير في وجنة أحدهم خطان أسودان من الدموع من كثرة البكاء من خشية الله، وبعضهم يقرأ القرآن ويبكي ،حتى يغشى عليه ،ونحن بسبب ذنوبنا قست قلوبنا حتى جفت مدامعنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.





الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فالبكاء من خشية الله لا يصدر إلا من قلب خائفٍ وجلٍ، والبكاء من خشية الله ما هو إلا ثمرة من ثمار التوحيد وثمار الطاعات وتركِ المعاصي، والخشية تستلزم العلم والخوف والعمل، فهذه هي صفة العارفين، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨] والعلماء أعرف الناس بربهم فصار البكاء من خشية الله هي من أبرز صفاتهم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: أَيْ: يَقَعُونَ عَلَى الوجوه يبكون.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ [مريم:٥٨] أي: خضعوا لآيات الله، وخشعوا لها، وأثرت في قلوبهم من الإيمان والرغبة والرهبة، ما أوجب لهم البكاء والإنابة، والسجود لربهم، ولم يكونوا من الذين إذا سمعوا آيات الله خروا عليها صما وعميانا. اهـ

فالذي لا يبكي من خشية الله ولا يخشع عند ذكر الله ولا يخاف من عذاب الله يخشى عليه أن يطول بكاؤه يوم القيامة، ولأن عدم البكاء من خشية الله علامة

على قساوة القلوب، وكثرة الذنوب، وعدم المراقبة لعلام الغيوب سبحانه.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن بني إسرائيل لما لم يؤمنوا بعد أن جاءتهم الآيات: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة:٧٤].

فلا خير في قلب إذا كانت الحجارة الصماء أخشع منه وأخوف، لا خير في قلوبنا إذا كانت الحجارة ألين منها، فويل للقلوب القاسية التي لا تخشع لذكر الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزُّمر:٢٢].

توعد الله في هذه الآية أصحاب القلوب القاسية، ثم مدح أصحاب الجلود اللينة والقلوب الخاشعة في الآية التي بعدها فقال: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٣].

فمن صفات المنافقين والكافرين أنهم يوم القيامة يبكون كثيرًا ويصيحون بأصوات كأصوات الحمير، لأنهم لم يخشوا الله في الدنيا ولم تخشع قلوبهم لذكر الله ولم تنقد جوارحهم لطاعة الله. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[التوبة:٨٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا ﴾ في الدنيا ثم يبكون يوم القيامة بكاء لا ينقطع أبدًا. اهـ بمعناه

فكن خائفًا راجيًا باكيًا وأقلل من الضحك، فإن كثرة الضحك والقهقهة

من علامات الغفلة، وسبب لقسوة القلب، فقد روى البيهقي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**».

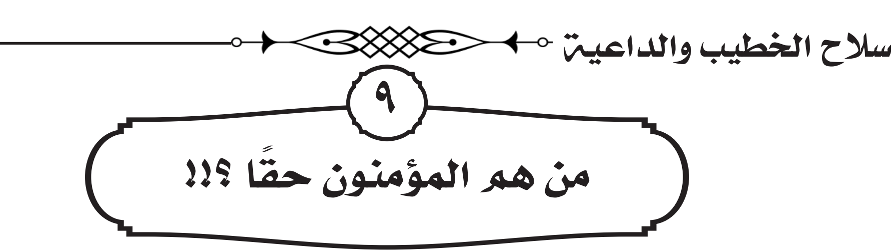
فيا أيها المسلم لا تقصر فيما أمرك الله ولا ترتكب ما حرم الله متعللًا بشدة الحر أو بشدة البرد، أو بالجوع أو العطش، فإن حر جهنم أشد من حر الدنيا، وبرد جهنم أشد من برد الدنيا، وجوع وعطش يوم القيامة أشد من عطش وجوع الدنيا، ولا مقارنة في ذلك.

فقد روى الطبراني عن عبد الله بن عَمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا، قال: إن أهلَ النار لَيَدْعُونَ مَالِكًا فلا يُجيبُهم أربعينَ عامًا، ثم يقول: ﴿**إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ**﴾، ثم يَدْعُونَ ربَّهُم فيقولون: ﴿**رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧**﴾، فلا يُجيبُهُم مِثْلَ الدنيا، ثم يقولُ: ﴿**قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨**﴾، ثم يَيأَسُ القَومُ، فما هُوَ إلاَّ الزَّفيرُ والشَّهيقُ، تُشْبِهُ أصواتُهُم أصواتَ الحَمير؛ أوَّلُها شَهيقٌ وآخِرُها زَفيرٌ».

نسأل الله العافية والسلامة في الدنيا والآخرة، اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة والقصد في الغنا والفقر وكلمة الحق في الغضب والرضا، اللم ارزقنا خشيتك والعمل الذي يقربنا إليك،اللهم أصلح فساد قلوبنا،اللهم ارزقنا التقوى ومن العمل ما ترضى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ للَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْده الله فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون:

يقول الله في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ

﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾[الأنفال:٢-٤] .

هذه الآيات تبين لنا من هم المؤمنون الصادقون كاملو الإيمان، لأن المنتسبين للإيمان كثير والمدعين لكمال الإيمان كثير وفي الحقيقة الناس يتفاوتون في الإيمان فمنهم كامل الإيمان ومنهم ناقص الإيمان وضعيف الإيمان ومنهم مدعٍ للإيمان وليس بمؤمن، فهذه الآية اختبار للناس في إيمانهم فمن اتصف بهذه الصفات التي ذكرت في هذه الآيات فهو المؤمن حقًا، فاختبر إيمانك وامتحن قلبك بهذه الآية واعرض هذه الصفات على نفسك تعرف مرتبتك من الإيمان، فليس كل من ادعى الإيمان يكون مؤمنا إنما المؤمن الذي يقر بقلبه ويقول بلسانه ويعمل بجوارحه.

فالإيمان في اللغة هو الإقرار والتصديق وفي الشرع عرفه أهل العلم بقولهم: الإيمان هو نطق باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، ودليل ذلك ما رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ- أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**» .

فقول: (لا إله إلا الله) إيمان ، وهذا من الأقوال، وإزاحة الأذى عن الطريق من الإيمان وهذا من الأفعال والحياء من الإيمان وهذا من الاعتقادات، لأن محل الحياء القلب وأعمال القلوب كثيرة مثل الخوف والرجاء والمحبة والإنابة والتوكل ونحو ذلك ، فكل هذا من الإيمان فالمؤمن هو من قام بشرائع الإيمان كلها القولية والفعلية والاعتقادية وليس الإيمان مجرد كلمة تقال باللسان فقط أو مجرد اعتقاد بالقلب كما يدندن كثير من الجهال ، إذ يقول قائلهم: أنا إيماني في قلبي! ، فلهذا جمع الله في هذه الآيات بين الأعمال القولية والفعلية والقلبية،

فالقولية كالذكر وقراءة القرآن والقلبية كالتوكل والفعلية كإقامة الصلاة.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس الإيمان بالتحلي ولا التمني إنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل. اهـ

فالإيمان الحقيقي ما وقر في القلب وظهرت علاماته على الجوارح؛ من الأعمال الصالحة، أما مجرد دعوى إيمان بدون عمل، فهذه دعوى كاذبة ليس عليها برهان.

فقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « ..**أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ** » فصلاح القلب والجسد بالأعمال الصالحة وهي من الإيمان وفسادهما بالأعمال السيئة وهي تضعف الإيمان وتنقصه.

فإبليس -لعنه الله- مؤمن بقلبه لكنه لم ينقد لأمر الله، ولم يعمل بطاعة الله فكان من الكافرين، فلم ينفعه تصديقه بقلبه فقط، دون انقياد جوارحه.

فانظر يا ـ رعاك الله ـ إلى هذه الآية وإلى صفات المؤمن الصادق: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾** ﴾

[الأنفال:٢-٤].

فهنا حصر وهو أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حصر الإيمان الكامل بمن اتصف بهذه الصفات التي في هذه الآيات.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الألف واللام للاستغراق لشرائع الإيمان. اهـ

وقال العلامة الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: ليس المؤمن بالذي يخالف الله

ورسوله، ويترك اتباعَ ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه، والانقياد لحكمه، ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وَجِل قلبه، وانقاد لأمره، وخضع لذكره، خوفًا منه، وفَرَقًا من عقابه، وإذا قرئت عليه آيات كتابه صدّق بها، وأيقن أنها من عند الله. اهـ

أما غير المؤمن لا ينقاد لأمر الله ولا يخشع لذكر الله ولا يخاف من عقاب الله.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ قَالَ: الْمُنَافِقُونَ لَا يَدْخُلُ قُلُوبَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِ الله عِنْدَ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِشَيْءٍ مِنْ آيَاتِ الله، وَلَا يَتَوَكَّلُونَ، وَلَا يُصَلُّونَ إِذَا غَابُوا، وَلَا يُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلى آخر الآيات.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: وجلت أي خافت ورهبت وفرقت وقيل: إذا خوفوا بالله انقادوا خوفًا من عقابه. اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: أي: خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب. اهـ

هؤلاء هم **المؤمنون حقًّا**: الذين إذا ذكر الله تذكروا وإذا فعلوا ذنبًا ذكروا الله فخافوا وانزجروا فتابوا وأنابوا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: وَهَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ حَقَّ الْمُؤْمِنِ، الَّذِي إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَ قَلْبُهُ، أَيْ: خَافَ مِنْهُ، فَفَعَلَ أَوَامِرَهُ، وَتَرَكَ زَوَاجِرَهُ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٣٥] وكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النَّازِعَاتِ: ٤٠، ٤١]، ولِهَذَا قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سَمِعْتُ السُّدِّيَّ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ قَالَ: هُوَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يَظْلِمَ ،أَوْ قَالَ: يَهُمُّ بِمَعْصِيَةٍ- فَيُقَالُ لَهُ: اتَّقِ اللهَ فَيَجِلُ قَلْبُهُ. اهـ أي يذكر بالله فيخاف قلبه فينزجر ويترك المعصية.

المؤمنون حقًّا: هم الذين إذا تليت عليهم آيات الله زادتهم إيمانًا كما قال سبحانه: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾[الإسراء:١٠٩].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾، تَصْدِيقًا وَيَقِينًا. وَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ حَبِيبٍ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ: إِنَّ لِلْإِيمَانِ زِيَادَةً وَنُقْصَانًا، قِيلَ: فَمَا زِيَادَتُهُ؟ قَالَ: إِذَا ذَكَرْنَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحَمِدْنَاهُ فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، وَإِذَا سَهَوْنَا وَغَفَلْنَا فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ، وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ: إن للإيمان فرائض وَشَرَائِعَ وَحُدُودًا وَسُنَنًا فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ. اهـ

فالمؤمن الصادق يتأثر من كلام الله ويخشع عند تلاوته أو عند سماعه ومن ثَّم ينقاد للعمل به وعلى قدر إيمان العبد يكون تفاعله مع القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم:٥٨] .

فتلاوة القرآن الكريم والعمل به تزيد الإيمان، بينما الابتعاد عن القرآن

يسبب الغفلة وقسوة القلب وضعف الإيمان.

ونستفيد من هذه الآية ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ومن الأدلة على ذلك ما رواه مسلم عن أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**». دل هذا الحديث أن من قوة الإيمان تغيير المنكر باليد مع القدرة وبدون إحداث فتنة، ومن ضعف الإيمان عدم تغيير المنكر لا باليد ولا باللسان إلا بالقلب وذلك من ضعف الإيمان ولا عذر لأحد في ذلك فمن لم ينكر الإيمان بقلبه فليس بمؤمن.

والناس يتفاضلون في الإيمان، فإيمان الصحابة رضوان الله عليهم أقوى من إيمان من جاء بعدهم وليس إيمان من بعدهم كإيمان الصحابة وهكذا ، فكلما أكثر العبد من الأعمال الصالحة زاد إيمانه وكلما زاد إيمانه زاد قربه من الله وحبه له ، فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِالله وَلاَ تَعْجِزْ**» الحديث .

فالإكثار من الطاعات يزيد الإيمان وفعل المعاصي ينقص الإيمان بل فعل الطاعات والقربات علامة على قوة الإيمان وفعل المعاصي علامة على ضعف الإيمان ودليل ذلك ما روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ** » الحديث، بمعنى أن المؤمن لا يرتكب هذه المعاصي حال قوة إيمانه وكماله وإنما يقترفها حال ضعف إيمانه فهو مؤمن عاصي ، لأن قوة الإيمان وكماله يردع صاحبه

ويزجره عن فعل هذه المنكرات .

المؤمنون حقًّا: هم الذين حققوا توكلهم على الله فاعتمدوا عليه في جلب المصالح، ودفع المضار مع الثقة به، والعمل بالأسباب، بل اعتمدوا على الله حتى في عباداتهم بالاستعانة به، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة:٥] ولهذا قال في هذه الآيات: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ .

المؤمنون حقًّا : هم الذين يقيمون الصلاة بشروطها، وأركانها ،وواجباتها، ويحافظون على خشوعها وطهورها ،ويؤدونها مع الجماعة في أوقاتها، فلا يقدمونها ولا يؤخرونها، ولهذا قال: ﴿ وَيُقِيمُونَ ﴾. ولم يقل يؤدون لأن الإقامة في اللغة أبلغ وأكمل من الفعل والأداء.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾لم يقل: يفعلون الصلاة، أو يأتون بالصلاة، لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة. فإقامة الصلاة، إقامتها ظاهرا، بإتمام أركانها، وواجباتها، وشروطها. وإقامتها باطنا بإقامة روحها، وهو حضور القلب فيها، وتدبر ما يقوله ويفعله منها، فهذه الصلاة هي التي قال الله فيها:﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ وهي التي يترتب عليها الثواب. فلا ثواب للإنسان من صلاته، إلا ما عقل منها، ويدخل في الصلاة فرائضها ونوافلها. اهـ

وقال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: إِقَامَتُهَا: الْمُحَافَظَةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا، وَإِسْبَاغُ الطُّهُورِ فِيهَا وَتَمَامُ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ فِيهَا، وَالتَّشَهُّدُ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَهَذَا إِقَامَتُهَا. اهـ

هؤلاء هم المؤمنون حقًّا :

المؤمنون حقًّا : هم الذين إذا سمعوا حي على الصلاة حي على الفلاح

الله أكبر الله أكبر لبوا النداء وأجابوا الداعي وتركوا الاعمال لعلمهم أن هذا هو الفلاح الحقيقي وأن الله أكبر من كل شيء فأووا إلى بيت من بيوت الله وأدوا ما افترض الله .

المؤمنون حقًّا : هم الذين ينفقون مما رزقهم الله فأخرجوا الزكوات والنفقات الواجبة والمستحبة وأنفقوا أموالهم في باب الخير.

المؤمنون حقًّا : هم الذين أخرجوا حق الفقراء والمساكين ولم يمنعوا الزكوات المفروضة فأدوا ما فرض الله عليهم مما رزقهم الله فجمعوا بين أداء حق الله من الصلوات وغيرها وبين أداء حق المخلوق من الزكوات والصدقات فهؤلاء هم المؤمنون حقًا لأنهم جمعوا بين حق الخالق والمخلوق والعبد الصالح هو الذي قام بحق الخالق والمخلوق.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَشْمَلُ خَرَاجَ الزَّكَاةِ، وَسَائِرَ الْحُقُوقِ لِلْعِبَادِ مِنْ وَاجِبٍ وَمُسْتَحَبٍّ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ الله، فَأَحَبُّهُمْ إِلَى الله أَنْفَعُهُمْ لِخَلْقِهِ.

قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي قَوْلِهِ ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ فَأَنْفِقُوا مِمَّا أَعْطَاكُمُ اللهُ، فَإِنَّمَا هَذِهِ الْأَمْوَالَ عَوَارِيٌّ وَوَدَائِعُ عِنْدَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، أَوْشَكْتَ أَنْ تُفَارِقَهَا. اهـ

ولهذا أضافها الله إلى نفسه ولم يضفها إليهم باعتبار أنه مالكها ومالكهم فقال: ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾. ومع هذا أمرهم أن يخرجوا منها نسبة يسيرة ولم يأمرهم بإخراجها كلها أو أكثرها فأتى بـ (من) التي تفيد التبعيض أي : وينفقون بعض أموالهم فلله الحمد والمنة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشأنه وأصلي وأسلم على نبينا محمد الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

أما بعد:

فقد عرفنا في الخطبة الأولى من هم المؤمنون حقًّا وما هي صفاتهم، ونريد أن نعرف لماذا سماهم الله مؤمنين حقًّا، وماذا أعد الله لهم من المنازل العالية والدرجات الرفيعة التي أعدها لهم بسبب تلك الأعمال المباركة.

قَالَ تَعَالَىٰ بعد أن ذكر صفاتهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤ ﴾[الأنفال:٤] .

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الذين اتصفوا بتلك الصفات ﴿ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ لأنهم جمعوا بين الإسلام والإيمان، وبين الأعمال الباطنة والأعمال الظاهرة، وبين العلم والعمل، وبين أداء حقوق الله وحقوق عباده، وقدم تعالى أعمال القلوب، لأنها أصل لأعمال الجوارح وأفضل منها،.

وفيها دليل على أن الإيمان، يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدها، وأنه ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وينميه ، وأن أولى ما يحصل به ذلك تدبر كتاب الله تعالى والتأمل لمعانيه. اهـ

وقال العلامة البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ ، يَعْنِي يَقِينًا، قال

مُقَاتِلٌ: حَقًّا لَا شَكَّ فِي إِيمَانِهِمْ. وقال ابن عباس رَحِمَهُ اللَّهُ : برئوا من الكفر.

قال: وفيه دليل على أنه لَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَصِفَ نَفْسَهُ بِكَوْنِهِ مُؤْمِنًا حَقًّا لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى إِنَّمَا وَصَفَ بِذَلِكَ قَوْمًا مَخْصُوصِينَ عَلَى أَوْصَافٍ مَخْصُوصَةٍ، وَكُلُّ أَحَدٍ لَا يَتَحَقَّقُ وُجُودُ تِلْكَ الْأَوْصَافِ فِيهِ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ: سَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ فَقَالَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ والجنّة وَالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، فَأَنَا بِهَا مُؤْمِنٌ، وَإِنْ كُنْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ قَوْلِهِ: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ الْآيَةَ، فَلَا أَدْرِي أَمِنْهُمْ أَنَا أَمْ لَا؟. اهـ

وهذا من باب قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم:٣٢] فإن المؤمن لا يزكي نفسه ولا يصف نفسه بالصلاح، فإنه مهما بلغ من العمل مبلغه فإنه لا يزال مقصرًا، والله أعلم بأهل البر من الناس ، والمؤمن الحق هو الذي لايزال يرى نفسه مقصرًا.

﴿ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ [الأنفال:٤] .

قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هي المقامات والمنازل العالية في الجنة كقوله تعالى: ﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾[آل عمران:١٦٣] اهـ .

وروى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مِائَةُ عَامٍ**».

وفي رواية عند البخاري «**مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**».

فإن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما نتراءى الكوكب الدري في السماء لتفاضل ما بينهم من الأعمال، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الإسراء:٢١] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أهل الجنة يرون فضلهم على من أسفل منهم والذين أسفل لا يرون أن أحدًا أفضل منهم» اهـ.

﴿ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ [الأنفال:٤] .

أي: يغفر الله لهم ذنوبهم ويكفر عنهم سيئاتهم التي اقترفوها في حياتهم الدنيا ويشكرلهم أعمالهم ، «ولهم رزق كريم»أي رزق حسن في الجنة.

ولهم الرزق الحسن والحياة الطيبة في الدنيا ، يجمع الله لهم من الثواب العاجل في الدنيا والثواب الآجل في الآخرة قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾[الطلاق:٢-٣] .

وروى الحاكم عن معقل بن يسار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: « يقول ربكم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأملأ يديك رزقا، يا ابن آدم! ، لا تباعد مني فأملأ قلبك فقرا وأملأ يديك شغلًا** » .

الشاهد أن تقوى الله وعبادته ،من أسباب نيل الرزق الحسن في الدنيا والآخرة.

نسأل الله من فضله الكريم ، اللهم إنا نسألك إيمانا صادقًا ، ورزقا طيبًا، وعملًا متقبلًا ، اللهم إنا نسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، اللهم توفنا مسلمين ، وأحقنا بالصالحين.

والحمد لله رب العالمين.





الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله:

نتكلم اليوم عن خصلة ذميمة يتصف بها بعض الناس هذه الخصلة قد تكون سببًا للكفر ، وقد تكون سببًا للقتل وقد تكون سببًا لكتمان الحق وإظهار

الباطل ، وهي خصلة اتصف بها إبليس واتصف بها المشركون واتصف بها أبو جهل لعنه الله وأمثاله من صناديد قريش ألا وهي الحسد.

فالحسد ياعباد الله، مرض خطير من أمراض القلوب، وهو تمني زوال النعمة على الغير.

ولو كان يعلم الحسود على من أساء الأدب وعلى من اعترض لعلم أنه اقترف ذنبا عظيمًا، وذلك لأن الحسد اعتراض على رب العالمين سبحانه وعدم إيمان بأقداره لأنه هو المعطي المانع يعطي من يشاء لحكمة ويمنع من يشاء لحكمة ويختبر من شاء من عباده بأنواع من العطاء.

وكان الواجب على الحاسد أن يسأل الله من فضله ولا يتمنى زوال النعمة عن غيره ، ولا بأس أن يتمنى أن يرزقه الله مثل فلان فهذه غبطة وليست حسدًا إنما الحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء:٥٤] ، وقد نهى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحسد ، وحث على الأخوة وسلامة الصدور لأن الحسد يفكك الأخوة ويدفع صاحبه إلى الكيد والمكر بأخيه المسلم ، فقد جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا**» وإن حصل الحسد عند العبد وجب إخفاؤه ومجاهدته فهذه هي صفة الكرماء أما إظهار الحسد فهي صفة اللئام قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما خلا جسد من حسد ولكن كريم يخفيه أولئيم يبديه. اهـ

والحاسد لن يرضيه شيء إلا زوال النعمة عن غيره.

قال بعض السلف: أستطيع أن أرضي كل الناس إلا الحسود فلن يرضى إلا بزوال النعمة عني. أو كما قال.

فيجب سلامة الصدر من الحسد وسؤال الله أن يذهبه كما قال الله في كتابه الكريم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾[الحشر:١٠]والغل هو الحسد.

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهُمَ الَّذِينَ يَجِيئُونَ بَعْدَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِمَنْ سَبَقَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْمَغْفِرَةِ، فَقَالَ:« ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا ﴾ أي: غِشًا وَحَسَدًا وَبُغْضًا. اهـ

وقَالَ تَعَالَى :﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾[الحشر:٩] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ ﴾ أَيْ: وَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَسَدًا لِلْمُهَاجِرِينَ فِيمَا فَضَّلَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ وَالشَّرَفِ، وَالتَّقْدِيمِ فِي الذِّكْرِ وَالرُّتْبَةِ. اهـ

بل إنهم استقبلوهم وآووهم وعرضوا عليهم أن يشاطروهم أموالهم، فهؤلاء هم أصحاب القلوب السليمة، التي سلمت قلوبهم من الشرك والكفر، وسلمت من الغل والحسد ، فأولئك هم خير الناس.

فمن سلم قلبه من الحسد فهو من أفضل الناس ، لما روى ابن ماجهْ عَنْ

عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ**». قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ**».

فإذا ذهب الحسد من قلوب الناس حل فيهم الخير ونزلت البركات وحيثما وجد الحسد حصل الشر ونزعت البركات، فقد روى الطبراني عَنْ ضَمُرَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا**».

والحسد مرض من أمراض الأمم السابقة ونُقل إلى هذه الأمة فقد روى البيهقي عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِىَ الْحَالِقَةُ حَالِقَةُ الدِّينِ لاَ حَالِقَةَ الشَّعْرِ وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ** ».

فالحسد علامة على ضعف الإيمان وكل قلب فيه حسد فصاحبه ناقص الإيمان لما روى ابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**لَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَفَيْحُ جَهَنَّمَ وَلَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ والحسد**» ، أي لا يجتمع الإيمان الكامل مع الحسد في القلب أبدًا لأن كمال الإيمان ينفي الحسد ويخرجه من قلب صاحبه.

فالحسد له أخطار جسيمة وعواقب وخيمة وقد يكفر الحسود بسبب حسده لغيره كما كفر إبليس حسدًا لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وإبليس كان من العباد ، وكفرت اليهود حسدًا للعرب لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء منهم ، وكانوا يظنون أن

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيأتي منهم ثم يؤمنون به وهذا موجود في كتبهم، وكما كفرت قريش بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسدًا لبني قصي.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن سبب كفر إبليس: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة:٣٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ عنه: ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾[الإسراء:٦١] .

وقال:﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[الأعراف:١٢] .

استنكف إبليس عن السجود لآدم وافتخر بأصله أنه من النار ، وأن آدم من الطين ، وأنه أفضل من آدم ، وهذا قياس باطل ، فإن أصل الطين أفضل من أصل النار ، وأصل البشر أفضل من أصل الجان ، وإبليس من الجن لكنه الحسد والكبر أعمى إبليس وحمله على عصيان ربه ، فكان ذلك سبب كفره .

وكذلك اليهود والنصارى كفروا بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسدًا للعرب قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة:١٢٠] .

هذا وهم يعلمون أنه نبي حق، قال تعالى مخبرًا عن علمهم بصدق رسالة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[البقرة:٨٩] لكنهم كتموا هذا الخبر وحرفوه من كتبهم .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ : أَيْ: وَقَدْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ مَجِيءِ هَذَا الرَّسُولِ

بِهَذَا الْكِتَابِ يَسْتَنْصِرُونَ بِمَجِيئِهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا قَاتَلُوهُمْ، يَقُولُونَ: إِنَّهُ سَيُبْعَثُ نَبِيٌّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ... فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ مِنْ قُرَيْشٍ اتبعه من اتبعه من قريش وكفر به اليهود.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: كَانَتِ الْيَهُودُ تَسْتَنْصِرُ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ، يَقُولُونَ: اللهُمَّ ابْعَثْ هَذَا النَّبِيَّ الذِي نَجِدُهُ مَكْتُوبًا عِنْدَنَا حَتَّى نُعَذِّبَ الْمُشْرِكِينَ وَنَقْتُلُهُمْ. فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَرَأَوْا أَنَّهُ مِنْ غَيْرِهِمْ، كَفَرُوا بِهِ حَسَدًا لِلْعَرَبِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ

ونزل فيهم قوله تعالى:﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء:٥٤] .

فمن خطر الحسد أنه قد يحمل صاحبه على الكفر بالله -والعياذ بالله-كما كفر إبليس حسدًا لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ،وكما كفر اليهود حسدًا للعرب، وكذلك كثير من كفار قريش كفروا حسدًا لبني قصي لحيث أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء منهم.

فقد روى البيهقي بسنده عن المغيرة بن شعبة قال: إن أول يوم عرفت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة إذ لقينا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي جهل: «يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله أدعوك إلى الله» فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك، فانصرف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقبل علي فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن يمنعني شيء إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا السقاية. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا الندوة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا اللواء. فقلنا: نعم. ثم

أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي والله لا أفعل). ما منعه من الإسلام إلا الحسد لعنه الله.

وقال الله عن كفار قريش: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ أي: مكة والطائف ويعنون بأحد الرجلين الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي أو غيره أي على رجل كبير من أي البلدتين فرد الله عليهم أن الله لا ينزل الرسالة إلا على أزكى الخلق قلبًا ونفسًا وأشرفهم بيتًا وأطهرهم أصلا. اهـ

ولا يخفى على مسلم أن سبب القتل في الأرض هو الحسد، وذلك في قصة أحد أبناء آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إذ كان أول من سن القتل فقتل أخاه حسدًا له، لأن الله قبل من أخيه ولم يتقبل منه، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة:٢٧-٣٠].

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَقُولُ تَعَالَى مُبَيِّنًا وَخِيمَ عَاقِبَةِ الْبَغْيِ وَالْحَسَدِ وَالظُّلْمِ فِي خَبَرِ ابْنَيْ آدَمَ لِصُلْبِهِ -فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ- وَهُمَا هَابِيلُ وَقَابِيلُ كَيْفَ عَدَا أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ، فَقَتَلَهُ بَغْيًا عَلَيْهِ وَحَسَدًا لَهُ، فِيمَا وَهَبَهُ اللهُ مِنَ النِّعْمَةِ

وتَقَبّل الْقُرْبَانِ الَّذِي أَخْلَصَ فِيهِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَفَازَ الْمَقْتُولُ بِوَضْعِ الْآثَامِ وَالدُّخُولِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَخَابَ الْقَاتِلُ وَرَجَعَ بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أَيْ: وَاقْصُصْ عَلَى هَؤُلَاءِ الْبُغَاةِ الْحَسَدَةِ، إِخْوَانِ الْخَنَازِيرِ وَالْقِرَدَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَأَمْثَالِهِمْ وَأَشْبَاهِهِمْ-خَبَرَ ابْنَيْ آدَمَ وهما هابيل وقابيل ، فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف. اهـ

نسأل الله أن يعافينا من الحسد ، وأن يكفينا شر الحاسدين.



الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإن من أخطار الحسد أنه قد يحمل صاحبه على رد الحق وكتمانه حسدًا لقائله أو لحامله وهذا حرام فإنه يجب الصدع بالحق والأخذ به مهما كان قائله وحامله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الحجر:٩٤-٩٥].

فإن كتمان الحق من صفات اليهود إذ كتموا رسالة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الموجودة في كتبهم حسدًا للعرب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [البقرة:١٤٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ عُلَمَاءَ أَهْلِ الْكِتَابِ يَعْرِفُونَ صِحّةَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ ﴾ كما يعرفُ أحدُهم وَلَدَهُ.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ مَعَ هَذَا التَّحَقُّقِ وَالْإِتْقَانِ الْعِلْمِيِّ ﴿ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ ﴾ أَيْ: لَيَكْتُمُونِ النَّاسَ مَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾. اهـ

ويحصل من بعض المسلمين أنه يعرف الحق لكن سرعان ما ينكره لأن قائله فلان، وهذا غالبًا ما يحصل من أهل البدع، إذ يكتمون الحق لترويج بدعهم ونشرها وهذا لا يجوز فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد توعد من يكتم الحق بقوله: ﴿ إِنَّ

ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [البقرة:١٥٩] .

فالعالم الذي يبين للناس الحق ويعلمهم دين الله يستغفر له من في السماوات والأرض، بخلاف العالم الذي يكتم الحق على الناس وهو قادر على إبلاغه فإنه قد عرض نفسه للعن والإبعاد وهو الطرد من رحمة الله والعياذ بالله.

فاحذر يا مسلم أن يحول الحسد بينك وبين قبول الحق، وبينك وبين قول الحق، ما دام أنه جاء من عند الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يجوز رد الحق فإن رده من الكبر ومن يتكبر على الحق فإنه لا يدخل الجنة، لما روى مسلم في صحيحه عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– **قَالَ** : « **لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ** ». قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. **قَالَ** : « **إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ** ».أي رد الحق واحتقار الناس.

فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ وإن كانت نزلت في اليهود لكنها عامة في كل من كتم الحق والعلم عن الناس بحسد أو بغير حسد لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهذا معروف من قواعد الشرع.

ومن كان يرجو أن تتحقق له نعمة فليكتمها حتى تتحقق احترازا من مكر وكيد الحاسدين، فقد روى الطبراني عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ**» .

فاحذر من مكر الحاسدين فإن الحاسد ربما يحمله حسده على تمني زوال دينك الذي هو أعظم نعمة أو يحمله على تمني زوال نعمة السُّنَّة والاستقامة منك أو زوال العلم فيسعى جاهدا بكل الأسباب لتحقيق مآربه ، وإزالة النعمة عمن أنعم الله بها عليه من فضله.

وهذه هي طريقة اليهود والنصارى الذين من أبرز صفاتهم المكروالكيد والحسد، فإنهم يسعون ليل نهار برسم الخطط وفعل الأسباب لإزاحة المسلمين عن دينهم الذي أنعم الله به عليهم، ومن ذلك الغزو الفكري عبر القنوات واستخدام أساليب خطيرة وإغراءات كثيرة لنزع حب الدين من قلوبهم، حتى صار بعض المسلمين يحبون اليهود والنصارى ويدافعون عنهم ويكرهون المسلمين ويحذرون منهم ، وهذا جهل عظيم ، فمما يحزن القلب أن كثيرًا من المسلمين صاروا يلهثون وراء اليهود والنصارى ويقلدونهم ويتشبهون بهم في العادات والتقاليد والمآكل والملابس ويأخذون بأفكارهم ويستوردون أنظمتهم ويفرضونها في بلاد المسلمين ويهرعون مهرولين إلى بلاد الكفار لجلب الرزق ونسوا أن الله حذرنا منهم ونهانا عن الإقامة في بلادهم، وأخبرنا أنهم ليسوا راضين عنا حتى نكفر بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونتبع دينهم وملتهم قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ ﴾ الآية .

وقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩ ﴾[البقرة:١٠٩] .

ومن المؤسف جدًا أن بعض الغوغاء من المسلمين من عُبَّاد الدراهم والدنانير، صاروا يمدحون اليهود والنصارى ويثنون عليهم والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أخبر أنهم شر الخليقة فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي

نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ ﴾[البيِّنة:٦] وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى فمن مدحهم وأثنى عليهم فإنه قد شاق الله ورسوله، بل من صحح مذهبهم أو شك في كفرهم فهو كافر بالله رب العالمين، لأنه مكذب بالقرآن الكريم.

فإن المسلم العاصي خير من ملء الأرض كفار، فلا تغتر بدنياهم ، فمهما تزخرفت لهم فإنها فانية ، ومهما حسنت معاملاتهم فكلها حرصًا على الدنيا، ولن تنجيهم من عذاب الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ۝٩٦ ﴾ [البقرة : ٩٦] .

ولا تنبهر بما أعطاهم الله من حطام الدنيا وعلومها وتطوراتها فإن الدنيا جنتهم، وليس لهم في الآخرة من نصيب .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ [الروم : ٧] ، وروى مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ** ».

فالحاصل أن الحاسد ضر نفسه وأغاضها ولن يضر المحسود شيئًا إلا أن يشاء الله، وعلى المحسود أن يستعيذ بالله من شره حتى لا يصاب بعين أو نحو ذلك، مما يقدره الله قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ۝٥١ ﴾[القلم:٥١] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَمُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَغَيْرُهُمَا: ﴿ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾، أَيْ: لَيُعِينُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ، بِمَعْنَى: يَحْسُدُونَكَ لِبُغْضِهِمْ إِيَّاكَ لَوْلَا وِقَايَةُ الله لَكَ، وَحِمَايَتُهُ إِيَّاكَ مِنْهُمْ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ

دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَيْنَ إِصَابَتُهَا وَتَأْثِيرُهَا حَقٌّ، بِأَمْرِ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصحيحة. اهـ

وأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن نستعيذ به من شر الحاسدين فقال: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾[الفلق:١-٥] .

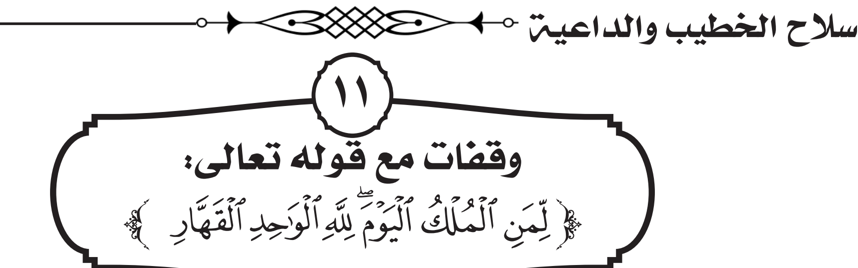
قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العائن، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس. اهـ

وما أحسن ما قيل:

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله ... كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

نعوذ بالله من الحسد ومن شر كل حاسد ، اللهم طهر قلوبنا من النفاق والغل والحسد ولا تجعل في قلبونا غلا للذين آمنوا إنك رؤوف رحيم.

اللهم إنا نعوذ بك من شر الأشرار، وكيد الفجار، اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم أصلح البلاد والعباد ، اللهم من أراد بنا أو بديننا أو ببلادنا كيدًا فاجعل كيده في نحره ،واكفنا شره، واجعل الدائرة عليه ياقوي يامتين.



الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَة ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَة فِي النَّارِ .

أعاذنا الله وإياكم من البدع ومن الضلالات ومن النار.

أيها الناس:

يقول الله تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧﴾ [غافر:١٤-١٧].

هذه الآيات تقشعر منها الجلود، وتوجل منها القلوب، لما فيها من إنذار للناس، ووعيد شديد، وتخويف من يوم القيامة، وذلك ليستعد الناس بالأعمال الصالحة، ويجعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية.

﴿لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ أي أنه يوم يلتقي فيه الناس مع بعضهم، ويلتقون بأنبيائهم، ويرون أعمالهم، ويأتون إلى أرض المحشر حُفاة عُراة غُرلًا، قد نزعت ثيابهم وفارقوا أموالهم، وذهبت أملاكهم، وليس لهم إلا ما صلح من أعمالهم ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾.

وسمي هذا اليوم بيوم التلاق قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَذَّرَ مِنْهُ عِبَادَهُ. يَلْتَقِي فِيهِ آدَمُ وَآخِرُ وَلَدِهِ. وَقَالَ آخرون: يَلْتَقِي فِيهِ الْعِبَادُ. وَيَلْتَقِي فِيهِ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ، وَالْخَالِقُ وَالْخَلْقُ. وَيَلْتَقِي فِيهِ الظَّالِمُ وَالْمَظْلُومُ. وسيلقى كل عامل ما عمل من خير وشر فقد يشمل هذا كله. اهـ

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنذر الخلق من هذا اليوم قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخوف العباد بذلك، ويحثهم على الاستعداد له بالأسباب المنجية مما يكون فيه. اهـ

فلا تبتئس أيها المظلوم فإنك ستلتقي بمن ظلمك بين يدي حاكم عدل ينتقم

للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وهي غير مكلفة فكيف بالإنسان المكلف، ولا تأمن أيها الظالم فإنك ستلتقي بمن ظلمته بين يدي جبار السماوات والأرض فيأخذ من حسناتك وأنت أحوج ما تكون إليها في ذلك اليوم أو يطرح عليك من سيئاته فأين المفر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ [القيامة: ١٠ – ١٥].

ولا تيأس أيها العبد الصالح ستلتقي بأعمالك الصالحة فلا تخف ظلمًا ولا هضمًا، ولا تفرح أيها الغادر ويا أيها الماكر ستفضح أمام الخلائق على رؤوس الأشهاد، فمن يسترك من مكرك وغدراتك، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد قال في كتابه الكريم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٢].

وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: « إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ » أي: ينصب له علم ويوضع تحت مقعدته يرتفع عليه ويكون على قدر غدرته.

﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ﴾ تعرض أجسادهم وتظهر أعمالهم وتبلى سرائرهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الطارق:٩].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ ﴾ أي: ظاهرون على الأرض، قد اجتمعوا في صعيد واحد لا عوج ولا أمت فيه، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر. ﴿ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ﴾ لا من ذواتهم ولا من أعمالهم، ولا من جزاء تلك الأعمال. اهـ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَا شَيْءَ يُكِنُّهُمْ وَلَا يُظِلُّهُمْ وَلَا يَسْتُرُهُمْ. وقال: تُعْرَضُونَ على عالم السر والنجوى الذي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِكُمْ، بَلْ هُوَ عَالِمٌ بِالظَّوَاهِرِ وَالسَّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ، اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ ﴾ أي: تختبر سرائر الصدور، ويظهر ما كان في القلوب من خير وشر على صفحات الوجوه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾، ففي الدنيا، تنكتم[(١)] كثير من الأمور، ولا تظهر عيانًا للناس، وأما في القيامة، فيظهر بر الأبرار، وفجور الفجار، وتصير الأمور علانية. اهـ

﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ﴾ يحشرون على أرض بيضاء عفراء مستوية ليس فيها علم لأحد قيامًا لله أربعين سَنَة ينتظرون فصل القضاء.

روى الطبراني عن عَبْد الله بْن مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً، شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، يَنْتَظِرُونَ فَصْلَ الْقَضَاءِ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨ ﴾ [إبراهيم:٤٨].

فيناديهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ أين الملوك ؟!، أين الجبارون ؟!، أين المتكبرون؟!، فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾.

الملك لله في الدنيا والآخرة لكنه أضيف إلى يوم القيامة لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعطى عباده في الدنيا أملاكًا يتصرفون فيها اختبارا لهم وجعل لهم حدودًا وضوابط يسيرون عليها، فهذا يعطيه مالًا وهذا يعطيه مُلكًا وهذا يعطيه جاهًا

(١) ـ تنكتم: أي: خفيت عليكم.

فينظر كيف يعملون ثم يوم القيامة ينزعها منهم ويحاسبهم على تصرفاتهم فيما ملكهم في الدنيا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ لِأَنَّهُ لَا يَدَّعِي أَحَدٌ هُنَالِكَ شَيْئًا، وَلَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النَّبأ: ٣٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه: ١٠٨].

وَقَالَ: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [هود: ١٠٥]. اهـ

فلا يملك العبد يوم القيامة حتى الكلمة يقولها وقد يختم على فيه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يس: ٦٥].

﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها، لأن في ذلك اليوم، يظهر للخلق تمام الظهور، كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق. حتى إنه يستوي في ذلك اليوم، الملوك والرعايا والعبيد والأحرار.

كلهم مذعنون لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين ولغيره. اهـ

ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٦].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [مريم: ٤٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ الْخَالِقُ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ، وَأَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ يَهْلَكُونَ وَيَبْقَى هُوَ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَلَا أَحَدَ يَدَّعِي مُلْكا وَلَا تَصَرُّفًا، بَلْ هُوَ الْوَارِثُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، الْبَاقِي بَعْدَهُمْ، الْحَاكِمُ فِيهِمْ. اهـ

وقال العلامة البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: أي يميت سكان الأرض ويهلكهم جميعًا ويبقى الرب وحده فيرثهم. اهـ وروى مسلم عن عَبْد الله بْن عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّماوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بيده الأخرى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟».

وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

[الزُّمر:٦٧].

ففي هذا اليوم: ﴿ لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ ﴾

[لقمان:٣٣].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾[عبس:٣٤-٣٧].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾

[الانفطار:١٩].

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا إمام الأولين والآخرين، وصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

سمعنا قوله تعالى: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر:١٦] وعرفنا حقيقة الملك يوم القيامة.

ومن الآيات التي بعدها قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾[غافر:١٨].

ففيها إنذار آخر تأكيدًا للإنذار الأول وهو قوله:﴿ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ وهذا إنذار من يوم الآزفة وهو يوم القيامة ، وسميت بالآزفة لأنها قريبة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾ الْقَمَر[القمر:١] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنبياء:١] كيف لا؟! وقد كثرت علاماتها التي أخبرنا بها نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الفتن والهرج والقتل واختلاط أمور الناس وغير ذلك.

﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ ﴾[غافر:١٨] .

قال أهل التفسير: أي قد تحولت القلوب من أماكنها من الخوف والهلع حتى وصلت إلى الحناجر فلا هي خرجت ولا هي رجعت إلى أماكنها ، فهي

مكظومة فارغة .

﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ أي هي شاخصة إلى السماء.

﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ أي : مملوءة حزن وقلق وهم .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: وَقُلُوبُهُمْ خَاوِيَةٌ خَالِيَةٌ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ لِكَثْرَةِ الْفَزَعِ وَالْوَجِلِ وَالْخَوْفِ. وَلِهَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَجَمَاعَةٌ: إِنَّ أَمْكِنَةَ أَفْئِدَتِهِمْ خَالِيَةٌ لِأَنَّ الْقُلُوبَ لَدَى الْحَنَاجِرِ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ أَمَاكِنِهَا مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هي خَرَابٌ لَا تَعِي شَيْئًا لِشِدَّةِ مَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى بِهِ عَنْهُمْ. اهـ

فالخلاصة : أن الإنسان يزول جميع ما يملك في الحياة الدنيا ولا يلقى الله إلا بما قدم من خير أو شر، فإنه يجرد حتى من ثيابه عند موته ويتقاسم الورثة تركته وربما تزوجت زوجته، ذكر أهل التأريخ والسير أن بعض الملوك لما جاءه الموت نزل على الأرض وَأَلْصَقَ خَدَّهُ بِالتُّرَابِ، وَجَعَلَ يَقُوْلُ:(يَا مَنْ لاَ يَزُوْلُ مُلْكُهُ، ارْحَمْ مَنْ قَدْ زَالَ مُلْكُهُ).

قَالَ تَعَالَىٰ مخبرًا عن الملوك الذين ألهاهم الجاه والسلطان عن يوم القيامة: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحاقة:٢٥-٢٩] زال عنه ملكه وماله يوم القيامة ، وانفرد ملك الملوك سبحانه بالملك ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر:١٦] .

ليس للإنسان من ملكه إلا ما ادخر لذلك اليوم وليس له من ماله إلا ما قدم لذلك اليوم فقد روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن الشخير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ ﴾، قَالَ: « يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا

أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟ » ، وفي رواية: «وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ، وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ».

فهذا المال وهذا الملك الذي أعطاه الله في الدنيا سيحاسبه الله على قليله وكثيره ولا يتركه بدون حساب، فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لاَ تَزُولُ قدمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ».

وفي هذا اليوم يفر القريب من قريبه والحبيب من حبيبه والوالد من ولده والزوج من زوجته، فكلٌ مشغول بنفسه بريد أن ينجو بذاته. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس:٣٤-٣٧] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: يَرَاهُمْ، وَيَفِرُّ مِنْهُمْ، وَيَبْتَعِدُ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّ الْهَوْلَ عَظِيمٌ، وَالْخَطْبَ جَلِيلٌ.

قَالَ عِكْرِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَلْقَى الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ فَيَقُولُ لَهَا: يَا هَذِهِ، أَيُّ بَعْلٍ كنتُ لَكِ؟ فَتَقُولُ: نِعْمَ الْبَعْلُ كنتَ! وَتُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَتْ، فَيَقُولُ لَهَا: فَإِنِّي أطلبُ إِلَيْكِ اليومَ حَسَنَةً وَاحِدَةً تَهَبِينَهَا لِي لَعَلِّي أَنْجُو مِمَّا تَرَيْنَ. فَتَقُولُ لَهُ: مَا أَيْسَرَ مَا طلبتَ، وَلَكِنِّي لَا أُطِيقُ أَنْ أُعْطِيَكَ شَيْئًا أَتَخَوَّفُ مِثْلَ الَّذِي تَخَافُ. قَالَ: وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَلْقَى ابْنَهُ فَيَتَعَلَّقُ بِهِ فَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ، أَيُّ وَالِدٍ كنتُ لَكَ؟ فَيُثْنِي بِخَيْرٍ. فيقولُ لَهُ: يَا بُنَيَّ، إِنِّي احْتَجْتُ إِلَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ حَسَنَاتِك لَعَلِّي أَنْجُو بِهَا مِمَّا تَرَى. فَيَقُولُ وَلَدُهُ: يَا أَبَتِ، مَا أَيْسَرَ مَا طَلَبْتَ، وَلَكِنِّي أَتَخَوَّفُ مِثْلَ الَّذِي تَتَخَوَّفُ، فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعْطِيَكَ شَيْئًا. اهـ

فإذا كان المال والأولاد والزوجة والأصدقاء لا ينفعون يوم القيامة شيئًا، ويشح الولد بالحسَنَة الواحدة فلا يهبها لوالده ، فما بال أناس ضيعوا الصلوات وقصروا في الواجبات من أجل أبنائهم وأموالهم ؟!

وربنا قد حذر من ذلك وقال:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ [المنافقون:٩] .

وأخبرنا أن الناس يوم القيامة كل مشغول بنفسه ويذهل عن قريبه ولا يسأل الحميم عن حميمه ولا الأم عن ولدها فقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ ﴾ [الحج:١-٢] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تُذْهَلُ الْمَرَاضِعُ، وَتَضَعُ الْحَوَامِلُ، وَتَشِيبُ الْوِلْدَانُ، وَتَطِيرُ الشَّيَاطِينُ هَارِبَةً مِنَ الْفزَعِ، حَتَّى تَأْتِيَ الْأَقْطَارَ، فَتَأْتِيهَا الْمَلَائِكَةُ فَتَضْرِبُ وُجُوهَهَا، فَتَرْجِعُ، وَيُوَلِّي النَّاسُ مُدْبِرِينَ مَا لَهُمْ مِنْ أَمْرِ الله مِنْ عَاصِمٍ، يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:﴿ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴾. اهـ

حينها تجزى كل نفس بما كسبت لا تظلم مثقال ذرة وتأتي الأعمال كمثاقيل الذر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ [الزلزلة:٧] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧ ﴾ [الأنبياء:٤٧] .

فالعاقل هو الذي ينظر إلى هذا اليوم بعين البصيرة وينظر إلى الدنيا بأنها فانية وحقيرة ويقدم الآجل على العاجل وما يبقى على ما يفنى ويعمل ليوم مقداره خمسين ألف سَنَة ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الشعراء : ٨٨ ، ٩١] فلا ينفع فيه شفيع ولا حميم ، إلا ما رحم رب العالمين ، ممن شاء من عباده المؤمنين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

اللهم ارحم وقوفنا بين يديك ، اللهم خفف عنا شدائد يوم القيامة ، اللهم ثبتنا أقدامنا يوم تزل الأقدام ، اللهم آتنا كتبنا بأيماننا وثقل موازيننا وثبتنا على الصراط، اللهم ارحمنا فوق الأرض، وارحمنا تحت الأرض، وارحمنا يوم العرض ، برحمتك يا أرحم الراحمين.





الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس:

يقول الله تعالى:﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ

تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾
لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ
النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾[التكاثر:١-٨] .

في هذه السورة بيان لسبب غفلة كثير من الناس ولهوهم وبعدهم عن دينهم وهو كثرة الأموال والأولاد والتكاثر بها وفيها وعيد لمن التهى بدنياه عن آخرته وفيها إشارة إلى حقَارة الدنيا التي ألهت الناس عن العمل لما ينفعهم وأن الموت سينغص عليهم عيشهم وتكاثرهم هذا، وتذهب كأن لم تكن بالأمس وذلك في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾[التكاثر:٢-٣] .

والتكاثر المذموم في هذه السورة هو التكاثر الذي يلهي عن طاعة الله وعما أوجب الله أما التكاثر في طاعة الله وجمع الأموال والرجال للجهاد في سبيل الله فهذا ممدوح كما سيأتي بيان ذلك.

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُر» يَقُولُ تَعَالَى: شَغَلَكُمْ حُبُّ الدُّنْيَا وَنَعِيمُهَا وَزَهْرَتُهَا عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ وَابْتِغَائِهَا، وَتَمَادَى بِكُمْ ذَلِكَ حَتَّى جَاءَكُمُ الْمَوْتُ وَزُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، وَصِرْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا؟!.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانُوا يَقُولُونَ نَحْنُ أَكْثَرُ مَنْ بَنِي فُلَانٍ وَنَحْنُ أَعَدُّ مَنْ بَنِي فُلَانٍ، وَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ يَتَسَاقَطُونَ إِلَى آخِرِهِمْ، وَاللهِ مَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى صَارُوا مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ كُلُّهُمْ.اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى موبخًا عباده عن اشتغالهم عما خلقوا له من عبادته وحده لا شريك له، ومعرفته، والإنابة إليه، وتقديم محبته على

كل شيء: ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ عن ذلك المذكور ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ولم يذكر المتكاثر به، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأموال، والأولاد، والأنصار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر، وليس المقصود به الإخلاص لله تعالى. فاستمرت غفلتكم ولهوتكم وتشاغلكم ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ فانكشف لكم حينئذ الغطاء لو تعلمون ما أمامكم علمًا يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة. اهـ

وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه، وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها. بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبرا ولم يجعلها مستقرا، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى الله وإذا رأى من يكاثره وينافسه بالأموال والأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة. اهـ

وقال المفسر القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾ أَيْ يَفْخَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِهَا. وَقِيلَ: بِالْخِلْقَةِ وَالْقُوَّةِ. وَقِيلَ: بِالْأَنْسَابِ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي الْمُفَاخَرَةِ بِالْآبَاءِ.. والدنيا لعب كلعب الصبيان. اهـ

وكل هذه الكثرة ذاهبة ومضمحلة ولن تصحب أصحابها إلى قبورهم وآخرتهم إلا ما كان من أعمالهم الصالحة ، أو ما قدموا من هذه الأموال إلى

الدار الآخرة فقد روى الإمام مسلم عن عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ ، قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟ » .

وكم حذرنا الله من الالتهاء بالأموال والأولاد عن طاعته ، وأخبرنا أنها ستكون ابتلاء وفتنة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون:٩].

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال المفسرون: لا تشغلكم عن الصلوات الخمس.

وقال المفسر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الحسن: لا تشغلكم عن جميع الفرائض. اهـ

فعند الله من النعيم المقيم في الجنة خير من هذه الدنيا وما فيها بل لا تساوي موضع سوط في الجنة، كما روى البخاري عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ ؛ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».

فالأموال والأولاد فتنة وابتلاء ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾[التغابن:١٥] .

وما عند الله هو الباقي قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الشورى : ٣٦] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [الجمعة:١١] .

فالتكاثر في الأموال ليست ممدحة ولا منقبة، بل قد تكون سببًا لشقاء العبد وطغيانه ، ومظنة انحرافه ، فإن أهل الدنيا من أهل الأموال والجاه ، الغالب فيهم أنهم من أبعد الناس عن دين الله وعن بيوت الله ، وأكثر تهاونًا بالصلاة إلا من رحم الله .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[الشورى:٢٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾[العلق : ٦ ، ٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان أن رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله. اهـ

ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[الشورى:٢٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال قتادة: كان يقال خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك .اهـ

فقليل من يشكر إذا كثر ماله ويصبر على طاعة ربه ويتواضع للخلق.

وكثير من أصحاب الأموال في الدنيا مفلسون من الحسنات يوم القيامة إلا من وفقه الله فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ فَقَالَ:« يَا أَبَا ذَرٍّ» قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله قَالَ :«مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلاَّ شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ إِلاَّ أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ الله هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ثُمَّ مَشَى فَقَالَ إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ مَنْ قَالَ بالمال هكذا وَهَكَذَا، عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ

وَقَلِيلٌ مَا هُمْ». وفي رواية عند ابن ماجهْ وغيره:«إن الأكثرين هم الأسفلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا و هكذا» .

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأكثرون مالا هم الأقلون ثوابًا يوم القيامة ولم يتصدقوا .اهـ

فالحرص على الدنيا والتكاثر منها يفسد الدين كإفساد ذئبين جائعين في زريبة غنم بل أشد، لما روى الترمذي عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ».

فقد كان من أسباب هلاك قارون كثرة ماله، وكان هلاك فرعون بملكه ، وهلاك الوليد بن المغيرة بسبب كثرة أولاده وسبب هلاك قوم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اتباع كبرائهم من الأغنياء أصحاب الأموال.

فأما قارون فقد كثر ماله حتى صارت مفاتيح الخزائن يحملها العصبة من الرجال فخسف الله به وبداره وأمواله الأرض فما نفعته في الدنيا ولا أنجته من عذاب الله ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ

إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ
يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [القصص:٧٦-٨٢] .

ففي هذه الآيات موعظة كافية شافية وعبرة وافية لأصحاب العقول المتعافية من قصة هذا الرجل كيف تكبر على غيره وافتخر بماله وأعجب بذكائه فكان ذلك سبب هلاكه ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ .

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال قتادة يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال.

وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعرفون بسيماهم.اهـ

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن قوم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ ﴾[نوح:٢١] .

قال المفسر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتبعوا كبراءهم وأغنياءهم الذين لم يزدهم كفرهم وأموالهم وأولادهم إلا ضلالاً في الدنيا ، وهلاكًا في الآخرة. اهـ

وقال تعالى عن الوليد بن المغيرة: ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ ﴾ [المدثر:١١-١٦] .

وقال تَعَالَىٰ عنه : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [القلم:١٠-١٥] .

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي لكثرة ماله وولده طغى واستكبر عن الحق ودفعه

حين جاءه وجعله من جملة أساطير الأولين.اهـ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رزقه الله مالا واسعا كثيرًا وجعل له بنين شهودا. قال مجاهد: لا يغيبون عنه ، حضور عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويمتلي بهم. اهـ

فلم ينفعه شيء من ذلك لأنه ليس له عمل صالح ولم يشكر الله على ما أنعم عليه من هذه النعم.

فلا يعجب العبد بكثرة الأموال فإن حلالها حساب، وحرامها عقاب، وقلة المال خير عند الحساب، فقد ثبت عن مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ:يكره الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ الْمَالِ، وَقِلَّةُ الْمَالِ أَقَلُّ لِلْحِسَابِ** » .

والأغنياء يتأخرون عن دخول الجنة للحساب لا سيما الذين لم يؤدوا حق المال، ويسبقهم الفقراء إلى الجنة بخمسمائة عام، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أُسَامَةَ،رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ إِلاَّ أَصْحَابَ النَّارِ فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ ». وأصحاب الجد هم أصحاب الغنى والحظ .

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أصحاب الجد محبوسون هم أصحاب الحظ في الدنيا والغنى والوجاهة بها ، وقيل المراد أصحاب الولايات ومعناه محبوسون للحساب. اهـ

وروى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمس مائة عام نَصف يوم** » .

وقال الحافظ ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنما صار أصحاب الجد محبوسون لمنعهم حقوق الله الواجبة للفقراء فى أموالهم، فحبسوا للحساب عما منعوه، فأما من أدى حقوق الله فى أمواله، فإنه لا يحبس عن الجنة، إلا أنهم قليل، إذا كثر شأن المال ضيعت حقوق الله فيه؛ لأنه محنة وفتنة. اهـ

فلا تغتر يا عبد الله بكثرة ما أنعم الله على بعض الناس من الأموال فإنما هي فتنة لهم واختبار، وقد يكون الفقر خيرًا لك جعله الله لتنجو من عذابه ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾[طه:١٣١] .

ولا تتعجب من كثرة أموال الكافرين والمنافقين فإنما هي عذاب عليهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة:٥٥] .

وقال سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٢-١٨٣] .

قال الإمام السعدي: يقول تعالى: فلا تعجبك أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، فإنه لا غبطة فيها، لأنهم قدموها على مراضى ربهم، وعصوا الله لأجلها ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ والمراد بالعذاب هنا، ما ينالهم من المشقة في تحصيلها، والسعي الشديد في ذلك، وهمّ القلب فيها، وتعب البدن..، فهي - لما ألهتهم عن الله وذكره- صارت وبالا عليهم حتى في الدنيا. ومن وبالها العظيم ، أن قلوبهم تتعلق بها، وإرادتهم لا تتعداها، فتكون منتهى مطلوبهم وغاية مرغوبهم ولا يبقى في قلوبهم للآخرة نصيب، فيوجب ذلك أن ينتقلوا من الدنيا ﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾. اهـ

فكثرة الأموال لا يعني أن أصحابها سعداء ، فإن بعض الأغنياء تراهم في هم وقلق وضيق وعناء ، وترى الفقر بين أعينهم مع كثرة أموالهم ، فلا يجدون الراحة والسعادة ، فصارت أموالهم عذابًا عليهم لأسباب كثيرة ، منها أنهم لم يعرفوا الله فيها حقًا ، ولم يصلوا رحمًا ، ومنها أنها ألهتهم عن الواجبات وضيعوا الصلوات ، وتكبروا على المساكين ، وغير ذلك.

فقد روى الترمذي من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ** ».

نسأل الله العفو والعافية، في الدنيا والآخرة.





الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، ملء السماوات وملء ما بينهما ، وملء ما شاء من شيء بعد ، الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ، وأنزل علينا القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

أما بعد:

فاعلم يا عبد الله أن هذه الأموال ليست مكرمة ، ولا علامة على محبة الله للعبد ، فإنه يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لحكمة يعلمها سبحانه، فقد أعطاها لقارون وفرعون ومنعها عن خير خلقه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من يحب ، ولقد كان من دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا». وفي رواية: «كفافًا» أي:ما يكفيهم بلا زيادة ولا نقصان ، والحديث في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فالميزان إذن عند الله الذي يوزن به العباد هو الإيمان والتقوى، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحُجُرات:١٣] ، ولم يقل أكثركم مالًا أو أشرفكم جاهًا ونسبًا.

روى مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**». وفي رواية :«ولا إلى أموالكم».

فلا تظن إذا أعطاك الله مالًا أنه قد أحبك، أو لأنك عبد صالح ، أو أنك

تستحق وغيرك لا يستحق ، أو أن هذا المال سينجيك من عذاب الله، فإن الأموال لا تقرب صاحبها من الله إلا إذا أنفقها في مرضاته ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ:٣٥-٣٧] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: افْتَخَرُوا بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى محَبَّةِ الله لَهُمْ وَاعْتِنَائِهِ بِهِمْ، وَأَنَّهُ مَا كَانَ لِيُعْطِيَهُمْ هَذَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يُعَذِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَهَيْهَاتَ لَهُمْ ذَلِكَ... فرد الله عليهم ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾ أَيْ: لَيْسَتْ هَذِهِ دَلِيلًا عَلَى محَبَّتِنَا لَكُمْ، وَلَا اعْتِنَائِنَا بِكُمْ. إنما يقربكم عندنا الإيمان والعمل الصالح. اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قالوا الذي أعطانا الأموال في الدنيا سيعطينا أكثر في الآخرة ولا يعذبنا. اهـ

وهذا قياس فاسد فإنما هي ابتلاء في الدنيا، وقد يكون ذلك إملاءً لهم ليزدادوا إثما، أواستدراجا وعذابًا ليهلكهم في الدنيا الآخرة

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران : ١٧٨].

و قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦] .

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي إن ذلك استدراج لهم. اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما يملي لهم ويمدهم بالنعم ليزدادوا إثما وليتوفر

عقابهم في الآخرة. اهـ

وقال ابن كثير: قد كان من هو أكثر من قارون مالاً وما كان ذلك عن محبة تناله وقد أهلكهم الله بكفرهم وشركهم. اهـ

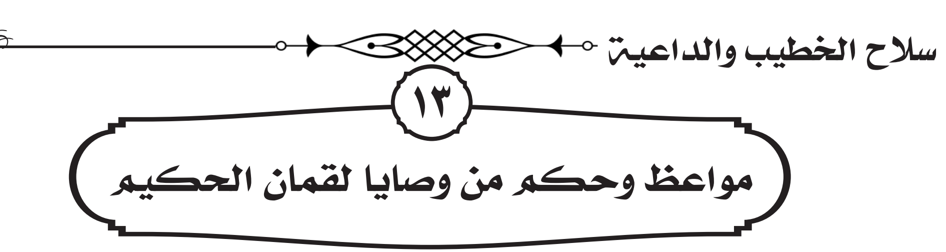
فلا تنظر إلى كثرة الأموال ولكن انظر إلى كثرة الإيمان والدين والصلاح، ولا تنظر إلى أصحاب الدنيا والأموال فتحتقر نعمة الله عليك ولكن انظر إلى أصحاب الدين والصلاح لتعرف تقصيرك وتلتحق بهم وتسابقهم بالأعمال الصالحة.

قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**» رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وليس كثرة المال مذموما على إطلاقه فقد يكون خيرًا لصاحبه إذا صرفه فيما أباح الله ، وفي طاعة الله وفي أبواب الخير وفي باب الجهاد في سبيل الله، فقد قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« نعم المال الصالح للعبد الصالح». رواه أحمد عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نسأل الله أن يرزقنا المال الصالح والعمل الصالح والرزق الطيب .

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا غاية مطلبنا ولا إلى النار مصيرنا ، واجعل الجنة دارنا ، اللهم آتنا في الدنيا حسَنَة ، وفي الآخرة حسَنَة وقنا عذاب النار ، والحمد لله ب العالمين.



١٣
مواعظ وحكم من وصايا لقمان الحكيم

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَريْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُور مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس:

كلامنا في هذا اليوم العظيم ، وفي هذا المقام العظيم، عن وصايا عظيمة وإرشادات قويمة وتوجيهات مباركة ونصائح مسددة ، صدرت من ولي من

أولياء الله ذكرها الله في كتابه الكريم وذكر اسمه في القرآن العظيم، بآيات تتلى إلى قيام الساعة وسميت السورة باسمه ألا وهو لقمان الحكيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فسنقرأ هذه الآيات ونأخذ منها تلكم النصائح والتوجيهات ونتطرق إلى الحكم والفوائد المستفادة منها فإنها شرع لنا حيث إن الله ذكرها في القرآن وأوصانا بها نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : هذه وصايا نافعة قد حكاها الله عن لقمان الحكيم يمتثلها الناس ويقتدوا بها. اهـ

ولقمان الحكيم رجل صالح آتاه الله الحكمة وهي الإصابة والسداد، ولم يكن لقمان نبيًا على الصحيح.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: لقمان الحكيم رجل صالح. وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان عبدا حبشيا نجارا وقال الأعمش عن مجاهد كان عبدا صالحًا ولم يكن نبيا وكان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين، والحكمة التي آتاه الله هي كما قال ابن كثير الفهم والعلم والتعبير. اهـ

وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: الحكمة هي العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور. اهـ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [لقمان:١٢] .

نستفيد من هذه الآية التحلي بالحكمة وهي وضع الشيء في مواضعه اللائقة به، فعلى العبد أن يكون حكيمًا في تصرفاته ومعاملاته وفي دعوته ورعايته وفي كلامه وأفعاله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الحكمة هي العلم بالأحكام ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام فقد يكون عالما ولا يكون حكيمًا وأما الحكمة فهي مستلزمة للعلم بل والعمل ولهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع والعمل الصالح. اهـ

فحري بالداعية أن يكون حكيمًا، فإنه إن استخدم الحكمة في الدعوة إلى الله وتحلى بها نفع الله به وبدعوته، وأقبل الناس على دعوته وانتفعوا بها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥ ﴾[النحل:١٢٥] .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ : بِالْقُرْآنِ، ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾ يَعْنِي مَوَاعِظَ الْقُرْآنِ. وَقِيلَ: ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾ هِيَ الدُّعَاءُ إِلَى الله بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ. وقيل: هو قول اللين الرقيق من غير تغليظ وَلَا تَعْنِيفٍ. اهـ

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده. ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسَنَة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به. وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل.

فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل

بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها. اهـ

ومن الحكمة ، معرفة حال المدعوين وما يحتاجونه ومن ثمَّ تقديم ما يناسبهم واستخدام الأسلوب الأمثل الذي يلائمهم.

وإن من الحكمة شكر النعمة ،الله قال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [لقمان:١٢] .

فإن شكر الله على نعمه عبادة ومن أسباب الزيادة ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٧] .

وشكر النعمة هو صرفها فيما يرضي الله وفيما أباح الله، والإقرار بالقلب أنها من الله وعدم نسبتها إلى غيره والثناء عليه باللسان ، فهذه هي أركان الشكر ، وهي القلب واللسان والجوارح.

قال الشاعر:

أَفَادَتْكُمُ النّعْمَـاء منِّي ثَلاثـةً ... يـدِي ولَسَاني وَالضَّميرالمُحَجَّبَا

وكفر النعمة هو صرفها في المعصية، ونسبتها إلى غير الله، وعدم الثناء على المنعم باللسان.

فمَن شكر الله على نعمه زاده من فضله وأبقى له النعمة وجزاه من خيري الدنيا والآخرة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٥] .

ومَن كفر النعمة زالت عنه وحل عليه عذاب الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾ [إبراهيم:٧] .

ولقد ضرب الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمثلة كثيرة في القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة لأمم وأناس كفروا نعمة الله فسلبهم الله إياها وعذبهم، كقصة أصحاب سبأ، وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم، وقصة صاحب الجنة التي في سورة الكهف،وقصة قارون، وفي السُّنَّة قصة الأقرع والأبرص سلبهم الله النعم من الأموال والعافية بسبب كفر النعمة ، فكان عاقبة أمرهم خُسرًا.

ومن شكر النعمة الشكر للوالدين، قَالَ تَعَالَى في سورة لقمان: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤ ﴾[لقمان:١٤] .

فمن شكر الوالدين طاعتهما والاعتراف بالجميل لهما والدعاء لهما بالمغفرة والرحمة في حياتهما وبعد موتهما امتثالا لأمر الله وجزاء لهما بما قاما به من أعباء وأتعاب ونفقات نحو الأولاد، فمهما قام الولد بحقهما فلن يستطيع مكافأتهما والوفاء بحقهما ، لعظم ما يقوما به لا سيما الأم لن يستطيع أن يقوم بحقها ولا بزفرة واحدة من زفرات الولادة ولن يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكا أو عبدا فيشتريه فيعتقه، ولهذا غالبًا ما يقرن الله حقه بحق الوالدين في كثير من الآيات لعظم حقهما على الولد ولأنهما السبب في وجوده ليعبد الله تعالى ولأن طاعتهما ـ في غير معصيةـ من طاعة الله .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء:٢٣].

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال ابن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات فقد شكر الوالدين. اهـ

وفي قوله تعالى في هذه السورة: ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [الأحقاف:١٤]، وقوله في آية أخرى في سورة الأحقاف: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ ﴾ [الأحقاف:١٥].

فائدة: وهي أن المرأة قد تضع الحمل في ستة أشهر فما فوق، لأن الثلاثين شهرا عبارة عن عامين وستة أشهر، فيكون العامان للرضاعة، والستة أشهر للحمل كما في هذه الآية، فلا يرتاب إنسان إن وضعت المرأة لستة أشهر.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمِنْ هَاهُنَا اسْتَنْبَطَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ أَنَّ أَقَلَّ مُدَّةِ الْحَمْلِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ؛ لِأَنَّه الله تَعَالَى قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ ﴾ وفي هذه الآية قال: ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾. اهـ

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع -وهي سنتان- إذا سقطت منها السنتان بقي ستة أشهر مدة للحمل». اهـ

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان:١٣].

في هذه الآية الحرص على تعليم الأبناء وتربيتهم التربية الشرعية على الكتاب والسُّنَّة وتعليمهم العقيدة الصحيحة واستخدام الوعظ والترغيب والترهيب والتلطف كخطاب لقمان يا بني وإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يا أبت والبدء بالأقرب فالأقرب، قَالَ تَعَالَىٰ: «وأنذر عشيرتك الأقربين» [الشعراء:٢١٤].

وبدأ لقمان في وصيته لابنه بأعظم شيء وحذره من أكبر معصية عصي الله

بها في الأرض وهي الشرك بالله فقال: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان:١٣] أي ذنب قبيح لا يغفره الله إن مات عليه، ولا يدخل صاحبه الجنة ويخلد في النار والعياذ بالله.

قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾ [الأنعام:٨٢] . أي لم يخلطوا مع إيمانهم شرك .

وفي صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾[الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وَقَالُوا أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾. وفي رواية :« فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾.

ظنوا أن المقصود بالظلم هنا هوالمعاصي فبين الله لهم أنه الشرك، فمن لم يخلط إيمانه بشرك له الأمن التام والهداية التامة في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥ ﴾[لقمان:١٥] .

يستفاد من هذه الآية أن الوالدين إذا أمرا الولد بمعصية فلا يجوز طاعتهما ويجب نصحهما بالمعروف وعدم التعنيف عليهما فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كائنًا من كان إنما الطاعة بالمعروف ، فقد ثبت عند الإمام أحمد عن عِمْرَان بْن الحُصَيْنِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: « **لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الله** » .

وسبب هذه الآية ما رواه الطبراني عن سعد بن أبى وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال

أنزلت فيَّ هذه الآية: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ ﴾ [لقمان:١٥] ، قال: كنت رجلاً برًا بأمي ، فلما أسلمتُ قالت :يا سعد، ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعنَّ دينك هذا أو لا آكلُ ولا أشربُ حتى أموت ، فتُعَيَّر بي ،فيقال: يا قاتل أمه ، قلت: لا تفعلي يا أمّه، إني لا أدع ديني هذا لشيء ، فمكثت يومًا وليلة لا تأكل و لا تشرب ، و أصبحت و قد جهدت ، فمكثت يوما وليلة أخرى لا تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك ، قلت :يا أمه تعلمين و الله لو كان لك مائة نفس ، فخرجت نفسًا نفسًا ، ما تركت ديني، إن شئت فكلي أو لا تأكلي . فلما رأت ذلك أكلت .

وفي رواية عند الترمذي أن أم سعد قالت: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ اللهُ بِالبِرِّ، وَاللهِ لاَ أَطْعَمُ طَعَامًا وَلاَ أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ .. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ ﴾ [لقمان:١٥] .

الله أكبر، هؤلاء هم الرجال الذين صدقوا الله ما عاهدوه عليه وقدموا مرضات الله على مرضات أنفسهم ووالديهم فما بال أناس قدموا مرضات مشايخهم وعلمائهم وكبرائهم واتبعوا الباطل تقليدا لهم.

فانتبه يا عبد الله ليكن الحق مقدما عندك وأحب إليك من ولدك ووالديك ومن نفسك والناس أجمعين .

هكذا فليكن من أراد النجاة والسعادة فالحق أحق أن يتبع ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ [الكهف:٢٩] .

ثم علَّم لقمان ابنه المراقبة لله وأن الله مطلع عليه يرى مكانه ويعلم أعماله ويسمع أقواله ويعلم حاله لا تخفى عليه خافية «وما من غائبة في السماوات والأرض إلا يعلمها «يسمع دبيب النملة السوداء ويراها على الصخرة الصماء

في الليلة الظلماء.

يقول لقمان لابنه ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ ﴾[لقمان:١٦].

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلَوْ كَانَتْ تِلْكَ الذَّرَّةُ مُحَصَّنَةً مُحَجَّبَةً فِي دَاخِلِ صَخْرَةٍ صَمَّاء، أَوْ غَائِبَةٍ ذَاهِبَةٍ في أرجاء السموات أَوِ الْأَرْضِ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِهَا لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؛ ولهذا قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ أي: لطيف العلم فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْأَشْيَاءُ وَإِنْ دَقت وَلَطُفَتْ وَتَضَاءَلَتْ﴿ خَبِيرٞ ﴾بِدَبِيبِ النَّمْلِ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ..

وقال:﴿ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ ﴾ أي: إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة من خردل..

وقوله: ﴿ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ ﴾ أي: أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، وجازى عليها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر،كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ** ٤٧ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ** ٨ ﴾ [الزلزلة:٧، ٨]اهـ.

فينبغي على العبد أن يستحضر مراقبة الله وأن يغرسها في قلب ولده ويعلم أن هذه المرتبة هي أعلى مراتب الدين وهو الإحسان كما في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ في حديث جبريل المشهور قال:« **فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** » .

نستغفر الله العظيم.



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ، ومن والاه .

وبعد:

فمن وصايا لقمان لابنه، الأمر بإقامة الصلاة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[لقمان ١٧] لأنها عمود الدين والصلة بين العبد وربه وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة وهي العهد بين المسلمين وبين المنافقين والكافرين، فيجب علينا أن نعلم أولادنا الصلاة وأن نأمرهم بها لما روى أبو داود عن عن عمرو بن شُعيب، عن أبيه عن جدِّه،قال:قال رسولُ الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مُرُوا أولاكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سِنينَ، واضرِبوهم عليها وهم أبناءُ عَشرٍ، وفرِّقوا بينهم في المَضاجِعِ**» .

فيجب على ولي الأمر أن يأمر أولاده بالصلاة وأن يضربهم عليها إن تهاونوا بها، فإن ضرْبهم عليها مشروع وإن لم يبلغوا سن التكليف ليتروضواعليها وإن لم تجب عليهم، فإن الولد إذا شب على الصلاة فإنه لا ينفك عنها إذا كبر، وبالعكس إذا أهمل فإنه يشب ويكبر ولايصلي في الغالب ، فعلى هذا يجب على ولي الأمر أن يعلم أولاده الصلاة في سن الصغر، ـ بنين وبنات ـ وإن قصر فهو آثم لأمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن الأمر يقتضي الوجوب، فإذا كان هذا في حق الأولاد الصغار فكيف بالشباب والكثير منهم قد ضيعوا الصلاة فهذا ناتج إما عن تقصير آبائهم فيهم في صغرهم وإما بسبب جلساء السوء.

فانتبه لأولادك وانظر من يجالسون فإن المرء على دين جليسه ، فإن كان

جلساؤهم قطاع صلاة فإنهم كذلك كما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ** »، رواه أبو داود والترمذي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩] أي عذابًا عظيمًا.

ثم أمر لقمان ابنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على ذلك فقال: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[لقمان:١٧].

يؤخذ من هذه الآية وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**».

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين لا يقوم الدين إلا بهما وهما مسئولية الجميع كبارًا وصغارًا رجالًا ونساءً لعموم الحديث، وقد جعله بعض أهل العلم ركنا سادسا من أركان الإسلام، والمعروف هو ما عرفه الشرع والمنكر هو ما أنكره الشرع، فلا يجوز السكوت عن المنكر عند القدرة على تغييره وله أحكام وضوابط.

منها: ألا يؤدي إلى منكر فإن كان تغيير المنكر يؤدي إلى أنكر منه فتركه أولى.

وينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يستخدم الحكمة في دعوته وأن يصبر على الأذى في سبيل ذلك، لأنه ما من داعي إلى الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا أوذي وعودي كما حصل للأنبياء وأتباعهم في دعوتهم إلى

الله، ولهذا ذكر الصبر بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[لقمان:١٧] .

قال ابن كثير: عَلِمَ أَنَّ الْآمِرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَا بُدَّ أَنْ يَنَالَهُ مِنَ النَّاسِ أَذًى، فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ. وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ أَيْ: الصَّبْرَ عَلَى أَذَى النَّاسِ. اهـ

والآية عامة في الصبر على الدعوة إلى الله ، والصبرعلى المصائب فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رتب أجورًا عظيمة على الصبر عند المصائب ، منها: قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٦] .

ومن وصايا لقمان لابنه أن دعاه إلى التواضع وحذره من الكبر على الناس فقال: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [لقمان:١٨] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:أي: لَا تُعرِضْ بِوَجْهِكَ عَنِ النَّاسِ إِذَا كَلَّمْتَهُمْ أَوْ كَلَّمُوكَ، احْتِقَارًا مِنْكَ لَهُمْ، وَاسْتِكْبَارًا عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ أَلِنْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ وَجْهَكَ إِلَيْهِمْ ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ ﴾ أَيْ: جَذْلًا مُتَكَبِّرًا جَبَّارًا عَنِيدًا، لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ يُبْغِضُكَ اللهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ أَيْ: مُخْتَالٍ مُعْجَبٍ فِي نَفْسِهِ، فَخُورٌ: أَيْ: عَلَى غَيْرِهِ. اهـ

فالتحلي بالتواضع صفة حميدة تنبغي للصغار والكبار وهي من أسباب الألفة والمودة بين الناس ، بينما الكِبر من أسباب البغض والبغي بين الناس.

فقد روى الإمام مسلم عن عياض بن حمار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ**

عَلَى أَحَدٍ» .

ثم حث لقمان ابنه على التوسط في المشي فلا يمشي مشية المتمارض ولا يسرع سرعة الهارب فقال: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾[لقمان:١٩].

وحثه على خفض الصوت وعدم رفعه بغير حاجة، وشبه رفع الصوت بأصوات الحمير ، فقال تعالى : ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[لقمان:١٩] فقد كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا تكلم أو سلم يسمع اليقظان ولا يوقظ النائم، كما عند مسلم من حديث المقداد بن الأسود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قال ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ أَيْ: لَا تُبَالِغْ فِي الْكَلَامِ، وَلَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَهَذَا التَّشْبِيهُ فِي هَذَا بِالْحَمِيرِ يَقْتَضِي تَحْرِيمَهُ وَذَمَّه غَايَةَ الذَّمِّ ولهذا يشرع الاستعاذة عند نهيق الحمار. اهـ

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا**» .

فنسأل الله أن يرزقنا الحكمة في القول والعمل ، اللهم إنا نسألك الهدى والسداد ، اللهم فقهنا في دينك برحمتك يا أرحم الراحمين.





١٤ صفات عباد الرحمن

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله:

ذكر الله في آخر سورة الفرقان صفاتٍ لعباد الرحمن أثنى عليهم بسببها ووصفهم بها ومدحهم لأجلها،ووعدهم بالغرف العالية في الجنة نطرقها في

هذا اليوم لعلنا نتصف بها وتكون منهجا لنا في سيرنا إلى ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لنظفر بسعادة الدارين بإذن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣].

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾: أضافهم الله إلى اسمه الكريم الرحمن ليدل على رحمته بهم وأنه وفقهم برحمته لهذه الصفات وسيجازيهم برحمته فوق ما يستحقون بأعمالهم والإضافة هنا إضافة تشريف.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته. اهـ

ورحمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وسعت كل شيء لكن جعل الله لها أسبابًا لنيلها من الأعمال الصالحة ، ومن الصفات الطيبة ، منها هذه الصفات التي ذكرها في هذه السورة.

فمن صفات عباد الرحمن: ﴿ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ مِنْ غَيْرِ جَبَرِية وَلَا اسْتِكْبَار وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَمْشُونَ كَالْمَرْضَى مِنَ التَّصَانُع تَصَنُّعًا وَرِيَاءً، فَقَدْ كَانَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَب، وَكَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ. اهـ أي كأنه ينزل من مكان مرتفع.

فعباد الرحمن يمشون بتوسط بين الإسراع والتباطوء ، كما قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾[لقمان:١٩] يمشون متواضعين غير متكبرين ولا متبخترين لأنهم يعلمون أن الله يقول:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان:١٨] أي لا يحب المختال في مشيته الفخور بنفسه المعجب بها.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:﴿ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ أي: ساكنين متواضعين لله والخلق فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده.

ومن صفاتهم أنهم:﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال مقاتل: أي قولا يسلمون فيه من الإثم . وقال الحسن : إن جهل عليهم جاهل حلموا ولم يجهلوا.

فإنهم يعرضون عن الجاهلين وهم السفهاء ؛ كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[القصص:٥٥] .

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:وهذا مدح لهم بالحلم الكثير ومقابلة المسيء بالإحسان. اهـ

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾.

ومن صفات عباد الرحمن أنهم يحافظون على قيام الليل ويتركون أماكن النوم والراحة تعبدا لله يرجون ثوابه ويخافون عذابه ، قال تعالى :﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزُّمر:٩] .

وقال تعالى :﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات:١٧-١٨] .

وأفضل وقت لقيام الليل هو آخر الليل وقت النزول الإلهي ـ ينزل ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نزولا يليق بجلاله بلا كيف ـ فينادي هل من سائل فأعطية هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه والحديث رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتجوز صلاة الليل في أي وقت من الليل فقد قام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول الليل وفي وسطه وفي آخره كما في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا

في صحيح مسلم.

وصلاة الليل من أسباب دخول الجنة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٦] .

فقد ذكر الله في الآية الأولى العمل وهو قيام الليل وذكر في الآية التي تليها الجزاء وهو أنه أعد لهم في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر، هذا الذي أخفاه عنهم ليقر به أعينهم .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الفرقان:٦٥] .

ومن صفات عباد الرحمن ملازمتهم للدعاء لأن الدعاء من أعظم العبادات كما عند الترمذي من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الدعاء هو العبادة»، ومن دعائهم أنهم يسألون الله الجنة ويستعيذون به من النار.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾ أي: ادفعه عنا بالعصمة من أسبابه ومغفرة ما وقع منا مما هو مقتضٍ للعذاب. ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ أي: ملازما لأهلها بمنزلة ملازمة الغريم لغريمه. فليس في طاقتهم احتمال هذا العذاب. اهـ

وروى الإمام أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَا اسْتَجَارَ عَبْدٌ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَّا قَالَتِ النَّارُ: اللهُمَّ أَجِرْهُ مِنِّي، وَلَا يَسْأَلُ الْجَنَّةَ إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللهُمَّ أَدْخِلْهُ إِيَّايَ** » .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان:٦٧] .

ومن صفات عباد الرحمن التوسط في الإنفاق فلا يسرفون أو يبذرون ولا يقترون أويبخلون ولكن وسطابين ذلك،

﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: لَيْسُوا بِمُبَذِّرِينَ فِي إِنْفَاقِهِمْ فَيَصْرِفُونَ فَوْقَ الْحَاجَةِ، وَلَا بُخَلَاءَ عَلَى أَهْلِيهِم فَيُقَصِّرُونَ فِي حَقِّهِمْ فَلَا يَكْفُونَهُمْ، بَلْ عَدْلًا خِيَارًا. اهـ

ومن الإسراف ، النفقة في معصية الله، ومن الإقتار، منع حق الله كما ذكر ذلك البغوي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة فشراء الأشياء المحرمة كآلات اللهو والطرب والمعازف وأجهزة الأغاني من الإسراف والتبذير قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الإسراء:٢٦-٢٧] إخوان الشياطين أي أولياؤهم كما ذكر البغوي.

فالتبذير من صفات الشياطين أما عباد الرحمن فإنهم ينزهون أنفسهم عن الإسراف والتبذير وقد كان من دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يسأل الله القصد في الغنى والفقر أي التوسط في الإنفاق والحديث رواه النسائي عن عمار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

وليس النفقة في باب الخير والحق وفي باب الدعوة إلى الله وفي سبيل الله من الإسراف.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَوْ أَنْفَقَ إِنْسَانٌ مَالَهُ كُلَّهُ فِي الْحَقِّ، لَمْ يَكُنْ مُبَذِّرًا، وَلَوْ أَنْفَقَ مُدًّا فِي غَيْرِ حَقِّهِ كَانَ تَبْذِيرًا. وَقَالَ قَتَادَةُ: التَّبْذِيرُ: النَّفَقَةُ فِي مَعْصِيَةِ الله تَعَالَى، وَفِي غَيْرِ الْحَقِّ وَفِي الْفَسَادِ. اهـ

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [الفرقان:٦٨] .

ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يشركون بالله ولا يدعون أحدًا معه لأن الشرك ظلم عظيم ومعصية قبيحة ، وصاحبه كافر مخلد في جهنم إن مات على ذلك ففي الصحيحين عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ الله؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ للهَّ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**» أي شبيها ومماثلا تدعوه وتعبده وتصرفَ له شيئًا من العبادات.

وجاء في البخاري عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ الله نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**» وَقُلْتُ أَنَا: مَنْ مَاتَ وَهْوَ لاَ يَدْعُو للهَّ نِدًّا دَخَلَ الجَنَّةَ.

وسواء كان الدعاء دعاء عبادة من صلاة وصيام وغير ذلك أو كان دعاء مسألة يسأله شيئًا لا يقدر عليه إلا الله فهو في النار.

﴿ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾[الفرقان:٦٨]

ومن صفات عباد الرحمن أنهم ينزهون أنفسهم عن سفك الدماء المحرمة وإزهاق الأنفس المعصومة بغير حق لأنهم يعلمون أن زوال الدنيا أهون على الله من قتل مسلم ولأن حرمة المسلم عند الله عظيمة فإن المقتول يأتي يوم القيامة رأسه معلق بإحدى يديه ومتلبب قاتله باليد الأخرى يقول يا رب سل هذا فيما قتلني وأول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء كما في صحيح مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:« أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»

وروى ابن ماجهْ عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ» .

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ » ، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ فسرها هذا الحديث ويدخل في ذلك الدفاع عن النفس وغير ذلك فإنه يجوز للعبد أن يدافع عن نفسه ولو بالقتل إذا اضطر إلى ذلك

ومن صفات عباد الرحمن أنهم﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾:

فأنهم يتنزهون عن هذه المعصية الدنيئة التي عواقبها وخيمة وأضرارها جسيمة ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢] . قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي ذنبًا عظيمًا وبئس طريقا ومسلكا.اهـ

وقال السعدي: والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه فإن: « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه » ... ووصفه بالفاحشة لأنه يستفحش في الشرع والعقل والفطر لتضمنه التجرئ على الحرمة في حق الله وحق المرأة وحق أهلها أو زوجها وإفساد الفراش واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفاسد. اهـ

ويستلزم من هذا النهي ، اجتناب كل ذريعة إلى الزنا ، من النظر إلى النساء ومشاهدة الأفلام المتعلقة بالنساء واستماع الأغاني فإنها بريد الزنا والبعد عن الاختلاط مع النساء والخلوة بالمرأة الأجنبية فهذه كلها ذرائع مفضية إلى الزنا

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾[الفرقان:٦٨] أي من ارتكب هذه الكبائر فإنه يلقى جزاءها يوم القيامة وفسرها بقوله : ﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾[الفرقان:٦٩] ، أي من ارتكب هذه الكبائر بما فيها

الشرك الأكبر كدعاء غير الله فإنه يخلد في جهنم أما ما سوى ذلك من الكبائر فإن صاحبها لا يخلد في جهنم إلا أن يستحلها ، فإن معتقد أهل السُّنَّة والجماعة أن صاحب الكبيرة تحت مشيئة الله إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له كما دلت على ذلك الأدلة الصحيحة الصريحة.

قال السعدي بعد أن ذكر أن الخلود في النار: لا يكون إلا لمن ارتكب هذه الثلاثة الأشياء بما فيها الشرك قال:وأما خلود القاتل والزاني في العذاب فإنه لا يتناوله الخلود لأنه قد دلت النصوص القرآنية والسُّنَّة النبوية أن جميع المؤمنين سيخرجون من النار ولا يخلد فيها مؤمن ولو فعل من المعاصي ما فعل، ونص تعالى على هذه الثلاثة لأنها من أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان والزنا فيه فساد الأعراض. اهـ

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الفرقان:٧٠] .

من تاب من هذه الكبائر وغيرها من الذنوب فإن التوبة تجبُّ ما قبلها فقد روى الترمذي عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ:« **قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلاَ أُبَالِي يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**» .

لكن للتوبة شروط ذكرها أهل العلم وهي :أن يقلع العبد عن المعصية ، وأن يندم على ما فات، وأن يعزم على ألا يعود إلى المعصية ، وشرط آخر فيما يتعلق بحقوق المخلوقين وهو: إرجاع الحقوق إلى أهلها أو يستسمح منهم.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان:٧٠] إن الله يقبل توبة أصحاب هذه الجرائم ، ومنها قتل النفس، وتحمل آية النساء على من لم يتب وقد جاء في السُّنَّة الصحيحة بصحة توبة القاتل كما في قصة الذي قتل مائة نفس. اهـ

ويقصد بآية سورة النساء قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[النساء:٩٣] .

قال: تحمل الآية على من لم يتب أما من تاب وقدم نفسه لحكم الله ، تاب الله عليه ، وحمل بعض أهل العلم الخلود في هذه الآية على من استحل دم أخيه المسلم فإنه يكفر بذلك ويخلد في النار، ومن لم يستحل فإنهم حملوا الخلود في الآية على المكوث الطويل في جهنم والعياذ بالله.

فمن صدق في توبته فإن الله يتوب عليه ويبدل سيئاته حسنات كما قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الفرقان:٧٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : في هذه الآية قولان:

الأول: أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات أي تغيرت أحوالهم من السيئات إلى الحسنات الثاني: أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات وما ذلك إلا لأنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار. اهـ

ورجح السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ القولين، فنسأل الله أن يوفقنا للتوبة النصوح ، وأن يتوب علينا في الدنيا والآخرة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى ونشكره على نعمائه وآلائه التي تترى ونصلي على نبينا محمد وعلى آله ونسلم تسليما مزيدا.

أما بعد:

فمن صفات عباد الرحمن أنهم لا يقولون الزور ولا يحضرون أماكن الزور التي يقام فيها المعاصي والبدع والمخالفات قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢ ﴾ [الفرقان: ٧٢] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قِيلَ: هُوَ الشِّرْكُ وَعِبَادَةُ الْأَصْنَام. وَقِيلَ: الْكَذِبُ، وَالْفِسْقُ، وَاللَّغْوُ، وَالْبَاطِلُ. وقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ: هُوَ اللَّهْوُ وَالْغِنَاءُ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَطَاوُسُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، وَالضَّحَّاكُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَغَيْرُهُمْ: هِيَ أَعْيَادُ الْمُشْرِكِينَ.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ: هِيَ مَجَالِسُ السُّوءِ وَالْخَنَا. وقيل المراد بشهادة الزور هي الكذب على الغير متعمدًا كما في الصحيحين عَنِ أَبِي بَكْرَة قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟** »، قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهَ. قَالَ: «**الْإِشْرَاكُ بِالله وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ - وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ:- أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ**». فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سكت» .

والأظهر من السياق أن المراد: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ﴾، أي: لا يحضرونه؛ ولهذا قال: ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾ أي: لا يحضرون الزور، وإذا اتفق

مرورهم به مرُّوا، ولم يتدنسوا منه بشيء ؛ ولهذا قال:﴿ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ اهـ .

ورجح السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأمرين، وزاد: من الزور الجدال والاستهزاء بآيات الله أي أن عباد الرحمن لا يحضرون هذه الأماكن التي يستهزأ فيها بآيات الله ، وشهادة الزور من أقبح المعاصي لأن فيها ضررا وظلمًا على الآخرين وضياعا لحقوقهم ولأن الحاكم ما سيحكم إلا بمقتضى شهادة الشهود فربما حكم بحق المظلوم للظالم وربما اهدرت أموال وأنفس ودماء بغير حق بسبب شهادة الزور فشاهد الزور قد ظلم نفسه بظلمه لغيره وعرض نفسه لعقوبة جبار السماوات والأرض وإصابة سهام المظلومين، فعباد الرحمن قد تنزهوا عن هذه الصفة الذميمة وإذا مروا باللغو مروا كراما.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه. اهـ

واللغو هو كما قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلام الذي لا فائدة فيه ولا خير ، فليس فيه فائدة دينية ولا دنيوية ككلام السفهاء ونحوهم.

ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يعرضون عن آيات الله وإنما يقبلون على استماعها والاهتداء بها ويقفون عندها كما قال الله تعالى عنهم:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ ﴾[الفرقان:٧٣] : ولكن حالهم كما أخبر الله:﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾[السجدة:١٥] .

وليس حالهم كحال أصحاب الباطل من أصحاب اللهو والأغاني الذين يقبلون على سماع آلات اللهو والطرب ويعرضون عن سماع آيات القرآن الكريم كما قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ

ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [لقمان:٦-٧].

ومن صفات عباد الرحمن **أنهم يطلبون الذرية الصالحة** ويدعون الله أن يقر أعينهم بالذرية الطيبة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الفرقان:٧٤] وذلك لأن نفع الذرية الصالحة حاصل في الدنيا والآخرة، فالأولاد الصالحون يدعون لوالديهم بعد الموت ويكونون طائعين لهم في الدنيا ، وفي الذرية الصالحة تكثير لأمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهذا مطلب شرعي لأنهم سيعبدوون الله وحده لا شريك الله.

قال القرطبي رَحِمَهُٱللَّهُ: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عَزَّوَجَلَّ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: ومن تمام محبة عبادة الله أن يحب العبد أن يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له كما قال إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[إبراهيم:٣٥] . اهـ

ولهذا كان من دعاء زكريا عَلَيْهِٱلسَّلَامُ كما أخبر الله عنه: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾[آل عمران:٣٨].

ويشرع لعباد الرحمن طلب الإمامة في الدين كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ أي أئمة يقتدى بهم في الخير والهدى والصلاح والدعوة إلى الله، وبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

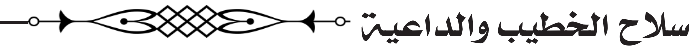
ولا يشرع طلب الإمارة في الدنيا من الملك والجاه والرئاسة لما جاء في

الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لرجلين طلبا منه الولاية على بعض ما ولاه الله، فقال: «إِنَّا وَاللهِ لَا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ، وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ» .

ثم ختم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الآيات بذكر ما وعدهم من الجزاء الحسن على هذه الصفات وبمقابل هذه الأعمال من النعيم المقيم والغرف الرفيعة والمنازل العالية في الجنة بمنه وكرمه سبحانه فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾[الفرقان:٧٥] ، فتأتي الملائكة تحييهم وتسلم عليهم ، ويسلم الله عليهم: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس:٥٨] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الرعد:٢٣] وتحصل لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، والأمن الكامل من كل عيب ونقص ، وحسن مستقرهم ومنزلهم ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[الكهف:١٠٨] .

اللهم اجعلنا من عباد الرحمن ، وأورثنا تلك الجنان بمنك وكرمك يا منان، وارحمنا يارحيم يا رحمن، اللهم إنا نسألك الجنة وما يقرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول أو عمل، اللهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار.



١٥
مكابدة الإنسان للحياة
وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾

الخُطْبَةُ الأُولَى :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله:

يقول الله في كتابه الكريم: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢

وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ [البلد:١-٤] .

نقف معكم في هذا اليوم المبارك وقفات حول آية من هذا السورة المباركة ونتأمل فيها ونستنبط بعض الحِكَم والفوائد منها وهي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ وبعض الآيات المتعلقة فيها.

أقسم الله في هذه السورة المباركة بمكة المكرمة التي هي أفضل البلدان على الإطلاق خصوصًا وقت حلول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها وأقسم سبحانه بكل والد وبكل مولود والله تعالى له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته فأقسم بهذه الأمور على أن الإنسان في مكابدة لهذه الحياة.

فإنه في كبد وفي معاناة وفي مشقة منذ أن كان نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى نهاية مراحله في بطن أمه، ثم مكابدة عند الولادة ثم الرضاعة ثم الفطام ثم مكابدة الطفولة ثم الشباب ثم كد المعيشة ثم مكابدة الزواج وتربية الأولاد، وهو مع هذا يكابد المصائب ، والفقر والمرض ، والفتن والهرم والكبر ، والموت وسكراته ، والقبر وضمته ، وأهوال يوم القيامة إلى أن يكون مستقره ، إما إلى جنة وإما إلى نار.

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾

ولنأخذ أقوال المفسرين حول هذه الآية ثم نقف وقفات حولها ثم نتطرق إلى بعض المخارج والحلول المسلية للإنسان التي تخفف من هذه المكابدة وهذه المعاناة بإذن الله.

والكَبَد هو العناء وهو من المكابدة يقال كابدت الشيء إذا قاسيته كما قال أهل اللغة .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ:

﴿ فِي كَبَدٍ ﴾ نُطْفَةٌ، ثُمَّ عَلَقَةٌ، ثُمَّ مُضْغَةٌ يَتَكَبَّدُ فِي الْخَلْقِ -قَالَ مُجَاهِدٌ: وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ وَأَرْضَعَتْهُ كُرْهًا، وَمَعِيشَتُهُ كُرْهٌ، فَهُوَ يُكَابِدُ ذَلِكَ. اهـ

وقال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ فِي كَبَدٍ ﴾ في نصب ، فِي شِدَّةِ خَلْقٍ ، حمله، وولادته، ورضاعه، وفطامه، ونبت أسنانه. وقال الحسن: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة . وقال قتادة: ﴿ فِي كَبَدٍ ﴾ أي: مشقة فلا تلقاه إلا يكابد أمر الدنيا. اهـ

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم. وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد أبد الآباد. اهـ

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾

قال المفسر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال: يكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة. وقال الحسن: ما خلق الله خلقًا يكابد ما يكابد ابن آدم وإنه لأضعف المخلوقات وقال: يكابد الشكر عند السراء ويكابد الصبر عند الضراء لأنه لا يخلوا من أحدهما. ا هـ

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾

قال المفسر القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ عُلَمَاؤُنَا: أَوَّلُ مَا يُكَابِدُ قَطْعَ سُرَّتِهِ، ثُمَّ إذا قُمِطَ قِمَاطًا، وَشُدَّ رِبَاطًا، يُكَابِدُ الضِّيقَ وَالتَّعَبَ، ثُمَّ يُكَابِدُ الِارْتِضَاعَ، وَلَوْ فَاتَهُ لَضَاعَ، ثُمَّ يُكَابِدُ نَبْتَ أَسْنَانِهِ، وَتَحَرُّكَ لِسَانِهِ، ثُمَّ يُكَابِدُ الْفِطَامَ، الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنَ اللِّطَامِ، ثُمَّ يُكَابِدُ الْخِتَانَ، وَالْأَوْجَاعَ وَالْأَحْزَانَ، ثُمَّ يُكَابِدُ الْمُعَلِّمَ وَصَوْلَتَهُ،

وَالْمُؤَدِّبَ وَسِيَاسَتَهُ، وَالْأُسْتَاذَ وَهَيْبَتَهُ، ثُمَّ يُكَابِدُ شُغْلَ التَّزْوِيجِ وَالتَّعْجِيلَ فِيهِ، ثُمَّ يُكَابِدُ شُغْلَ الْأَوْلَادِ، وَالْخَدَمِ وَالْأَجْنَادِ، ثُمَّ يُكَابِدُ شُغْلَ الدُّورِ، وَبِنَاءِ الْقُصُورِ، ثُمَّ الْكِبَرَ وَالْهَرَمَ، وَضَعْفَ الرُّكْبَةِ وَالْقَدَمِ، فِي مَصَائِبَ يَكْثُرُ تَعْدَادُهَا، وَنَوَائِبَ يَطُولُ إِيرَادُهَا، مِنْ صُدَاعِ الرَّأْسِ، وَوَجَعِ الْأَضْرَاسِ، وَرَمَدِ الْعَيْنِ، وَغَمِّ الدَّيْنِ، وَوَجَعِ السِّنِّ، وَأَلَمِ الْأُذُنِ. وَيُكَابِدُ مِحَنًا فِي الْمَالِ وَالنَّفْسِ، مِثْلَ الضَّرْبِ وَالْحَبْسِ، وَلَا يَمْضِي عَلَيْهِ يَوْمٌ إِلَّا يُقَاسِي فِيهِ شِدَّةً، وَلَا يُكَابِدُ إِلَّا مَشَقَّةً، ثُمَّ الموت بعد ذلك كله، ثم مسألة الْمَلَكِ، وَضَغْطَةَ الْقَبْرِ وَظُلْمَتَهُ، ثُمَّ الْبَعْثَ وَالْعَرْضَ عَلَى اللهِ، إِلَى أَنْ يَسْتَقِرَّ بِهِ الْقَرَارُ، إِمَّا فِي الْجَنَّةِ وَإِمَّا فِي النَّارِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ». اهـ

إذن لا راحة لأحد في هذه الدنيا ، فلا تظن يا ابن آدم أنك تسعد فيها، إنما السعادة كل السعادة هي في الجنة فلا تضيعها بالبعد عن أسبابها فإن من الناس من قد كُتب عليه الشقاء في الدنيا والأخرى بسب عصيانه للمولى جَلَّ وَعَلَا وبعده عن أسباب الفوز والرضا ،فالسعيد من اتقى وعمل للأخرى، ولازم التقوى وسار على الهدى ، فهؤلاء هم أصحاب النهى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النازعات:٢٦] .

ونقف معكم وقفات مع هذه الآية وبعض الآيات المتعلقة بها من السورة نفسها.

الوقفة الأولى:

أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الإنسان خلق في كبد، ومنها مكابدة المعيشة والكد في تحصيلها وأن الإنسان يعاني ما يعاني من الأتعاب والأسفار والسهر في جمع المال ، ومع هذا كثير من الناس يصرف ماله في غير مرضات الله وفي المحرمات ويبخل عما أوجب الله عليه ويتكبر به على المساكين ولا ينفقه في سبيل الله،

وفي أبواب الخير ويظن أنه لن يقدرعليه أحد، وأنه لن يحاسب عليه ويأمن من زوال ماله وأنه محفوظ لن يذهب ، فيأمن من مكر الله، ولهذا قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ ﴾[البلد:٥-٦] وغفل عن مراقبة الله له ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ ﴾ ونسي أن المال مال الله وأن الله هو الذي رزقه هذا المال وأن الله سيحاسبه عليه يوم القيامة، فقد روى الترمذي عن أبي برزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وعن شبابه فيما أبلَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ**».

وروى البخاري عن خولة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: «**إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ الله بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ**» فمن أنفقه في الباطل فقد أهلكه ولذا قال:﴿ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴾.

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: وسمى الله تعالى الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكًا، لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب. اهـ

وفيها إشارة إلى أن كثرة المال ليس سببًا للراحة والسعادة، وإنما تكون السعادة بكثرة الطاعات والأعمال الصالحة، والإيمان بالله واليوم الآخر، فمهما كثرت أموال العبد؛ فهو لا يزال في كبد.

الوقفة الثانية:

أخبر تعالى أن الإنسان في كبد ،ومع هذا يذكره ويسليه أنه في نعم لا تقوم لها الدنيا،كالعينين واللسان والشفتين، والعقل والفؤاد، واليدين والرجلين، وغير ذلك مما ميزه الله على غيره من المخلوقات، فيجب على العبد أن يشكر

الله على هذه النعم فيظفر بالمزيد من الأجر والثواب وإن لم يفعل وصرفها في المعاصي زادته مكابدة ونكدا في الدنيا والآخرة فأشار الله سبحانه إلى هذه النعم بقوله: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ ﴾[البلد:٨-٩] .

الوقفة الثالثة:

أخبر الله تعالى أن الإنسان خلق في كبد ثم حذره أن يستمر في المكابدة في الدنيا والآخرة فأرشده إلى بعض الأعمال التي تخفف عنه العناء يوم القيامة ويعتق بها من جهنم مثل إطعام الفقراء والمساكين وعتق الرقاب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [البلد:١١-١٦] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾قَالَ: جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ.

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ هُوَ سَبْعُونَ دَرَجَةً فِي جَهَنَّمَ. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ قَالَ: عَقَبَةٌ فِي جَهَنَّمَ. وَقَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّهَا قَحْمَةٌ شَدِيدَةٌ فَاقْتَحِمُوهَا بِطَاعَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ. وَقَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ ﴾ ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ اقْتِحَامِهَا. فَقَالَ: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾ أَوْ إِطْعَامٌ وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ أَيْ: أَفَلَا سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّتِي فِيهَا النَّجَاةُ وَالْخَيْرُ. اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: لم يقتحمها ويعبر عليها، لأنه متبع لشهواته وهذه العقبة شديدة عليه. اهـ

وقوله تعالى: ﴿ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [البلد : ١٤ - ١٦] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴾ أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم

وقت الحاجة أشد الناس حاجة. ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾أي: جامعًا بين كونه يتيمًا، فقيرًا ذا قرابة ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾أي: قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة. اهـ

الوقفة الرابعة:

أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن الإنسان في مكابدة للحياة ،ثم أرشده إلى بعض الحلول المسلية، التي تخفف من عناء هذه المكابدة، منها الصبر على متاعب الحياة ، والإيمان بأقدار الله ،وأن يتراحم الناس فيما بينهم، وأن يرحموا الفقراء والمساكين والضعفاء واليتامى، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾[البلد:١٧] ، فأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالاستعانة على أمور الدنيا بالصبر والصلاة قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة:١٥٣] .

وأمر بالتواصي بالمرحمة والتعاون على أعباء الحياة ومساعدة المحتاجين وتفريج كرباتهم فإذا كان الناس كذلك رحمهم الله فقد روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**».

وفي الآية ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾

وأخبرنا أن الصبر على أقدار الله من المسليات مع احتساب الأجر والثواب فقد روى الترمذي عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «**إن عِظَم الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**» .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»

وروى الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَا يَزَالُ البَلاَءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ ، وَوَلَدِهِ، وَمَالِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللهَ ، وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**».

الوقفة الخامسة:

أخبر الله أن الإنسان في مكابدة إما في طريق الخير وإما في طريق الشر فقال: ﴿ وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ أي طريق الخير والشر،والهدى والضلال،فبين له أن طريق الخير موصل إلى جنته ورضوانه ،وطريق الشر موصل إلى ناره وغضبه ، فأشار إلى ذلك بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ [البلد:١٨] أي أصحاب اليمين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم ،ويدخلون الجنة، وأشار إلى الطريق الثاني، فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ ﴾[البلد:١٩] أي أصحاب الأعمال المشئومة وهم أصحاب الشمال، الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم، وهم أهل النار والعياذ بالله ﴿ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البلد:٢٠] أي مغلقة مطبقة عليهم، لا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها أبدًا، والعياذ بالله.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، حمدًا يليق بجلاله، وعظيم سلطانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ،الداعي إلى رضوانه ، وأصلي وأسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، وأزواجه ،وإخوانه .

أما بعد:

فإنه لا مخرج للعبد من منغصات الدنيا ومكدراتها إلا بالأعمال الصالحة والأذكار الواردة في الكتاب والسُّنَّة والاستجابة لله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد أقسم تعالى في كتابه أنه من عمل الصالحات فإنه سيحييه الحياة الطيبة السعيدة فقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٍ أَنَّهُمْ فَسَّرُوهَا بِالرِّزْقِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ.

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه فسرها بالقناعة. وكذا قال ابن عباس، وعِكْرِمة، ووهب بن منبه.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أنها السعادة.

وقال الحسن، ومجاهد، وقتادة: لا يطيب لأحد حياة إلا في الجنة.

وقال الضحاك: هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا، وقال الضحاك أيضًا:

هي العمل بالطاعة والانشراح بها.

والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله» اهـ .

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب. اهـ

ومن المسليات الاستجابة لله ورسوله أي العمل بالكتاب والسُّنَّة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢٤] فحياة القلوب بالاستجابة لله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والإعراض عنهما قسوة للقلوب ومن أسباب فسادها.

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام.

ثم حذر من عدم الاستجابة لله وللرسول فقال: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ فإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء. اهـ

ومن المسليات لهموم الدنيا ومكابدها ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ فمن ذكر الله ذكره ويسر أمره وفرج همه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد:٢٨] .

ويدخل تحت ذكر الله قراءة القرآن فإنه أهم أسباب علاج القلوب وسلامتها وسعادة الأرواح وراحة الأبدان، فبقراءة القرءآن تنسى الهموم وتكشف

الغموم وتفرج الكربات وتصلح الأحوال بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس:٥٧] وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾[الإسراء:٨٢] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة ، فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها، وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل. اهـ

والعكس فإن الإعراض عن كتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ والبعد عن الأعمال الصالحة من أسباب الشقاء والضيق وتزيد المكابدة في الدنيا. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾[طه:١٢٤-١٢٥] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾[الزُّمر:٢٢-٢٣].

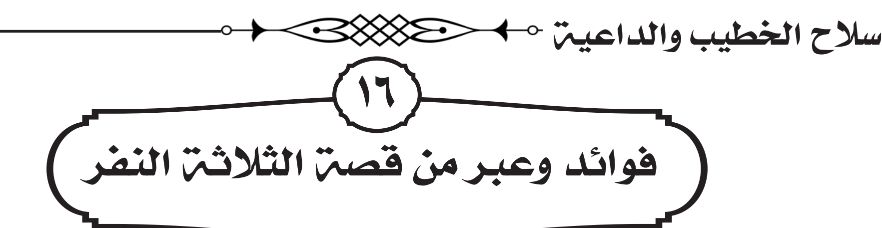
قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: مَا ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقُوبَةٍ أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ قَلْبٍ، وَمَا غَضِبَ اللهُ عَزَّ وجلّ على قوم إلّا نزع منهم الرحمة. اهـ

وختاما أبشر أيها المؤمن الصابر المحتسب المطيع لله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فإن هذه المكابدة وهذه المصائب والمتاعب والكربات ستنسى يوم القيامة بأول قدم يضعه المؤمن في الجنة وبغمسة واحدة يغمسها في الجنة ولا يأمن العاصي الفاجر البعيد عن الله الغافل عن ذكر الله الذي تسلى بمعاصي الله وارتكب ما حرم الله فإن هذه اللذات كلها منسية بغمسة واحدة في جهنم والعياذ بالله.

فقد روى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ ».

اللهم فرج هم المهمومين ،ويسر عُسر المعسرين، ونفس كرب المكروبين ، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل لنا من كل هم فرجًا ،ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل عسر يسرا، والحمد لله رب العالمين.



الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أجارنا الله وإياكم من البدع والمحدثات ومن النار.

عباد الله: إن أصدق القصص وأحسنها وأكثرها عبرة وأنفعها موعظة هي قصص القرآن والسُّنَّة وأما غيرها من القصص فقد يدخلها التحريف

والضعف والكذب والزيادة والنقصان ولهذا لا يعتمد عليها فقد حذر السلف من الأخذ عن القصاصين الذين يكثرون من القصص التي لا زمام لها ولا مستند وحثوا على قصص القرآن والسُّنَّة ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف:١١١] .

وفي هذا اليوم نستعرض قصة ثلاثة نفر لنستفيد مما جاء فيها من المواعظ والعبر،هذه القصة قصها علينا الذي لا ينطق عن الهوى محمد المجتبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما أخذها بوحي من السماء بواسطة شديد القوى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فالرجل الأول بارٌ بوالديه، والثاني رجل عفيف يخاف الله، والثالث رجل أمين يحفظ حقوق الناس ، فنزلت بهم ملمة ففرج الله عليهم كما سيأتي بيان ذلك عند ذكر الحديث.

روى البخاري ومسلم في الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: « انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ)وفي رواية عند النسائي: (أصابهم مطر فأووا إلى غار). فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ)، وفي رواية عند النسائي:(فقال بعضهم لبعض : إنا والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه). وفي رواية عند ابن حبان: (فادعوا الله بأوثق أعمالكم). فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلاَ مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، (وفي رواية لمسلم : طلب الشجر) فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى

يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، وزاد النسائي: (والصبية يتضاغون عند قدمي). فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ «، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « وَقَالَ الآخَرُ: اللهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، «وفي رواية»: فلما قعدت بين رجليها. قَالَتْ: لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ،وفي رواية قالت :(اتَّقِ اللهَ ، وَلاَ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ) فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وفي رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء. وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلك ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا «، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « وَقَالَ الثَّالِثُ: اللهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لاَ تَسْتَهْزِئُ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ».

خلاصة المعنى الإجمالي للحديث: أن هؤلاء الثلاثة النفر عملوا أعمالا صالحة خالصة فيما يظهر من الحديث، هذه الأعمال أهلتهم إلى أن يتوسلوا بها إلى الله بأن يفرج عنهم تلك الكربة التي نزلت بهم، ففرج الله عنهم.

فالأول كان بارًا بوالديه فكان لا يقدم عليهما أحدًا من الأولاد والرقيق وذات يوم بَعُد به طلب الرعي فتأخر عنهما ولم يأتِ إلا وقد ناما وكان يحلب لهما حليبا كل ليلة وفي تلك الليلة أخذ القدح وفيه اللبن وانتظر استيقاظهما وكره أن يوقظهما حتى طلع الفجر وأولاده الصغار يبكون عند قدميه من الجوع فكره أن يقدمهم على أبويه.

والثاني تعفف عن الزنا وتركه خوفًا من الله وكان قادرا عليه فذكرته وخوفته بالله فخاف، فقام عنها وهو في موقف لا يستطيع أحد أن يملك نفسه في مثل هذا الموقف ، إلا من عصمه الله بوازعه الإيماني وخوفه من الله.

والثالث حفظ الأمانة وأدى الحقوق إلى أهلها بل أوفى الأجيرحقه وزيادة وذلك حينما نماه له فكثرت منه الأموال من باب الإحسان وحب الخير للآخرين.

فنستفيد من هذا الحديث أن الأعمال الصالحة يفرج الله بها الكربات عند المصائب والملمات في الدنيا والآخرة وفيه فضل الإخلاص وأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم، وتفريج الله عنهم تلك الكربة دليل على صدقهم وإخلاصهم وأن الله قد قبل منهم تلك الأعمال ففرج الله عنهم في الدنيا ويثيبهم عليها في الآخرة ، ويؤخذ هذا من قولهم:(اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه) فتنفرج الصخرة حتى خرجوا ولولم تكن هذه الأعمال خالصة ولم يكونوا صادقين مع الله ما قبلها ولا فرج عنهم.

ولم تنفرج الصخرة جملة واحدة في أول الأمر بدعوة أحدهم حتى دعوا جميعًا، فكلما دعا واحد منهم فرجت قليلًا حتى خرجوا يمشون، وذلك ليريهم الله جميعًا فضل أعمالهم وإخلاصهم، ويجعلها كرامة لهم جميعًا، ويعرفهم أن

الله قد قبل منهم جميعًا والله أعلم.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه دليل أن الإخلاص عليه مدار كبير في قبول الأعمال فتقبل الله منهم هذه الوسيلة فانفرجت الصخرة .. ولو أراد الله أن يفرجها لأول مرة لفعل ولكن أراد أن يبقيها حتى يتم لكل واحد منهم ما أراد أن يتوسل به من صالح الأعمال. اهـ

والآن ليسأل كل واحد منا نفسه هل له عمل صالح خالص لوجه الله يستطيع أن يتوسل به إلى الله بأن يفرج عنه هما أوضيقا أو كربة من كرب الدنيا؟

لاشك أن جواب الكثير منّا أننا لا نعلم ولا نجد عملًا صالحًا خالصًا نتوسل به إلى الله! فليفتش كل واحد مناعن قلبه، ولينظر في أعماله وليصدق مع ربه ينفعه الله بذلك في الدنيا والآخرة.

وفي هذا الحديث جواز التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة كما فعل أولئك الثلاثة النفر، واعلموا أن التوسل على قسمين توسل مشروع وتوسل ممنوع.

فأما التوسل المشروع فهو: التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة كما حصل لأصحاب الصخرة فتوسل الأول ببره لوالديه فانفرجت الصخرة قليلًا إلا أنهم لا يستطيعون الخروج، وتوسل الثاني بعفته وخوفه من الله فانفرجت الصخرة قليلًا فاتسعت الفرجة أكثر إلا أنهم لا يستطيعون الخروج،ثم توسل الثالث بأمانته وإحسانه إلى أخيه فانفرجت الصخرة كاملة فخرجوا يمشون.

القسم الثاني من أقسام التوسل المشروع: أن يتوسل العبد إلى الله بأسمائه وصفاته كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] كأن يقول اللهم بأسمائك الحسنى أعطني كذا أو يقول يا رحيم ارحمني ويا رزاق ارزقني، والتوسل بصفات الله كأن يقول اللهم برحمتك ارحمني اللهم بعزتك

انصر الإسلام والمسلمين اللهم بعلمك الغيب وفقني لكل خير كما قَالَ تَعَالَىٰ عن موسى وأخيه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يونس:٨٦] أي أنهما توسلا إلى الله برحمته أن ينجيهما.

القسم الثالث من التوسل المشروع : التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح كأن تطلب من رجل صالح يدعو لك ، أو تقول اللهم إنا نتوسل إليك بدعاء فلان .

ودليله ما رواه البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: «اللهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا» أي كانوا يتوسلون إلى الله بدعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يتوسلوا بذاته وهذا معروف من سنته وطريقة أصحابه رضوان الله عليهم أنهم كانوا يطلبون منه الدعاء فلما مات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توسلوا بدعاء عمه العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وتركوا التوسل بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته، ولم يتوسلوا بجاهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا حيا ولا ميتا وإنما توسلوا بدعائه لله في حياته فقط .

فمن هناك يتبين لك ضلال الصوفية إذ يتوسلون بجاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا من البدع وقد يكون شركًا أصغر وبعضهم يدعونه من دون الله وهذا شرك أكبر مخرج من الملة والعياذ بالله.

ومن فوائد الحديث عظيم قدرة الله وسعة علمه ، وشمول إحاطته ، بكل شيء حيث أزاح عنهم تلك الصخرة وسمع نداءهم وعلم حالهم في ذلك المكان المظلم وفي الجبل وفي وقت المطر فرحمهم وأنقذهم بلا مواصلة بأحد ولا اتصالات ولا رافعات ولا إغاثات، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير يقول للشيء كن فيكون فما أقربه من عباده وما أرحمه بهم سمع أصواتهم

من فوق سبع سماوات واطلع على سرائرهم و إخلاصهم ففرج كربتهم قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات والله لقد جاءت المجادلة تشتكي زوجها إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا في جنب البيت وإنه ليخفى علي بعض كلامها فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾[المجادلة:١] رواه البخاري تعليقًا.

فأولئك رفع الله عنهم الصخرة وأزاحها كيف لا؟!، والسماوات والأرض في قبضته﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٖ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾[فاطر:٤١].

ويستفاد من هذا الحديث حقيقة الكرامة وهي أمر خارق للعادة يجريه الله على من شاء من خلقه ولا تكون إلا لعباده الصالحين وأوليائه المتقين ولا تكون للعصاة الفاسدين وتجري الكرامة على أيديهم بدون تدخل منهم وإنما تحصل إكراما من الله لهم وعبرة لغيرهم كما حصل لكثير من الصحابة من الكرامات وكما يحصل لمن كتب الله له الشهادة من أن الأرض لا تأكل أجسادهم كما حصل لعبد الله بن حرام والد جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا حينما أخرج أباه من القبر بعد ستة أشهر فوجدوه سليما لم تأكل الأرض جسده وأمثاله كثير قديمًا وحديثا كما حصل لسبعين رجلاً من طلاب العلم الذين قتلوا في دماج ظلمًا، فأخرجوا من المقبرة لحاجة وضرورة ، أخرجوهم خوفًا عليهم من السيول بعد سَنَة ونصف فوجدوهم كأنهم قبروا في تلك اللحظة والدماء تثعب من أجساد بعضهم ، ولم تأكل الأرض من أجسادهم شيئًا وكأنهم نائمون، والكرامات لأولياء الله كثير.

أما ما يفعله بعض الفسقة والمبتدعة من الكرامات المصطنعة، إذ يحدثون أشياء بأيديهم ويقولون هذه كرامات كما يفعله بعض المتصوفة وغيرهم فهذه

كرامات شيطانية ليست كرامات رحمانية، وإذا عرضت أعمالهم على الكتاب والسُّنَّة رأيتها تخالف ذلك، فهذه علامة أنها ليست كرامات رحمانية .

الشاهد من هذا أن الله أكرم أولئك الثلاثة النفر بتلك الكرامة لصلاحهم وإخلاصهم ولا تكون الكرامات للفساق أبدًا، وإنما تكون للصالحين، وأعظم كرامة دوام الاستقامة كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

ونستفيد من هذه القصة فضيلة الدعاء وأن الدعاء لا يخيب صاحبه فإن استجاب الله الدعاء عاجلا كحال أصحاب الصخرة وإلا ادخرها له في الآخرة أو صرف عنه من السوء بمثلها، فلا تَكَل من الدعاء ولا تمل ولا تيأس فربنا كريم رحيم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[النمل:٦٢] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦] فالله سبحانه أقرب إلى عبده من وريده الذي في عنقه، لكن الله أمر عبده بالاستجابة له ليجيب دعاءه ، فإن الاستجابة له من أسباب إجابة الدعاء والتعرف إلى الله والرجوع إليه في أوقات الرخاء والأمن ، من أسباب تفريج الكربات في وقت الشدة، فقد روى الطبراني عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

قال الشيخ عبد المحسن العباد: يعني إذا عمل الإنسان عملًا خالصًا في حال رخائه فإن الله يفرج عنه في حال شدته.

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تعرف على الله بالرخاء أي بالطاعات يعرفك في الشدة أي يفرجها عنك. اهـ

وفي هذا الحديث أن من صدق الله صدقه فإذا كان العبد صادقًا مع ربه أحبه وقربه إليه ووفقه وفرج عنه ودفع عنه المصائب والشرور كما روى النسائي عن شداد بن الهاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن تصدقِ الله يصدقْك**». وفي هذا الحديث قالوا: (والله يا هؤلاء ما ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه)

وفي هذا الحديث فضيلة بر الوالدين وأنها من أعظم القربات التي يفرج الله بها الكربات ، لا سيما وأن دعوة الوالدين مستجابة، كما فرج الله عن هؤلاء الثلاثة النفر لأن أحدهم كان بارا بوالديه ، وقد كان أويس القرني سيد التابعين مستجاب الدعوة ومن أسباب ذلك أنه كان بارًا بأمه ، وفي صحيح مسلم عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: «**إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ**».

وفي رواية أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لأويس. سَمِعْتُ رَسُولَ الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ « يَأْتِى عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ ». فَاسْتَغْفِرْ لِى. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ.

فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طلب من أويس القرني أن يستغفر له وهو أفضل منه وهذا معلوم أن الصحابي أفضل من التابعي، وذلك لأن أويسًا كان مستجاب الدعوة.

فإذا دعا الوالدان للولد استجاب الله لهما، فقد روى أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: «**ثلاثُ دَعَواتٍ مُستجاباتٌ لا شَكَّ فيهنَّ: دعوةُ الوالدِ، ودعوةُ المسافر، ودعوةُ المظلوم**» .

وفي هذا الحديث تقديم نفقة الوالدين إذا كانا محتاجين على نفقة الأهل والأولاد دون التقصير في حق الأهل والأولاد، فقد أمر الله سبحانه بإيتاء كل ذي حق حقه لكن بعض الناس قد ضيع حق والديه وهما محتاجان له وربما قدم أهله وأولاده عليهما وربما عقهما إرضاء لأهله وهذا منكر عظيم فقد روى البخاري ومسلم عن أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ**»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

فالنفقة واجبة على الوالدين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ** ﴿٢١٥﴾ ﴾ [البقرة:٢١٥].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: مال قليل أو كثير، فأولى الناس به وأحقهم بالتقديم، أعظمهم حقًا عليك، وهم الوالدان الواجب برهما، والمحرم عقوقهما، ومن أعظم برهما، النفقة عليهما، ومن أعظم العقوق، ترك الإنفاق عليهما، ولهذا كانت النفقة عليهما واجبة، على الولد الموسر. اهـ



الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فقد عرفنا أهم الفوائد والعبر التي في هذا الحديث العظيم من قصة الثلاثة النفر، ومن ذلك أن العفة والخوف من الله عمل صالح يفرج الله بهما الكربات في الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا فقد فرج الله على أولئك النفر لعفة أحدهم وخوفه من الله ، وإن كان قد طلب الزنا ابتداء لكنه قد عفَّ بعد أن خُوِّف بالله تعالى فخاف وذُكِّر فتذكر كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] أي :إذا همَّ أحدهم بالذنب تذكرالله فيترك المعصية كما ذكر بعض المفسرين.

وأما في الآخرة فإن الله يظل العفيف في ظل عرشة لما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ الله وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ »الشاهد» وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ».

فلا يحصل على هذه الفضيلة ولا يبلغ هذه المنزلة إلا من ملك نفسه وتغلب على شهوته وغلب خوفه من الله على هوى نفسه ، فهذا علامة على قوة الإيمان،

أما الذي لا يستطيع أن يملك نفسه فهو ضعيف الإيمان بل وأردى من ذلك أن من الناس من لا يستطيع أن يملك نفسه أو يجاهدها أمام صور في أوراق وأمام الشاشات والمسلسلات والعياذ بالله، فالواجب على العبد أن يغض بصره ويعف نفسه ويبتعد عن الذرائع المفضية إلى الفواحش.

ونستفيد من هذا الحديث أن العبد إذا أصابته فاقه أو ملمة أو حاجة لجأ إلى الله ولا يلجأ إلى مخلوق مثله فربما منَّ عليه أعطاه أو منعه، كما حصل من هذه المرأة التي أنزلت حاجتها بابن عمها ولم تنزلها بالله وتسأله من فضله فحصل أن استجراها الشيطان إلى الموافقة لفعل الفاحشة لولا أن الله عصمها لعلمه بعفتها وعدم مطاوعته للزنا من أول أمرها وإنما ألجأتها الحاجة، يظهر هذا من الحديث أنها ردت طلبه في بادئ الأمر والله أعلم.

الشاهد أن العبد ينزل حاجته بالله تعالى فقد روى أبو داود عن ابن مسعود، قال: قال رسولُ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**مَنْ أصابته فَاقَةٌ فأنزلها بالناسِ، لم تُسَدَّ فاقتُه، ومن أنزلها بالله أوشَك الله له بالغنى: إمَّا بموت عاجل، أو غِنًى عاجل**» ومعنى «إما بموت عاجل» قال بعض الشراح من أهل العلم:أي :يموت أحد أقاربه فيرثه.

وفيه أنه ينبغي للعبد أن يتكسب ويتخذ له حرفة من أجل ألا يسأل الناس أو يرتكب المخالفات المحرمة أو يضطر إلى المعصية كما عملت هذه المرأة ألجأتها الحاجة إلى مطاوعة ابن عمها على الزنا مؤخرا.

فالتكسب مطلب شرعي إذا كان من أسبابه المباحة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [المُلك:١٥] فقد كان نبي الله داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يأكل من عمل يده وكان زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نجارًا، وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة.

فالموفق هو الذي يجمع بين عمل الدنيا وعمل الآخرة لكن لا يشغله عمل الدنيا عن عمل الآخرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ [القصص:٧٧].

ومن فوائد الحديث فضل الأمانة وحب الخير للآخرين وذلك أن الله فرج عن الثلاثة بأمانة أحدهم وأن الأمانة وحفظها من علامات الإيمان بينما الخيانة من علامات النفاق فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ** » فهذا الرجل حفظ الأمانة وتصرف فيها فنماها لأنها لا تزال في يده لم تنتقل إلى ملك صاحبها وإلا فلا يجوز التصرف بالأمانة إلا بإذن صاحبها أو فيما يصلحها.

ومن فوائد هذا الحديث ونختم بها وجوب تسليم أجرة الأجير فورا بعد انتهائه من عمله ولا يجوز مماطلة الأجير في أجرته للوعيد المترتب على ذلك فقد روى البيهقي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ**» فيه كناية عن المسارعة إلى دفع أجرته فمن الناس من يتحايل على الأجراء فيظلمهم أو يهضمهم في حقهم لقدرته عليهم ونسي قدرة الله عليه ولم يعلم أن خصمه يوم القيامة هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « قَالَ اللهُ: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعطه أَجْرَهُ » .

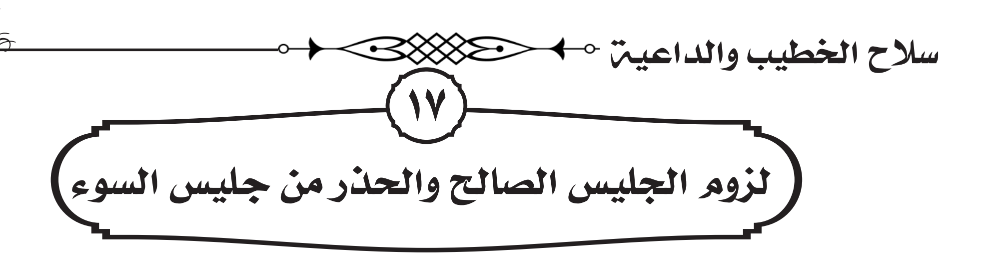
فاحذر يا مسلم من حقوق المخلوقين فإنها مبنية على المُشاحَّة لا تسقط بالتوبة حتى ترد الحقوق إلى أهلها أما حق الله فإنه يسقط بالتوبة ولا يعبأُ به.

فأدِّ الحقوق إلى أهلها يا عبد الله قبل أن تؤديها يوم القيامة من حسناتك، وكن وفيا فإن خير الناس أحسنهم وفاءً وأحسنهم أداء كما حصل من هذا الرجل الذي أعطى الأجير أموالا كثيرة من الإبل والبقر والغنم والرقيق فوق ما يستحق وكان عليه أن يعطيه أجرته التي يستحقها ولا يجب عليه الزيادة ولا التنمية ولكن هذا من فعل الخير وحب الخير للآخرين، فلا بأس من الزيادة عند القضاء فإن هذا من الإحسان، فقدروى مسلم عَنْ أَبِي رَافِعٍ ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ اسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا ، وَقَالَ : إِذَا جَاءَتْ إِبِلُ الصَّدَقَةِ قَضَيْنَاكَ ، فَلَمَّا قَدِمَتْ ، قَالَ : يَا أَبَا رَافِعٍ اقْضِ هَذَا الرَّجُلَ بَكْرَهُ ، فَلَمْ أَجِدْ إِلاَّ رَبَاعِيًا فَصَاعِدًا ، فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، فَقَالَ : «أَعْطِهِ، فَإِنَّ خَيْرَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً».

اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل ، اللهم أعنا على فعل الصالحات وترك الذنوب والسيئات، اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات ، وحُب المساكين، اللهم جنبنا المصائب والفتن ، ما ظهر منها وما بطن.

اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه ، والحمد لله رب العالمين .





الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله:

أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمجالسة الصالحين، واصطحابهم، وحذرنا من مجالسة السيئين، وأمرنا بالابتعاد عنهم لحكم عظيمة منها: أن

الجليس يتأثر بجليسه وبتصرفاته ومعاملاته ويحبه ويألفه، ولأن مجالسة السيئين فيه تكثير لسوادهم وإقرار لهم على باطلهم وتغرير على الناس بهم ولهذا شبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجليس الصالح بحامل المسك ، والجليس السوء بنافخ الكير، وشتان بينهما.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً** ».

قال الكشميري رَحِمَهُ اللَّهُ: وحاصله أن تأثير المجالسة كائن لا محالة قصدت أو لم تقصد كحامل المسك فإن ريحه تصيبه لا محالة. اهـ

فلا تقل أجلس معهم وأصطحبهم ولي ديني ومنهجي ولهم دينهم ومنهجهم، فإنك عما قريب ستكون فاسدا أو مبتدعا مثلهم ، فإنه قد وجد أناس كانوا على تقى وصلاح فلما جالسوا الفاسدين والزائغين صاروا مثلهم ، فما هي إلا أيام فإذا هم قطاع صلاة ويتناولون المسكرات كحال جلسائهم وهكذا أناس جالسوا أهل البدع والضلال والتحزبات فصاروا مثلهم مبتدعة يدافعون عن الباطل ويحذرون من الحق، ولهذا ثبت عند الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**الرجُلُ على دِينِ خَليلِهِ، فلينظر أحدُكُم من يُخالِلُ**» ، فالمرء على دين جليسه فإذا أردت أن تقوِّم الشخص وتعرف منهجه فانظر إلى جلسائه فإنه مثلهم وعلى طريقتهم .

وما أحسن ما قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... إن القرين بالمقارن يقتدي

وقال بعض السلف: من خفيت علينا بدعته لم تخفَ علينا ألفته أو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(المَرْءُ عَلى دِينِ خَلِيلِه):

قال شمس الحق عبد العظيم آبادي: أي على عادة صاحبه وطريقته وسيرته فمن رضي دينه وخلقه خالله –أي صاحبه وجالسه– ومن لا، تجنبه فإن الطباع سراقة» . وقال غيره: فإن الصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وفساده. اهـ

وأمر الله في كتابه بمجالسة الصالحين من العلماء والدعاة وطلاب العلم لأنهم يأخذون بأيدي الناس إلى كل خير ويمسكونها عن كل شر.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨].

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: اجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ وَيُهَلِّلُونَهُ، وَيَحْمَدُونَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ وَيُكَبِّرُونَهُ، وَيَسْأَلُونَهُ بِكُرَةً وَعَشِيًّا مِنْ عِبَادِ اللهِ، سَوَاءً كَانُوا فُقَرَاءَ أَوْ أَغْنِيَاءَ أَوْ أَقْوِيَاءَ أَوْ ضُعَفَاءَ. اهـ

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ أي: لا تتحول عنهم إلى غيرهم، وتجالس الأغنياء والشرفاء لأجل أموالهم وجاههم.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلا تَعْدُ أَيْ: لَا تَصْرِفْ وَلَا تَتَجَاوَزْ، عَيْنَاكَ عَنْهُمْ، إِلَى غَيْرِهِمْ، تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيا، تطلب مُجَالَسَةِ الْأَغْنِيَاءِ وَالْأَشْرَافِ وَصُحْبَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا. اهـ

فغالب الناس يحبون مجالسة أهل الأموال والوجاهة ويزهدون في مجالسة أهل التقى والصلاح ، فإذا جاء رجل الدنيا أو رجل الوجاهة التف حوله

مئات الناس ، وإذا جاء العالم ليعلمهم ويعظهم لا يحضر مجلسه إلا العشرات من محبي الخير ، والله المستعان.

وجاء عند الترمذي عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، قال: «**لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنًا، ولا يأكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقيٌّ**» أي لا تصاحب إلا من اتصف بالإيمان والتقى والطاعات.

قال الكلاباذي رَحِمَهُ اللَّهُ: يجوز أن يكون المراد بالمؤاكلة التي توجب الألفة وتؤدي إلى الخلطة فإن المؤاكلة أوكد أسباب الألفة وأحكم دواعي الخلطة، ومخالطة من ليس بتقي والألفة معه تغر بالإنسان وتخل بالدين ...

وقال المباركفوري: «ولا يأكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقيٌّ» أي متورع يصرف قوة الطعام إلى عبادة الله. اهـ

وهناك جلساء مصلحون لا يحس بهم العبد ينبغي ملازمتهم وهو المصحف والكتاب والحديث فالقرآن والسُّنَّة هما أفضل جلساء الصلاح وكتب العلم كذلك.

وهناك جلساء سوء لا يحس بهم العبد وهم أخطر من الجلساء من البشر وهم الجرائد والمجلات المخالفة للشرع والأجهزة المدمرة للقيم والأخلاق كالدش والتلفاز والجوال إذا استخدم في المساوئ والمخالفات فهذه من أقبح جلساء السوء.

فاحذر جليس السوء واحذر من مشاورته في الأمور الخاصة وائتمانه على الأسرار فإنه ربما يكشف سرك ويخونك ويكيد لك ويمكر بك لأنه لا يخاف الله قَالَ تَعَالَى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾** ﴾[آل عمران:١١٨] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَقُولُ تبَارَكَ وَتَعَالَى نَاهِيًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَاذِ الْمُنَافِقِينَ بِطَانَةً، أَيْ: يُطْلعونهم عَلَى سَرَائِرِهِمْ وَمَا يُضْمِرُونَهُ لِأَعْدَائِهِمْ، وَالْمُنَافِقُونَ بِجُهْدِهِمْ وَطَاقَتِهِمْ لَا يَأْلُونَ الْمُؤْمِنِينَ خَبَالا أَيْ: يَسْعَوْنَ فِي مُخَالَفَتِهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، وَبِمَا يَسْتَطِيعُونَهُ مِنَ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ، وَيَوَدُّونَ مَا يُعْنتُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُخْرِجُهُمْ ويَشُقّ عَلَيْهِمْ. اهـ

وقال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي:لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهذا هو الخبال. اهـ

واحذر يا مسلم من جليس السوء فقد يكون سبب انحرافك وقد يكون سببًا لسوء خاتمتك وقد تموت على المعصية أو على البدعة أو على الكفر والشرك والعياذ بالله بسبب جليس السوء، فلقد مات أبو طالب على ملة الكفر بسبب جلساء السوء أبو جهل لعنه الله وعبد الله بن أبي أمية، فقد كاد أن يقول أبوطالب لا إله إلا الله ويقربها عين رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فما منعه من ذلك إلا جلساء السوء لم يزالا به حتى مات وهو يقول على ملة عبد المطلب.

فقد روى البخاري ومسلم عن سَعِيد بْن الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَام، وَعَبْدَ الله بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَبِي طَالِبٍ: « **يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله** » ، (وفي رواية) :« **كلمةأُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله**» ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.. الحديث

فانظر كيف يكون جليس السوء سببًا لشقاء جليسه حتى آخر لحظة من حياته ، وانظر إلى الجليس الصالح كيف يذكرجليسه بكلمة التوحيد وبما ينفعه في آخر لحظات من حياته حرصا على حُسن الخاتمة.

فجليس السوء يأتي يوم القيامة يتبرأ منه جليسه ويأكل يديه حسرة وندامة على مجالسته واتباعه والأخذ عنه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يأكل يديه حتى تنتهي ثم تنبت تأسفًا وتحسرًا وحزنًا وأسفًا. اهـ

وسبب هذه الآية هو عقبة بن أبي معيط كما روى أبو نعيم عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن ابن أبي مُعيط كان يجلس مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة لا يؤذيه، وكان رجلًا حليمًا وكان يقيه من قريش، وكانت قريش إذا جلسوا معه آذوه وكان له خليل غائب عنه بالشام فقالت قريش: صبأ ابن أبي معيط فقدم خليله من الشام ليلا، فقال لامرأته: ما فعل محمد فيما كان عليه؟، فقالت: هو أشد ما كان أمرا، فقال لها ما فعل خليلي؟ ابن أبي معيط؟ قالت :صبأ، فبات بليلة سوء، فلما أصبح أتاه عقبة ابن أبي معيط ، فحيّاه فلم يردّ عليه التحية، فقال: مالك لا ترد عليّ تحيتي؟ فقال: كيف أردّ عليك تحيتك وقد صبوت؟ قال: وقد فعلتها قريش؟ قال: نعم قال:وما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت؟،قال: تأتيه على مجلسه فتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلم من الشتم ففعل، فلم يزد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن مسح وجهه من البزاق، ثم التفت إليه فقال: لئن وجدتك خارجًا من جبال مكة لأضربن عنقك صبرا، فلما كان يوم بدر وخرج

أصحابه، أبي أن يخرج، فقال له أصحابه: اخرج معنا فقال وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجًا من جبال مكة أن يضرب عنقي صبرا، فقالوا: لك جمل أحمر لا يدرك فإن كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم، فلما هزم اللهَّ المشركين وحل به جمله في جدد من الأرض، فأخذه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسيرا في سبعين من قريش، فيهم العباس بن عبد المطلب، وعقيلَ بن أبي طالب، فجعل عليهم الفداء أربعين أوقية من ذهب، وجعل على العباس مائه أوقية، وعلى عقيل بن أبي طالب ثمانين أوقية، وقدم إليه ابن أبي معيط فقال: أتقتلني من بين هؤلاء، وأنا أكبرهم سنا وأكثرهم مالا ؟ ، قال: نعم بما بزقت في وجهي، فأنزل اللهَّ تعالى في ابن أبي معيط :﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ ﴾.

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَسَوَاءٌ كَانَ سَبَبُ نُزُولِهَا فِي عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيط أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ، فَإِنَّهَا عَامَّةٌ فِي كُلِّ ظَالِمٍ. اهـ

فاحذر يامسلم من مجالسة الظلمة والفسقة والكفرة فإنه لا يجوزمجالستهم ولا حضور مجالسهم ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠ ﴾ [النساء:١٤٠] ، ولا يجوز مجالسة أهل البدع والأهواء والخائضين في آيات الله بالباطل، ولا يجوز حضور مجالسهم ودروسهم.

قَالَ تَعَالَىٰ :﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨ ﴾ [الأنعام:٦٨] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ ﴾ فَقَدْ شَارَكْتُمُوهُمْ فِي الَّذِي هُمْ فِيهِ. فَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ ﴾ أَيْ فِي الْمَأْثَمِ. اهـ

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«وكذلك المبتدعون على اختلاف أنواعهم، فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله لأنها لا تدل إلا على حق، ولا تستلزم إلا صدقا، بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتقتحم حدوده التي حدها لعباده ومنتهى هذا النهي عن القعود معهم ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ ﴾ أي: غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها.

﴿ إِنَّكُمۡ إِذٗا ﴾ أي: إن قعدتم معهم في الحال المذكورة ﴿ مِّثۡلُهُمۡۗ ﴾ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها، والحاصل أن من حضر مجلسا يعصى الله به، فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم مع القدرة، أو القيام مع عدمها». اهـ

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: لا تجالسوا أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة.

وقال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل البدع فإني أخشى أن يلبسوا عليكم دينكم أو أن يغمسوكم في البدعة. اهـ

فقد كان السلف شديدين على أهل البدع ، يحذرون الناس منهم ويهجرونهم ولا يسلمون عليهم لأنهم شرعوا للناس في دين الله مالم يأذن به الله، فقد جاء رجل من أهل الأهواء إلى أيوب السختياني فقال: يا أبا بكر أسألك عن كلمة فولى وهو يقول: ولا نصف كلمة مرتين ولا نصف كلمة.

فاحذر يا عبد الله لا تسمع لمبتدع، لأن المبتدعة أصحاب شبه ربما يوردون عليك شبهة فتدخل قلبك فلا تخرج أبدًا فتزيغ وتهلك، ولهذا كان السلف لا يسمعون حتى القرآن الكريم من أهل البدع ، حتى لا يتأثر بهم السامع أو يؤلونها على ما يوافق بدعهم، فهذا محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يجب أحدًا من

أهل البدع في مسألة واحدة ولا سمع منه آية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فقيل له فقال: أخشى أن يقرأ الآية فيحرفها فيقع في قلبي شيء. اهـ

وقال بعض السلف لابنه: إذا رأيت أحدًا من أهل الأهواء فضع أصبعيك في أذنيك واشدد أو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فأهل البدع في عداد جلساء السوء يجب الابتعاد عنهم فكم من شباب كانوا على الفطرة فجالسوا أهل البدع فتأثروا بهم وغرسوا عقائدهم الباطلة في أذهانهم فصار هذا يلبس حزاما ناسفا فيفجر نفسه بين أوساط المسلمين وصار هذا يقود حزبا فيوالي من أجله ويعادي من أجله ويحارب الحق وأهله ويجعل مصلحة الحزب مقدمة على مصلحة الدين ومصلحة عامة الناس، وصار هذا يعتقد فكرة زائفة أو عقيدة باطلة ويدعو الناس إليها ، وهذا كله بسبب مجالسة أهل البدع والأخذ عنهم، ولو أن الناس لزموا مجالس أهل السُّنَّة والجماعة لسلمت عقائدهم وصلحت أعمالهم ومناهجهم واستقامت أحوالهم وسلموا من الفتن والخوض فيها، وذلك أن أهل السُّنَّة يأخذون دينهم من كتاب ربهم وسُنَّة نبيهم على فهم سلفهم، فيحذرون الناس من الفتن والبدع والأهواء، ويدعونهم إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، فاضفر بمجالسة أهل السُّنَّة فأنعم بهم من جلساء وأنعم بمجالسهم الطيبة.

واعلموا عباد الله ؛ أن المجالسة إذا كانت لله ومن أجل الله فإنها تبقى وتدوم دنيا وأخرى ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ٦٧ ﴾[الزُّخرُف:٦٧] .

فمن كانت صداقته ومودته ومجالسته في طاعة الله فإنها ستبقى وتدوم يوم القيامة ، وإذا كانت فيما يغضب الله وفي معاصيه فإنها تنقطع وتنقلب عداوة في يوم ينسى القريب قريبه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [المعارج:١٠].

ويأتي كل منهم يتبرأ من الآخر كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾[البقرة:١٦٦].

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ﴾أي:عنهم: ﴿ ٱلْأَسْبَابُ ﴾، أي: الصلات الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، من القرابات والصداقات، وصارت مخالطتهم عَدَاوَةً. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْأَخِلَّاءُ، عَلَى الْمَعْصِيَةِ فِي الدُّنْيَا، يَوْمَئِذٍ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ، إِلَّا الْمُتَحَابِّينَ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. اهـ

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: انقلبت خلتهم ومحبتهم عداوة لأنها كانت في الدنيا لغير الله كانت على معصية. اهـ

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كُلُّ صَدَاقَةٍ وَصَحَابَةٍ لِغَيْرِ الله فَإِنَّهَا تَنْقَلِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدَاوَةً إِلَّا مَا كَانَ للهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ دَائِمٌ بِدَوَامِهِ. وَهَذَا كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِقَوْمِهِ: ﴿ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[الْعَنْكَبُوتِ:٢٥]. اهـ

ويأتي جلساء من أهل الكفر والضلال يتلاعنون فيما بينهم يوم القيامة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا

هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾
[الأعراف:٣٨] .

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أختها في الدين لا في النسب فاليهود تلعن اليهود والنصارى تلعن النصارى وكل فرقة تلعن أختها ويلعن الأتباع القادة. اهـ

نسأل الله أن يوفقنا لمجالس الصلاح، ومجالسة الصالحين، وأن يباعدنا عن مجالس السوء وجلساء السوء.





الخطبة الثانية

الحمد لله الذي منَّ علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا وكل بلاءٍ حسن أبلانا ، الحمد لله غير مودع ولا مكفي ولا مستغنى عنه ربنا.

أما بعد:

فإن الملائكة تعلم فضل الصالحين وفضل مجالسهم، ولذلك فإنها تحضر مجالسهم ولا تحضر مجالس الوجهاء والوزراء والأغنياء، وإنما يجالسون الصالحين ولو كانوا فقراء فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا الْمَلَائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ، إِنْ غَابُوا يَفْتَقِدُونَهُمْ، وَإِنْ مَرِضُوا عَادُوهُمْ، وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ** » ثم قَالَ: « **جَلِيسُ الْمَسْجِدِ عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: أَخٍ مُسْتَفَادٍ، أَوْ كَلِمَةٍ مُحْكَمَةٍ، أَوْ رَحْمَةٍ مُنْتَظَرَةٍ** » .

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « **إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ،**

قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» .

الشاهد أن الملائكة تجالس الصالحين وتتبع مجالس الذكر مجالس الصالحين وفيه أن الله غفر للعبد الخطّاء بسبب مجالسته للصالحين وهو ما جلس معهم إلا لحاجة، وجلسة عابرة، فكيف إذا كان العبد من أهل هذه المجالس فالفضل سيكون أكثر والأجر أعظم .

قال صاحب كتاب عمدة القاري: وَفِيه أَن الصُّحْبَة لَهَا تَأْثِير عَظِيم وَإِن جلساء السُّعَدَاء سعداء والتحريض على صُحْبَة أهل الْخَيْر وَالصَّلَاح. اهـ

(**هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**) نفى عنه الشقاء بفضل مجالسة الصالحين وحضور مجلس الذكر

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في هذا الحديث فضيلة مجالسة الصالحين وأن الجليس الصالح ربما يعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بجليسه رحمته وإن لم يكن مثله لأن الله قال قد غفرت لهذا مع أنه ما جاء من أجل الذكر والدعاء لكنه جاء لحاجة فقال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم. اهـ

والمرء مع من أحب يوم القيامة، فمن أحب الصالحين وتعذر عليه الجلوس معهم فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجمع بينهم يوم القيامة ويحشره معهم. فقد روى الترمذي عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ جَهْوَرِيُّ الصَّوْتِ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ-: «**المْرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**».

وروى أبو داود عن أبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه قال: يا رسولَ الله ، الرجُلُ يُحبُّ القومَ، ولا يَستَطيعُ أن يعمَلَ كعمَلِهم، قال: «**أنتَ يا أبا ذرٍّ مع مَنْ أحبَبتَ**»، قال: فإني أُحِبُّ الله ورسولَه، قال: «**فإنَّك معَ من أحببتَ**»، قال: فأعادها أبو ذرٍّ، فأعادها رسولُ الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-.

ويدخل في ذلك الجلساء الصالحون المتحابون في الله ، فإن الله يظلهم في ظله يوم القيامة ، كما روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ... وذكر منهم: وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**». الحديث

فكل إنسان مع من أحب يوم القيامة، فالذي يحب الفجرة والفسقة والمجرمين يخشى عليه أن يحشر معهم ويكون بمنزلتهم وإن لم يعمل بعملهم ومن أحب الصالحين فهو معهم وإن لم يعمل بعملهم لهذه الأحاديث.

قال ابن بطال رَحِمَهُٱللَّهُ: فدل هذا أن من أحب عبدًا في الله فإن الله جامع بينه وبينه في جنته ومدخله مدخلة وإن قصر عن عمله، وهذا معنى قوله: (ولم يلحق بهم) يعنى في العمل والمنزلة، وبيان هذا المعنى - والله أعلم - أنه لما كان المحب للصالحين وإنما أحبهم من أجل طاعتهم لله، وكانت المحبة عملًا من أعمال القلوب واعتقادًا لها أثاب الله معتقد ذلك ثواب الصالحين إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها، والله يؤتي فضله من يشاء. اهـ

وقال القرطبي في قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**» أي:داما على المحبة الصادقة الدينية المبرأة عن الأغراض الدنيوية ولم يقطعاها بعارض في حال اجتماعهما ولا حال افتراقهما. اهـ

ولذلك استحقا أن يظلهم الله تحت ظل عرشه في يوم يعرق فيه الناس وتدنو الشمس من رؤوسهم مقدار ميل فيذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا.

فتخير جليسك الصالح الذي سيلازمك في الدنيا والآخرة وربما يكون لك شافعا يوم القيامة وناصحا لك في الدنيا، وأحسن تربية أبنائك ليكونوا معك في الدنيا والآخرة، وأحسن اختيار الزوجة الصالحة وعلمها دين الله، فإنها من أهم الجلساء الذين يعينون جلساءهم فقد روى الطبراني عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَنْ رَزَقَهُ اللهُ امْرَأَةً صَالِحَةً، فَقَدْ أَعَانَهُ اللهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي**» .

واحذر من الزوجة الفاسدة فإنها جليس سوء فقد تزوج عمران بن حطان امرأة خارجية من أهل البدع وزعم أنه سيصلحها ويردها إلى السُّنَّة فأفسدته وردته إلى البدعة فصار يلعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويثني على ابن ملجم الذي قتل عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعضهم أراد أن يتزوج امرأة نصرانية فشرطت عليه أن يتنصر فوافق وارتد عن دينه والعياذ بالله.

اللهم ثبتنا على دينك وارزقنا جلساء الصلاح واصرف عنا جلساء السوء واحشرنا مع المحسنين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم إنا نسألك الجنة ونعوذبك من النار ، اللهم حول حالنا إلى أحسن حال، اللهم أصلح البلاد والعباد ، اللهم ولِ علينا خيارنا ولا تولِ علينا شرارنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس عباد الله:

روى الإمام البخاري ومسلم عن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ،رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ

رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِى الْحَرَامِ كَالرَّاعِى يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ أَلاَ وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِىَ الْقَلْبُ** ».

قال الحافظ ابن رجب: «هذا حديث عظيم وهو أحد الأحاديث التي مدار الدين عليها وقد قيل إنه ثلث العلم أو ربعه ..

ثم ذكر النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كلمة جامعة لصلاح حركات ابن آدم وفسادها وأن ذلك كله بحسب صلاح القلب وفساده ، فإذا صلح القلب صلحت إرادته وصلحت جميع الجوارح فتنبعث إلى طاعة الله واجتناب سخطه فقنعت بالحلال عن الحرام . وإذا فسد القلب فسدت إرادته ، ففسدت الجوارح كلها وانبعث في معاصي الله عَزَّوَجَلَّ وما فيه سخطه ولم تقنع بالحلال ؛ بل أسرعت في الحرام بحسب هوى القلب وميله عن الحق..» اهـ

فإذا كان كذلك فيجب علينا أن نحافظ على قلوبنا ونتعاهدها بين الحين والآخر ونسعى إلى ما فيه صلاحها من فعل الأسباب في صلاحها، ونتجنب ما يفسدها من الأسباب المفسدة لها، وفي هذا المقام نتطرق إلى بعض الأسباب التي تفسد القلب وتمرضه للحذر منها، فإن القلب إذا فسد فسدت حياة العبد في الدنيا والآخرة، ونحذر من بعض الأمراض التي قد تعتري القلوب فتفسدها، مع ذكر شيء من أسباب صلاح القلوب.

عباد الله: إن ربنا جل في علاه قد توعد أصحاب القلوب القاسية في كتابه الكريم فقال: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[الزُّمر:٢٢] .

وقَالَ تَعَالَى في الآية التي بعدها: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزُّمَر:٢٣] .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: مَا ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقُوبَةٍ أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ قَلْبٍ، وَمَا غَضِبَ اللهُ عَزَّ وجلّ على قومٍ إلّا نزع منهم الرحمة. اهـ

ولست ذاكرا في هذا المقام أسباب الأمراض الحسية للقلوب ، وإنما سأذكر أسباب الأمراض المعنوية لأنها أشد خطرا على القلوب من الأمراض الحسية في الدنيا والآخرة.

ألا وإن من أعظم أسباب قسوة القلوب وفسادها هي الذنوب والمعاصي:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطفِّفين:١٤] .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: غَلَبَتْ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْمَعَاصِي وَأَحَاطَتْ بِهَا. قَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ حَتَّى يَمُوتَ الْقَلْبُ. اهـ

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي غلب على قلوبهم وغمرها وأحاطت بها الذنوب فغطتها. اهـ

وروى الإمام الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

قال المحاسبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الذنوب تورث الغفلة. فالذنوب تسبب أكنة وأغطية على القلب فتمنع وصول الخير إليه فيصير القلب أسود لا يعرف الحق من

الباطل ولا يعرف المعروف من المنكر وأشدها على القلب هي الفتن والخوض فيها والاستشراف لها.

فقد روى الإمام مسلم من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: تلصق بعرضه كما يلصق الحصير بجانب النائم. أشربها دخلت فيه دخولا تاما وحلت منه محل الشراب.

ومن أسباب قسوة القلوب الإعراض عن ذكر الله والإعراض عن الصلاة والإعراض عن القرآن الكريم والإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به فهذا لا أظلم منه قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الكهف:٥٧].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ :«يخبر تعالى أنه لا أعظم ظلمًا، ولا أكبر جُرمًا، من عبد ذكر بآيات الله وبين له الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وخوف ورهب ورغب، فأعرض عنها، فلم يتذكر بما ذكر به، ولم يرجع عما كان عليه، ونسى ما قدمت يداه من الذنوب، ولم يراقب علام الغيوب، فهذا أعظم ظلمًا من المعرض الذي لم تأته آيات الله ولم يذكر بها، وإن كان ظالما، فإنه أخف ظلمًا من هذا، لكون العاصي على بصيرة وعلم، أعظم ممن ليس كذلك، ولكن الله تعالى عاقبه بسبب إعراضه عن آياته، ونسيانه لذنوبه، ورضاه لنفسه، حالة الشر

مع علمه بها، أن سد عليه أبواب الهداية بأن جعل على قلبه أكنة، أي: أغطية محكمة تمنعه أن يفقه الآيات وإن سمعها، فليس في إمكانه الفقه الذي يصل إلى القلب، ﴿ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ ﴾ أي: صممًا يمنعهم من وصول الآيات، ومن سماعها على وجه الانتفاع وإذا كانوا بهذه الحالة، فليس لهدايتهم سبيل»اهـ.

فإذا صار كذلك أورثه الله ذلا وضيقا وعيشة ضنكا كما أخبر الله في كتابه الكريم: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه:١٢٤].

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا، فَلَا طُمَأْنِينَةَ لَهُ، وَلَا انْشِرَاحَ لِصَدْرِهِ، بَلْ صَدْرُهُ ضَيِّقٌ حَرَج لِضَلَالِهِ، وَإِنْ تَنَعَّم ظَاهِرُه فَإِنَّ قلبه فِي قَلَقٍ وَحَيْرَةٍ وَشَكٍّ. اهـ.

فإن أطاع الله وذكر الله وقرأ القرآن لان قلبه وخشع واطمأن وهانت عليه مصائب الدنيا وهمومها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد:٢٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي تطيب وتركن إلى جانب الله وتسكن عند ذكره وترضى به مولى ونصيرا. اهـ

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال:٢].

فمن أسباب صلاح القلوب : قراءة القرآن وتدبر معانيه :

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن

يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقا إلى كرامة ربهم، أو وجلا من العقوبات، وازدجارا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان. اهـ

أما قراءة القرآن بغير تدبر فلا يحصل للقلب كبير فائدة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التمس قلبك في ثلاثة مواضع عند قراءة القرآن وعند الذكر وعند الخلوة فإن وجدته وإلا فاعلم أنه لا قلب لك فابحث لك عن قلب. أو قال كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فقراءة القرآن والذكر والاستغفار من أسباب انشراح القلوب وصلاحها، والإعراض عنها من أسباب قساوتها وضيقها وفسادها فقد تغشى القلب الهموم والغموم والغفلة فيذكر الله فيذهب عنه ما يجد، فقد روى الإمام مسلم عَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**» والغين هو ما يتغشى القلب كما ذكره النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فداوم يا عبد الله على ذكر الله وقراءة القرآن ، واحرص على حضور حلق العلم والذكر ، فإن الانقطاع عنها من أسباب قسوة القلوب ، والمداومة عليها من أسباب صلاح القلوب كالغيث للأرض إذا نزل أنبتت وأثمرت ، وإذا تأخر عنها أو انقطع ماتت ويبست أشجارها، وما كان من أهل الكتاب إلا أن قست قلوبهم بسبب انقطاعهم عن ذكر الله ، فخيمت الغفلة على قلوبهم بعد أن طال عليهم الزمان ، وذلك لأنهم لم يداوموا على الكتاب الذي أنزل عليهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ

﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ١٦﴾[الحديد:١٦].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزله الله. اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن القلوب تصدأ كما تصدأ المرآة وجلاؤها بالذكر.

فتعاهد قلبك بالمواعظ فلقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعاهد أصحابه بالمواعظ ويتخللهم بها فلما مات كان ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بفعل ذلك.

وقد شرعت خطبة الجمعة لهذا الشأن وأوجب الله حضورها، ومن المؤسف عند بعض الناس أنهم يتأخرون دائما أو غالبًا عن خطبة الجمعة فلا يشهدون إلا الصلاة فقط فهذا من الغفلة ، وهذا الصنف يخشى على قلوبهم من القساوة وهم آثمون لتركهم واجب،فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر بالحضور عند النداء لسماع الخطبة فقال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٩﴾[الجمعة:٩] وقد عاتب الله الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في ذلك ، وهم أهل الذكر وأهل القرآن ، وأهل الإيمان وأهل العلم والتعليم ، فقد روى مسلم عن ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[الحديد:١٦] إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ»، هذا ولم يكن بين إسلامهم وبين هذا العتاب إلا زمن يسير.

وعاتب الذين خرجوا أثناء الخطبة فقال: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الجمعة: ١١].

فكيف بالذي يعرض عن الذكر وعن العلم وعن سائر المواعظ أكثر عمره! بل بعضهم ربما ما حضر حلقة من حلق الذكر والعلم، ولا تعلم مسألة من مسائل الدين، ولا تعلم كيف يصلي ولا كيف يصوم، فهؤلاء هم أصحاب القلوب القاسية.

ومن أسباب قساوة القلوب وزيغها الجدال والعناد بالباطل فإن بني إسرائيل لما أكثروا الجدال والتعنت قست قلوبهم فزاغوا وانحرفوا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة: ٧٤].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ أي: اشتدت وغلظت، فلم تؤثر فيها الموعظة، ﴿ مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ أي: من بعد ما أنعم عليكم بالنعم العظيمة وأراكم الآيات، ولم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم، لأن ما شاهدتم، مما يوجب رقة القلب وانقياده، ثم وصف قسوتها بأنها ﴿ كَٱلْحِجَارَةِ ﴾ التي هي أشد قسوة من الحديد، لأن الحديد والرصاص إذا أذيب في النار، ذاب بخلاف الأحجار.

ثم ذكر فضيلة الأحجار على قلوبهم، فقال: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۗ ﴾. اهـ

ومن ذلك الجدال بالباطل تعنتًا فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ**» .

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ : أي ما ضل قوم مهديون كائنين على حال من الأحوال إلا أوتوا الجدل يعني من ترك سبيل الهدى وركب سُنن الضلالة، والمراد لم يمش حاله إلا بالجدل أي الخصومة بالباطل ، وقال القاضي: المراد التعصب لترويج المذاهب الكاسدة والعقائد الزائفة لا المناظرة لإظهار الحق. اهـ

ومن أسباب قسوة القلوب وزيغها عدم الانقياد للحق وقبوله والإذعان له من أول مجيئه، فإن من لم يقبل الحق من أول ما يأتيه أزاغ الله قلبه.

قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأنعام:١١٠] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ **فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [الصف:٥] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء. اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: ونعاقبهم، إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتيهم فيها الداعي، وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم. اهـ

وهكذا الحكم عام، فكل من لم يستجب لله ورسوله أو يأخذ بالسُّنَّة من أول ما بلغته، فإنه يخشى عليه ألا يوفق لها وربما يحال بينه وبين الحق كما قَالَ تَعَالَى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا**

أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال:٢٤]
فإذا حيل بينه وبين الحق عمي قلبه وإذا عمي قلبه عميت جوارحه فلا تهتدي بنور الإيمان والسُّنَّة بل يتخبط في ظلمات الجهل والبدع والمعاصي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[الحج:٤٦].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :وقوله:﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام.

ثم حذر عن عدم الاستجابة لله وللرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ فإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء . اهـ.

فعلى العبد أن يقبل على الله بقلبه وقالبه ،ويتضرع بين يديه، وأن يدعوه أن يثبت قلبه ويلهمه رشده، وأن يوفقه لأسباب صلاح القلوب، وأن يصرفه عن أسباب فسادها، فقد كان من دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يا مقلب القلوب صرف قلبي على طاعتك» وكان أكثر أيمانه إذا حلف:« لا ومصرف القلوب» رواه البيهقي عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أرشدنا إلى هذا الدعاء ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران:٨] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: لَا تُمِلْهَا عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ أَقَمْتَهَا عَلَيْهِ ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ ﴾ أَيْ: مِنْ عِنْدِكَ ﴿ رَحْمَةً ﴾ تُثَبِّتُ بِهَا قُلُوبَنَا، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلَنَا، وَتَزِيدُنَا بِهَا إِيمَانًا وَإِيقَانًا. اهـ .

وروى الترمذي عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:كان أكثر دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** » قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَكْثَرِ دُعَاءَكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: **يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ.** فَتَلاَ مُعَاذٌ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾[آل عمران:٨].

فإن توفرت أسباب الثبات عند العبد ومنها الدعاء بإخلاص وافتقار، ثبت الله قلبه برحمته ، وإن وجدت عنده أساب الزيغ أزاغ قلبه بعدله.

قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[الأنعام:٤٣] أي هلا تمسكنوا ورقت قلوبهم وخشعت.

فيجب على العبد أن يسعى في أسباب صلاح قلبه، وأن يتضرع بين يدي الله ويدعوه ويخشع قلبه بذكر الله من أجل أن يثبته الله.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، ويا مصرف القلوب صرفها على طاعتك.



الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام الأولين والآخرين وسيد المرسلين وقائد الغر المحجلين وخير خلق الله أجمعين. أما بعد:

فقد ذكرنا بعض أسباب قساوة القلوب وفسادها وبعض أسباب صلاحها ونذكر الآن بعض أمراض القلوب التي نتجت عن تلك الأسباب المفسدة لها ونذكرها لنحذرها ولئلا نقع في شيء منها كما قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه فمن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه

فمن هذه الأمراض:

مرض العجب: وهو أن يعجب العبد بنفسه وبعمله ويرى نفسه زكية وأعماله صالحة وذنوبه مغفورة وأنه أفضل من غيره وأن أعماله مقبولة فهذا المرض محبط للأعمال، فقد روى أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «كانَ رَجُلان في بني إسرائيلَ مُتواخيَين، فكان أحدُهما يُذنبُ والآخرُ مجتهدٌ في العبادة، فكان لا يزالُ المجتهدُ يرى الأخرَ على الذنب، فيقول: أقصِرْ، فوَجَدَه يومًا على ذنبٍ، فقال له: أَقصِرْ، فقال: خلِّني وربِّي، أبُعِثتَ عليَّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يَغفِرُ اللهُ لكَ -أو لا يُدْخِلُكَ اللهُ الجنةَ- فقَبَضَ الله أرواحَهُما، فاجتمعَا عند ربِّ العالمين، فقال لهذا المجتهد: «أكُنتَ بي عالمًا؟ أو كنتَ على ما في يدي قادِرًا؟» وقال للمُذنِب: «اذهَبْ فادخُلِ الجنةَ

برحمتي»، وقال للآخر: «اذهبُوا به إلى النار» قال أبو هريرة: والذي نفسِي بيدِه لتكلَّمَ بكلمةٍ أوبقَت دُنياه وآخِرَتَه.

وفي صحيح مسلم عن جُنْدَبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حَدَّثَ «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**».

فهذا رجل أعجب بعمله وحقر عمل غيره وحجر رحمة الله عليه وقال على الله بغير علم فأحبط الله عمله وأدخله النار ووفق الآخر للتوبة وغفر له.

فاحذر يا مسلم من العجب والقول على الله بغير علم فلا تحجر رحمة الله على أحد، ولا تشهد لأحد بجنة ولا بنار إلا ما شهد الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فإنه لا يعلم ما في القلوب إلا الله ولا يعلم بالخواتيم إلا الله ولا يعلم بأهل البر والتقى إلا الله ولا تركن إلى عملك فإنه قد يُرد عليك ولا يقبل، ولكن عليك بالإخلاص والدعاء بحسن الخاتمة وأن يتقبل منك، فإبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يبني بيت الله الحرام ويقول: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[البقرة:١٢٧] فمن نحن بجانب إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

ومن أمراض القلوب مرض الرياءوالشهرة: وهو أن يعمل العبد العمل الصالح شهرة ورياءرجاء مدح الناس ولا يخلص فيه لله وهذا أيضًا مردود على صاحبه فقد روى مسلم من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

وروى الإمام أحمد عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»، قَالُوا: وَمَا

الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « **الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً** » .

ومن أمراض القلوب مرض الهوى :وهو أن يتعبد العبد لله بهواه فيأخذ ما وافق هواه ويبتدع في الدين أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ويصرف النصوص عن ظاهرها ويتبع المتشابه ولا يعمل بالسُّنَّة بل ويحذر منها فهذا في الحقيقة يعبد هواه كما أخبر الله في كتابه وسمى الهوى إلهًا فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ **أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾** ﴾[الجاثية:٢٣] فهذا هو حقيقة الزيغ والانحراف كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ** ﴾[آل عمران:٧] .

الذين يتتبعون المتشابه من النصوص أي: غير الواضح لجميع الناس فيلبسون به على العوام.

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي الذي يلتبس على كثير من الأذهان غير المراد منها أو تشكل على بعض الناس فالواجب ردها إلى المحكم الواضح الذي ليس فيه شبهة ولا إشكال . اهـ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يأخذون بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة إضلالا لأتباعهم وإيهاما لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن. اهـ

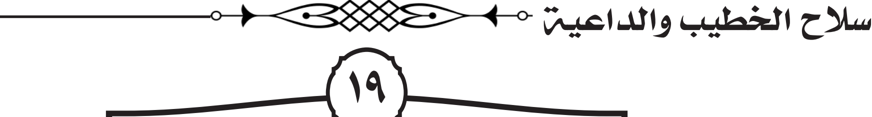
وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ هذه الآيات فقال: « **إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**». رواه البخاري ومسلم.

وهناك أمراض أخرى لا يسع المقام لذكرها كمرض النفاق والشك والكبر وغير ذلك من أمراض الشبهات وهناك أمراض الشهوات كالزنا والحسد ومحبة الفواحش والمعاصي، والمعافى من عافاه الله من هذين المرضين، مرض الشهوات والشبهات ، وبسبب الذنوب والانحرافات والمعاصي تزيد أمراض القلوب كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[البقرة:١٠] فجازاهم الله بسبب معاصيهم السابقة بأمراض لاحقة لأن المعصية تجر إلى أختها وجزاء الحسَنَة حسَنَة مثلها.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾[مريم : ٧٥، ٧٦] .

نسأل الله أن يطهر قلوبنا من الزيغ والانحراف، ومن الشرك والنفاق والرياء، ومن سائر الأمراض، اللهم إنا نسألك قلوبًا سليما، وألسِنَة صادقة ، وأعمالاً خالصة مقبولة، برحمتك يا أرحم الراحمين.





١٩
فضل آية الكرسي
(أعظم آية في القرآن الكريم)

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ ونَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللِ فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الاخوة المسلمون:

لقد روى الإمام مسلم عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**وَالله لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**».

ففي هذا الحديث بيان من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأُبي بن كعب وإرشاده إلى أعظم آية في القرآن الكريم وذلك من خلال سؤاله إياه بهذا السؤال وإقراره على جوابه وتهنئته له بالعلم.

فآية الكرسي هي أعظم آية، لأنها اشتملت على بعض أسماء الله وصفاته العظيمة ،واشتملت على تفرده بالألوهية، فاشتملت على وحدانيته وحياته الكاملة من كل وجه، وقيامه على السماوات والأرض ومن فيهن، ونفت بعض الصفات التي لا تليق به من السِنة والنوم،واشتملت على عظمته وعظمة بعض مخلوقاته من السماوات والأرض والكرسي، وفيها بيان حقيقة الشفاعة يوم القيامة، وأنها ملكه ولا تكون إلا بعد إذنه لمن شاء من خلقه، وغير ذلك مما سنذكره في هذا المقام.

قال النووي رَحِمَهُٱللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ إِنَّمَا تَمَيَّزَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ بِكَوْنِهَا أَعْظَمَ لِمَا جَمَعَتْ مِنْ أُصُولِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ والوحدانية وَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْمُلْكِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ... اهـ

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾[البقرة:٢٥٥] .

فمن عظمة هذه الآية أنها اشتملت على أعظم كلمة؛ وهي كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله) التي هي مفتاح الإسلام ومفتاح دار السلام ، لو وزنت بالسموات والأرض لرجحت عليهن، وهي أعظم حَسَنَةٍ في الميزان لو بلغت الذنوب عنان السماء لرجحت عليهن بإذن الله، فمن لقي الله بها دخل الجنة وإن أصابه قبل ذلك ما أصاب.

ومقتضى هذه الكلمة هو:نفي استحقاق العبادات عما سوى الله وإثباتها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومعناها: لا معبود بحق إلا الله وغيره إن عبد فقد عبد بباطل.

واشتملت هذه الآية العظيمة على اسمين كريمين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهما الحي القيوم، فالحي اسم كريم يتضمن الحياة المطلقة من جميع الوجوه التي ليس فيها نقص بوجه من الوجوه فهو الأول الذي ليس قبله شيء وهوالآخر الذي ليس بعده شيء وهوالظاهر الذي ليس فوقه شيء وهوالباطن الذي ليس دونه شيء، واسمه الحي مستلزم لجميع صفاته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد:٣].

واسمه الكريم﴿ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ المتضمن لصفات الأفعال فهو القائم على عباده بتدبير شؤونهم المتصرف فيهم بما يشاء، القائم على السماوات والأرض مسيرها ومدبرها بأمره.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:﴿ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمنا ولزوما، فالحي من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع

التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري، ولهذا قال بعض المحققين: إنهما الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى، ومن تمام حياته وقيوميته أن ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ . اهـ

وهو القائم على السماوات والأرض والحافظ لهما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الروم:٢٥] .

قال العلامة البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: قَامَتَا عَلَى غَيْرِ عَمَدٍ بأمره. وقيل: يدوم قيامهما بِأَمْرِهِ. اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن آياته العظيمة أن قامت السماوات والأرض واستقرتا وثبتتا بأمره فلم تتزلزلا ولم تسقط السماء على الأرض. اهـ

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر:٤١] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ هاتان صفتان منفيتان عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تليق به وهو منزه عنهما وهما النعاس والنوم وهما من صفات البشر في الحياة الدنيا بينما هما منفيتان عنهما في الجنة لأن النعاس والنوم أثر من آثار التعب والإعياء وليس في الجنة هذه الصفات، فمن باب أولى أن ننزه الله عنهما.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ** » .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾

دلت على عظيم ملك الله لسعتهما وسعة ما فيها من أشجار، وأحجار وجبال، وبحار ومخلوقات ومن أفلاك وأملاك، وإنس وجان وطير وحيوان، كلها تسبح بحمده ،وتخضع لعظمته وتذل لقهره، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الصف:١] .

فنحن ملك لله يتصرف فينا كيف يشاء ، لا معقب لحكمه ولا اعتراض على أقداره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران:٢٦] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: لا أحد يتجاسر أن يشفع إلا بإذنه ولا يستطيع أحد أن يتكلم فضلًا عن أن يشفع إلا بإذنه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨﴾ [النبأ:٣٨] وذلك أن الشفاعة ملك لله لا يشفع أحد إلا بإذنه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٤٤﴾ [الزُّمَر:٤٤] ، فإذا أراد الله رحمة من شاء من عباده أذن فيه بالشفاعة بواسطة من أراد أن يكرمه ممن سيشفع له فهي كرامه للشافع ورحمة للمشفوع له.

ولا تكون الشفاعة إلا لأهل التوحيد ولا تكون لأهل الشرك ، فهي منفية عن المشركين ولا تنفعهم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر : ٤٨] .

فإن الشفاعة خاصة بأهل التوحيد لما ثبت في البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ

إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ» .

وقال تعالى: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [مريم:٨٧] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العهد هو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها. اهـ

فيأتي الشفعاء يشفعون لمن رضي الله قوله وفعله من عباده الموحدين، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٨] .

وخلاصة القول في الشفاعة : أنها لا تكون إلا لمن وحد الله ولم يشرك به شيئًا بشروط ثلاثة وهي أن يرضى الله عن الشافع وأن يرضى عن المشفوع له، وأن يأذن الله بالشفاعة.

قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ .

دلت على كمال علمه الذي لم يسبق بجهل ولم يلحق بنسيان وكل علوم الدنيا ما هو إلا أثر من علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنه يعلم الأمور السابقة واللاحقة اطلع على جميع المخلوقات العلوية والسفلية ووسع علمه جميع المعلومات ولو كانت الأشجار كلها أقلامًا والبحار مدادًا فكتبت بها كلمات الله لتعطلت الأقلام وتكسرت وجفت البحارونفدت، وكلمات الله لم تنته، ولم تنفد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[لقمان:٢٧] .

قال الخضر لموسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ وهما في السفينة إذ جاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي البَحْرِ، فَقَالَ الخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا العُصْفُورِ فِي البَحْرِ. والحديث في

الصحيحين عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالله سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، يعلم علوم الدنيا والآخرة يعلم أحوال العباد وأعمالهم وما تخفيه صدورهم، وهو مستوٍ على عرشه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ مِنْ عِلْم الله عَلَى شَيْءٍ إلا مَا أَعْلَمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَا يَطَّلِعُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْم ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ إِلَّا بِمَا أَطْلَعَهُمُ اللهُ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠].

فإن لله الأسماء الحسنى والصفات العلى بلا تمثيل ولا تكييف، ولا تعطيل ولا تحريف، فإنه لم يخبرنا عن كيفيتها فلهذا لا يجوز السؤال عن كيفية صفاته أو تمثيلها بصفات المخلوقين كما أنه لا يجوز تعطيلها عن الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقد أثبت لنفسه صفات ونفى أن تكون مماثلة لصفات المخلوقين فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

ومن عظمة هذه الآية العظيمة، أنها اشتملت على بعض مخلوقات الله العظيمة، الدالة على عظمته ومن ذلك الكرسي، ولذلك سميت هذه الآية بآية الكرسي نسبة إليه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا يدل على كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السماوات والأرض على عظمتهما وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل

الأبصار، وتقلقل الجبال وتكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب » أ . هـ .

فهذا المخلوق العظيم دال على عظمة الله وقد وسع السماوات والأرض، فإذا كان هذا الكرسي فكيف بالعرش وهو أكبر منه، فهذا يدل على عظمة الخالق سبحانه، فإذا كان خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس وخلق الكرسي أكبر من خلق السماوات والأرض، وخلق العرش أكبر من خلق الكرسي،فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعظم من هذا كله فمن أسمائه الكبير المتعال، فما السماوات والأرض في قبضته ويمينه إلا كحلقة صغيرة في كف الإنسان.

فقد روى البيهقي عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة وما الكرسي في العرش إلا كقدر هذه الحلقة في هذه الفلاة».

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا :«ما السماوات والأرض في كف الرحمن إلَّا كخردلة في كف أحدكم».

فهذه السماوات والأرض على سعتهن وعظمتهن وكذلك العرش والكرسي على عظمتهما دليل على عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

فمن عظمة هذا العرش أنه يحمله ملائكة عظام وصف لنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدهم كما روى ابو داود عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قال: « **أُذِنَ لي أن أُحدِّثَ عن مَلَكٍ مِنْ ملائكةِ الله من حَمَلة العرش: إن ما بين شَحمةِ أذُنِه إلى عاتِقِه مَسيرةُ سبع مئةِ عام**» وروى الطبراني عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–

قَالَ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَعَلَى قَرْنِهِ الْعَرْشُ، وَبَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ خَفَقَانُ الطَّيْرِ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ، يَقُولُ الْمَلَكُ: سُبْحَانَكَ حَيْثُ كُنْتَ**» وفي رواية: « **يقول سبحانك ما أعظمك ربنا فيرد عليه ما علم ذلك من حلف بي كاذبًا**».

بمعنى أن الحالف بالله كاذبًا لو كان يعلم عظمة الله ومستحضرًا لها ما حلف بالله إلا وهو صادق.

﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ ﴾: قال ابن كثير في تفسيره رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أَيْ: لا يثقله ولا يُكْرِثُهُ حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بَيْنَهُمَا، بَلْ ذَلِكَ سَهْلٌ عَلَيْهِ يَسِيرٌ لَدَيْهِ وَهُوَ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، الرَّقِيبُ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، فَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا حَقِيرَةٌ بَيْنَ يَدَيْه. اهـ

فالله حفظ السماوات السبع بغير أعمدة وحفظ النجوم والكواكب في السماء، وحفظ الطير في الهواء ، وحفظ الحوت في الماء ، وحفظ الكون في الفضاء ، فسبحانك وبحمدك يا ربنا ما عبدناك حق عبادتك.

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾: ختمت هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين الدالين على علوه وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالله عال على خلقه، مستوٍ على عرشه لا تخفى عليه منهم خافية، وهو العظيم الذي دانت لعظمته الجبابرة وقهر كل مخلوق بعزته وجبروته ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام:١٨] .

وعلو الله على أقسام علو ذات وهو أنه فوق خلقه مستو على عرشه ليس فوقه شيء، وعلو صفات وهو أن له الأسماء الحسنى والصفات العليا ، وعلو قدر وهو أنه رفيع الشأن، وعلو قهر وهو أنه قهر كل مخلوق عزة وحكمًا.



الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فقد ذكرنا بعض ما يتعلق بهذه الآية العظيمة آية الكرسي فينبغي على كل مسلم أن يحفظها ويتعرف على معانيها وأن يتدبرها، فإنها من أسباب حفظ الله للعبد في الدنيا وهي حصن حصين من الشياطين، وهي من أسباب دخول الجنة لمن قرأها بعد كل صلاة فقد روى الطبراني عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ**» .

ومن قرأها صباحًا ومساءً وعند النوم حفظه الله من كل شيطان ولهذا جعلت من أذكار الصباح والمساء فقد روى الطبراني عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ لَهُ جُرْنٌ مِنْ تَمْرٍ، فَكَانَ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ شِبْهِ الْغُلَامِ الْمُحْتَلِمِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ، جِنِّيٌّ أَمْ إِنْسِيٌّ؟ قَالَ: لَا بَلْ جِنِّيٌّ. قَالَ: فَنَاوِلْنِي يَدَكَ. فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَإِذَا يَدُهُ يَدُ كَلْبٍ، وَشَعْرُهُ شَعْرُ كَلْبٍ، قَالَ: هَكَذَا خَلْقُ الْجِنِّ، قَالَ: قَدْ عَلِمَتِ الْجِنُّ أَنَّ مَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ. قَالَ: فَمَا يُنْجِينَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ** ﴾[البقرة:٢٥٥] مَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُمْسِيَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ اللهِ

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «صَدَقَ الْخَبِيثُ»

ومن قرأها عند نومه لا يقربه شيطان حتى يصبح فقد جاء في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَالله لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[البقرة:٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ

أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[البقرة:٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ -وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ» .

ففيها عصمة من الشيطان بإذن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وليس في هذا الحديث دليل على قبول خبر المبطل والتعلم عنده والأخذ عنه قياسا على قبول خبر ذلك الشيطان لأن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو الذي أقره لموافقة الحق ورسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مشرِّع، أما الآن فإن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد مات والوحي قد انقطع من السماء فمن يقرك على كلام أهل الباطل أو ينفيه وهل هو حق أم باطل فلا تقبل الحق إلا من أهله ومن مصدره ولا تأخذ العلم إلا من منبعه الصافي لأن الملبسين كثيرون من أهل البدع والأهواء، والشبه خطافة والله ورسوله ، قد حذرا من أهل البدع والزيغ، الذين يتبعون المتشابه من الأدلة والنصوص، ويلوون أعناق النصوص بما يوافق أهواءهم.

نسأل الله أن يبصرنا في ديننا ، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه ، والحمد لله رب العالمين .





الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس:

روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،**

وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ».

ففي هذا الحديث العظيم يحذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الظلم وأمرنا أن نجعل بيننا وبينه وقاية وحاجزًا، وأخبرنا أن الظلم في الدنيا سبب لظلمات يوم القيامة.

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: **(اتقوا الظلم)** الذي هو مجاوزة الحد والتعدي على الخلق.

وقال الراغب رَحِمَهُ اللَّهُ : هو لغة وضع الشيء في غير موضعه المختص به بنقص أو زيادة أو عدول عن وقته أو مكانه.. وذلك لأن الشرائع تطابقت على قبحه واتفقت جميع الملل على رعاية حفظ الأنفس، في الأنساب والأعراض والعقول والأموال، والظلم يقع في هذه أو في بعضها وأعلاه الشرك ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ وهو المراد بالظلم في أكثر الآيات ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ويدخل فيه ظلم الإنسان لنفسه بارتكاب المعاصي إذ العصاة ظلام أنفسهم ، وأقبح أنواع الظلم، ظلم من ليس له ناصر إلا الله .

قال ابن العزيز: إياك إياك أن تظلم من لا ينتصر عليك إلا بالله فإنه تعالى إذا علم التجاء عبد إليه بصدق واضطرار انتصر له فورا﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾(فإن الظلم) في الدنيا (ظلمات) على أصحابه بمعنى أنه يورث ظلمة في القلب فإذا أظلم القلب تاه وتحيّر وتجبّر فذهبت الهداية والبصيرة فخرب القلب فصار صاحبه في ظلمة (يوم القيامة) اهـ .

فبسبب الظلم، قد يتخبط الظالم في ظلمات الجهل والضلال والغواية في الدنيا فتصير هذه الظلمات المعنوية، حسيةً يوم القيامة بمعنى أنه يمشي يوم

القيامة في الظلمات ليس له نور يمشي عليه وغيره من المؤمنين يسعى نوره بين يديه، وكلٌّ بحسبه وهو يتخبط على قدر ظلمه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور:٤٠].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ بن الْجَوْزِيِّ الظُّلْمُ يَشْتَمِلُ عَلَى مَعْصِيَتَيْنِ أَخْذِ مَالِ الْغَيْرِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَمُبَارَزَةِ الرَّبِّ بِالْمُخَالَفَةِ، وَالْمَعْصِيَةُ فِيهِ أَشَدُّ مِنْ غَيْرِهَا لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ غَالِبًا إِلَّا بِالضَّعِيفِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى الِانْتِصَارِ وَإِنَّمَا يَنْشَأُ الظُّلْمُ عَنْ ظُلْمَةِ الْقَلْبِ لِأَنَّهُ لَوِ اسْتَنَارَ بِنُورِ الْهُدَى لَاعْتَبَرَ فَإِذَا سَعَى الْمُتَّقُونَ بِنُورِهِمُ الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ بِسَبَبِ التَّقْوَى اكْتَنَفَتْ ظُلُمَاتُ الظَّالِمِ حَيْثُ لَا يُغني عَنهُ ظلمه شَيْئًا. اهـ

واعلموا أن الظلم قسمان ظلم العبد لنفسه وظلم العبد لغيره.

فظلم العبد لنفسه يكون إما بالشرك بالله أو بارتكاب المعاصي، فظلم العبد لنفسه بالشرك هو أعظم أنواع الظلم لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ يعنون أنهم يقعون في المعاصي ولا يسلم إلا من سلم الله فبين لهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه ليس الظلم بالمعاصي وإنما هو الشرك فقال: «لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» والحديث رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والظلم الثاني هو ظلم العبد لنفسه بالمعاصي التي هي ما دون الكفر والشرك

كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر:٣٢].

وبقي القسم الثاني من أقسام الظلم الذي هو ظلم العبد لغيره وهو موضوعنا لهذا اليوم:

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فِيمَا رَوَى عَنِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا..** » الحديث.

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى(**إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي**): أي لا يظلم أحدًا لا بزيادة سيئات لم يعملها ولا بنقص حسنات عملها، بل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكم عدل محسن فحكمه وثوابه لعباده دائر بين أمرين بين فضل وعدل، فضل لمن عمل الحسنات، وعدل لمن عمل السيئات وليس هناك شيء ثالث وهو الظلم. اهـ

فالظلم صفة ذميمة ولذلك حرمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على نفسه وجعله حرامًا بين عباده، فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**».

فلا يجوز لمسلم أن يظلم مسلمًا في دمه ولا في ماله ولا في عرضه.

* ألا وإن من أظلم الظلم في حق الآدمي لهو سفك دمه وإزهاق روحه بغير حق وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ**». رواه النسائي عن عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

* ومن الظلم أخذ أموال الآخرين بغير حق وسواء كان ذلك بالنهب أو السرقة أو التحايل أو بالأيمان الفاجرة ، فكل هذا من الظلم الذي هو ظلمات يوم القيامة فقد روى مسلم عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**» يعني سواكًا الذي هو من أرخص الأشياء.

وثبت عند أبي يعلى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يحل مال امرء مسلم إلا بطيب من نفسه**» وهو عند الإمام أحمد عن حنيفة الرقاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فاحذر يا أيها المسلم ، فإذا كان لا يجوز لمسلم أن يظلم مسلمًا في سواك، وتوعد الله على ذلك بالنار، فكيف بالذين يظلمون غيرهم بأخذ الأراضي والعقارات والبيوت والسيارات أين سيذهبون منها يوم القيامة؟ إنهم سيحملونها على رقابهم أمام الخلائق والعياذ بالله.

فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**» أي يجعل هذا الشبر على رقبته كالطوق من الأرض العليا إلى الأرض السفلى إلى سابع أرض.

(**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ..**) فكيف بالذين يأخذون الأمتار والكيلوات والأميال ظلمًا؟ ، أين سيذهبون منها يوم القيامة؟ ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ** ﴿٨٨﴾﴾ [الشعراء : ٨٨] ليس فيه إلا الحسنات والسيئات.

فالواجب المبادرة إلى التخلص من هذه المظالم قبل ظلمات وفضائح يوم القيامة ، وقبل عذاب النار وغضب الجبار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

روى الإمام مسلم عن وائل بن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنِ اقْتَطَعَ أَرْضًا ظَالِمًا، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»

وبعض الناس يظن أنه انتصر على غيره بأخذ أرضه بفصاحة لسانه أو بلاغة بيانه أمام الحاكم أوغيره، ولكنه مهزوم أمام خصيمه يوم القيامة فقد ثبت في الصحيحين عن عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فلا يأخذها**» .

ويدخل في الظلم مماطلة الآخرين في الديون وعدم قضائها فقد جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ**» .

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني ممانعة الإنسان الذي عليه دين عن الوفاء وهو غني قادر على الوفاء ظلم. اهـ

وقد جاء وعيد شديد في الديون منها أن الشهيد يغفر له كل شيء إلا الدين، وأن المدين يحبس بباب الجنة حتى يقضى دينه ، ولم يصلِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على رجل من أصحابه كان عليه دين حتى قضي دينه .

ومن الظلم للغير أن يرى الإنسان اللقطة والضائعات ويتموّلها لنفسه ولا يعرّفها فقد ثبت عند الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ آوَى ضَالَّةً فَهُوَ ضَالٌّ، مَا**

لَمْ يُعَرِّفْهَا» .

ويدخل في الظلم ظلم الولد لأبويه بمعصيته لهما ، وظلم الوالد لأبنائه بعدم العدل بينهما ، وظلم الأمير لرعيته ، وظلم الزوج لزوجته بتكليفها فوق طاقتها، أو بهضمها حقها، وظلم الجار لجاره بأذيته ، وظلم الأمير بعدم النصح لهم ، والعدل بينهم ، وظلم الرجل لأميره بالخروج عليه، فكل هذه من الظلمات التي يلاقيها العبد يوم القيامة ، وكل هذا من الظلم الذي حذر الله منه في كتابه ، وحذر منه نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته .

وقد جاءت أدلة كثيرة في السُّنَّة تحذر حتى من ظلم الحيوانات والطيور وغيرها مما يصدق عليه الظلم فقد ثبت في صحيح مسلم عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**» .

كل هذا من أجل التنزه عن الظلم حتى لا تظلم بهيمة أو نحوها في تعذيبها، فإذا كان هذا في حق البهيمة فكيف بالآدمي وقد دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت كما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فتنزه عن الظلم يا مسلم ورد المظالم إلى أهلها قبل أن تؤخذ منك حسناتك يوم القيامة ، ولا تظن أن حقوق المخلوقين تسقط بالتوبة ، لا . فإن التوبة في حقوق الآدميين يشترط لها شرط رابع وهو إرجاع الحقوق إلى أهلها فإن حقوق الآدميين مبنية على المشاحَّة، بينما حقوق الله تسقط بالتوبة النصوح بإذن الله إن علم الله صدق التائب.

فقد روى البخاري والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ من عرض أو من شيء**

فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ» .

ومعنى يتحلله منه اليوم أي يرد المظالم إلى صاحبها أو يستسمحه فهذا ممكن في الدنيا أما يوم القيامة فغير ممكن .

وقوله (من عرض) يدخل في ذلك الطعن فيه بغير حق أو الكلام عليه في غيبته وغير ذلك

وقوله (أو من شيء) يدخل في ذلك الأموال والجنايات والقصاص حتى اللطمة حتى لو كان المظلوم كافرا أو فاجرا فإنه لا يجوز ظلمه بغير حق ويجب إرجاع الحقوق إليه.

فقد ثبت عند الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أُنَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **يَحْشُرُ اللهُ العِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أُقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أُقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ** « **قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟، قَالَ:** « **بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ** » .

وحتى أهل الجنة أنفسهم لا يدخلون الجنة حتى يقتص بعضُهم من بعض مظالمَ كانت بينهم وذلك أنهم يحبسون في قنطرة بين الجنة والنار.

فقد روى البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا،**

أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ» .

ولقبح الظلم وسوء عاقبته ، فإن الحيوانات تأتي يوم القيامة تقتص من بعضها فإن الله لم يرض بالظلم حتى على الحيوانات.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يوم القيامة حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ». والجلحاء هي التي لا قرون لها.

فلا يظن الظالم أن الله يقتص من الحيوانات غير المكلفة ويغفل عنه وهو مكلف، تعالى الله عن ذلك.

ولا تيأس أيها المظلوم، فلا تظن أن الله ينتقم للشاة والبهيمة غير المكلفة ويتركك مظلومًا، فإن الله حكم عدل سيأخذ بحقك ممن ظلمك، فاصبر صبرا جميلا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾[إبراهيم:٤٢] .

فإذا لم يؤدِ الظالم الحقوق التي عليه فإنه يأتي يوم القيامة مفلسًا تؤخذ حسناته وترد للمظلومين، فإذا فنيت حسناته أُخذ من سيئاتهم وطرحت عليه ، وربما ألقي في النار عياذًا بالله.

فقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**» .

فهذا أفلس بسبب كثرة المظالم التي ظلم بها كثيرًا من الناس بأنواع من المظالم القولية والفعلية وقد كان لديه من الحسنات ما ينجيه ولكنها ذهبت للمظلومين بسبب ظلمه لهم.

فقد روى الطبراني عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اتقوا الظلم ما استطعتم فإن العبد يجيء بالحسنات يوم القيامة يرى أنها ستنجيه فما زال عبد يقول يا رب ظلمني عبدك مظلمة فيقول امحوا من حسناته وما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسَنَة من الذنوب» الحديث.

وفي رواية عند البيهقي: «فما تزال مظالم بني آدم تتبعه حتى ما يبقى له حسَنَة ويحمل عليه من سيئاتهم».

ومن رأى الظلم فإنه لا يجوز له السكوت عنه بل يجب عليه إنكاره لما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**».

فمن رأى منكرًا وجب عليه أن ينكرَه ، ومن رأى ظالمًا وجب عليه أن يحجزَه، ومن رأى مظلومًا وجب عليه أن ينصرَه وذلك على حسب القدرة، فقد روى البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**» .

فإنك إن منعته عن الظلم فقد تسببت في حفظ حسناته حتى لا تؤخذ عليه يوم القيامة، فهذا من نصره.

وفي هذا وجوب نصرة المظلوم ودفع الضرر عنه وعدم خذيلته فإن النبي ﷺ قال: «**المسلم أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ ولا يحقره..**» الحديث رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإن لم ينصره وهو قادر على ذلك فقد خذله ويؤثم على ذلك فقد روى ابن حبان عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « أُمِرَ بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة ، فلم يزل يسأل و يدعو حتى صارت جلدة واحدة ، فجلد جلدة واحدة ، فامتلأ قبره عليه نارًا ، فلما ارتفع عنه وأفاق قال : على ما جلدتموني ؟ قالوا : إنك صليت صلاة واحدة بغير طهور ، و مررت على مظلوم فلم تنصره » .

نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة





الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة السلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فمهما ظلم الظالمون أوتجبر المتجبرون فهناك أمر جعله الله للمظلومين يقيهم به من ظلم الظلمة أو ينتقم لهم عاجلا أو آجلا ألا وهو الدعاء والتضرع بين يدي الله الذي بيده نواصي العباد ، ظلمة وغيرهم، فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، فإنها تصعد إلى السماء كالسهام، وقد وعد الله المظلوم بالإجابة ولو كان فاجرا أو كافرا فأين المفر من قبضة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبطشه ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم آخـره يفضي إلى الندم
تنام عيناك والمظلـوم منتبه يدعو عليـك وعـين الله لم تنم

فقد روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الله بعث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن فقال له : « ..**وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**» .

فليس هناك شيء يحجب الإجابة عنها فاحذر دعوة المظلوم،فإن الله يستجيب له وينتقم من الظالم ولو بعد حين، فإنها تصعد إلى السماء كالشرارة ، حتى تحمل على السحاب.

فقد روى الحاكم عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ، فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى اللهِ كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ**».

وروى الطبراني عن خزيمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تحمل على الغمام، يقول الله جل جلاله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**» .

فلا تظلمن أحدًا ولو كان فاجرًا ولو كان كافرًا، لا يصيبنَّك دعاؤه فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « دَعْوَةُ الْمُظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ » .

وروى أيضًا عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ** » .

فإن الله سينتقم له ممن ظلمه في الدنيا ثم يحاسبه على عمله يوم القيامة.

فاحذر يا أيها المسلم من عاقبة الظلم ، فلا تأمن مكر الله فإن الله تعالى يقول في كتابه الكريم :﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾شَدِيد [هود:١٠٢] .

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾أي: أن الله يمهله ويؤخره ثم يعاقبه ، فلا تأمن مكر الله ولا تغتر بحلمه عليك فإنه حليم لا يعاجل بالعقوبة، لكنه شديد العقاب إذا أخذ الظالم يأخذه أخذ عزيز مقتدر ، وقد يعاقب الله الظالم في الدنيا والآخرة ولك عبرة بكثير من الظلمة كيف دمرهم الله من الأمم المكذبة لرسله وغيرهم، ممن جاء بعدهم

ولو كان الظالم مسلمًا فإنه يذوق وبال ظلمه .

واعلم أنك إن كنت قادرًا على هذا الضعيف ، فلا تنسى أن الله أقدر عليك منك عليه.

فقد روى مسلم عن أَبِي مَسْعُودٍ الْبدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «**اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، للهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ**»، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله، فَقَالَ: «**أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ**»، أَوْ «**لَمَسَّتْكَ النَّارُ**».

ولا تأمن أن يسلط الله عليك ظالما بسبب ظلمك لغيرك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ** ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٩] .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي:نسلط بعضهم على بعض فنأخذ من الظالم بالظالم.اهـ

وما من يدٍ إلا يد الله فوقها وما من ظالم إلا سيبلى بأظلمِ

هذا في الدنيا، أما في الآخرة فالعذاب والنكال الشديد والعياذ بالله، فقد دخلت امرأة النار لأنها سجنت هرة فلم تطعمها ولم تسقها حتى ماتت كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهذه امرأة دخلت النار في حيوان، في هرة ظلمتها فكيف ببني آدم وقد كرمهم الله وفضلهم على كثير من مخلوقاته؟

وسيأتي أناس يوم القيامة ظلموا أنفسهم في الدنيا يحملون الأثقال على رقابهم من الحيوانات والحديد والعقارات ونحوذلك، فهذا يأتي يحمل شاة وهذا يحمل بقرة وهذا يحمل جملا وهذا يحمل نفسا وهذا يحمل مركبا وهذا يحمل ترابًا وأحجارًا وهذا يحمل أموالًا وغير ذلك، يفضحون بها أمام الخلائق، فيصيح يا محمد أغثني فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا أملك لك شيئًا .

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ يَوْمٍ فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ ثُمَّ **قَالَ** : « لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِىءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ يَقُولُ يَا رَسُولَ الله أَغِثْنِى. فَأَقُولُ لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِىءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ فَيَقُولُ يَا رَسُولَ الله أَغِثْنِى. فَأَقُولُ لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِىءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ يَقُولُ يَا رَسُولَ الله أَغِثْنِى. فَأَقُولُ لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِىءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ فَيَقُولُ يَا رَسُولَ الله أَغِثْنِى. فَأَقُولُ لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِىءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ فَيَقُولُ يَا رَسُولَ الله أَغِثْنِى. فَأَقُولُ لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِىءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ فَيَقُولُ يَا رَسُولَ الله أَغِثْنِى فَأَقُولُ لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ ».

والرقاع : هو ما عليه من الحقوق مكتوبة فى رقاع، وقيل:هو الثياب التى غلها، والصامت : هوالذهب والفضة خلاف الناطق الذي هو الحيوان.

فهؤلاء أخذوا غلولًا من الأموال العامة من بيت مال المسلمين ، فكيف بالذي يأخذ من الأموال الخاصة أموال المساكين والضعفاء فكيف سيكون حالهم؟ ، وكيف حال الذي يأتي يوم القيامة يحمل سيارة أو عمارة أو يحمل الحديد والأحجار والأشجار والآبار والعقارات وغيرها نسأل الله السلامة والعافية .

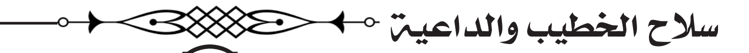
فالظلم في الدنيا ظلمات يوم القيامة.

اللهم عافنا من الظلم ، ظلم النفس وظلم الغير واغفر لنا وارحمنا ، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

اللهم عليك بالظلمة، والفجرة ، والكفرة ، اللهم إنا نستغيث بك ممن ظلمنا.

اللهم أرنا فيه عجائب قدرتك ، اللهم أصلح ولاة أمورنا وارزقهم البطانة الصالحة ، اللهم اغفرلنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين.





٢١
التحذير من فتنة الدنيا والترغيب في الزهد فيها

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس:

يقول الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ﴾[الملك : ١ – ٣] .

أخبر الله في هذه الآية أنه خلق الدنيا للابتلاء والاختبار والامتحان:« ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴾ لينظر الصالح من الفاسد والمصلح من المفسد، فيجازي كلًا بعمله، ثم ذكر شيئًا بعد هذا محتما لا بد من وقوعه وهو الموت فقال: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ وفي هذا إشارة إلى الزهد في الدنيا، وعدم الاغترار بزينتها وبهرجها، فإن الموت آتٍ لا محالة، فيهدم اللذات ويفرق الجماعات وينغص الحياة ويقمع الشهوات، فالسعيد من جعل هذه الحياة الدنيا لما بعد الموت، والشقي من اشتغل بالدنيا عن الموت ، فنسيه وألهاه طول الأمل، وترك العمل، فوقع في الزلل ، وأغضب المولى عَزَّوَجَلَّ ، فلا تغتر يا عبد الله بالدنيا فهي متاع الغرور ، قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر:٥] .

فانظر كيف قرنها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالشيطان فقال: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ أي الشيطان.

قال المفسر ابن كثير والبغوي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ : الغَرور هو الشيطان.اهـ

فاجعل الدنيا مقرا إلى دار القرار واجعلها سفرًا إلى دار الإقامة ، واجعلها مزرعة إلى دار الحصاد ، واجعلها دار عمل إلى دار الجزاء، واجعلها في يدك ولا تجعلها في قلبك ، واجعلها خلفك ولا تجعلها نصب عينيك ، خذ منها ما يكفيك واترك ما يلهيك ويطغيك ، واستعن بها على طاعة ربك ولا تستعن بها على معصيته ، قال الله: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ

أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص:٧٧] .

يـــا مـــن يـدنـيـاه انـشـغـل   وغـــره طـــول الأمـــــل

المـــوت يـــأتي بـغـتـــة   والـقــبر صـنــدوق الـعـمـل

ثبت في صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**» .

وروى الإمام أحمد عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا قَلَّ وَكَفَى ؛ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى**».

وكان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا** » ، وهو في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أي كفافا وهو: ما يكفيهم ويسد رمقهم بلا زيادة ولا نقصان لأنه عرف حقيقة الدنيا وحقارتها فكان طعامهم الأسودين ، وهما:التمر والماء ، وكان يمر الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار، وكان ينام على الحصير فيؤثر في جنبه فيقول له أصحابه رضوان الله عنهم لو اتخذنا لك وطاءً فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا لي وللدنيا ، إِنَّمَا أَنَا في الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**» رواه الترمذي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فانظر بماذا مثلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالظل الذي سرعان ما يذهب ، وشبهها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالزهرة التي تسحر الناس بمنظرها وعبيق رائحتها، لكنها سرعان ما تذبل ثم تيبس ثم تسقط ، وهكذا الدنيا ، تفتن الناس بجمالها ورونقها ، ويغتر الناس بها ثم يتركونها ويرحلون عنها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾[طه : ١٣١] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ [الكهف : ٧ – ٨] .

ولهذا جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ» .

وعند الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا بُورِكَ لَهُ فِيهَا، وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِي مَالِ اللهِ وَمَالِ رَسُولِهِ لَهُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

ومعنى من أخذها بحقها أي جعلها وسيلة للآخرة وتزود منها، والمتخوض فيها هوالذي يسخرها في المعاصي والشهوات المحرمة .

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي انتفع بما يأخذه في الدنيا بالتنمية وبالآخرة بأجر النفقة.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها :«حلوة خضرة » ، قال بعض أهل العلم لسرعة فنائها كالشيء الأخضر فإنه لا يدوم ولكنه يصفر ثم ييبس ثم يتحطم.

وسميت دنيا لأنها أدنى من الآخرة أو لدناءتها .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: سميت الدنيا لدنوها من الآخرة، وقيل: لدناءتها وسميت الآخرة لتأخرها وكونها بعد.اهـ

وقال المفسر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ : سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق. اهـ

ولحقارتها ، مثلها النبي ﷺ بأخبث الأشياء، فمثلها بميتة جيفة ، ومثلها بما يخرج من بطن ابن آدم، وبين أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة ، وأنها لا تساوي مثقال حبة من خردل.

ومع هذا تجد من يضيع دينه وعبادته وصلاته من أجلها وتراه يوالي ويعادي من أجلها وتجده ينهب ويظلم من أجلها وتجده يقتل النفس المحرمة من أجلها إلا من رحم الله وعصمه من فتنتها .

وغالب الخلافات والشقاقات والنزاعات من أجل الدنيا فهي إذن فتنة ومحنة وبلوى، فاحذرها فقد روى الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ**».

وجاء في صحيح مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَم؟**» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟، قَالَ: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**» قَالُوا: وَالله لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «**فَوَالله لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**» .

فالنبي ﷺ ضرب لهم أروع الأمثلة على حقَارة الدنيا فعرض عليهم بيع ذلك الجدي معيوب الأذنين وهو ميت وهم حوله وبجانبه، فاستقر في أذهانهم أن الدنيا هينة عند الله؛ كحقَارة هذا الجدي عندهم.

وبين لهم أنها لو كان لها أهمية لما أعطاها الله إلا للمؤمنين ولم يعطها للكافرين.

فقد روى الطبراني عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال:

«لو كانت الدنيا تعدل عند الله مثقال حبة خردل لم يعطها إلا لأوليائه وأحبائه من خلقه».

وروى ابن ماجهْ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**».

تصور لو قُسِّم الجناح بين أهل الدنيا،فكم سيكون نصيب كل واحد منهم؟.

فهذا مثل لغاية القلة والحقَارة ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وبين رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ أنها ملعونة فقال: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا ، إِلاَّ ذِكْرَ الله ، وَمَا وَالاهُ ، أَوْ عَالِمًا ، أَوْ مُتَعَلِّمًا**». رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولن يشبع أحد من الدنيا ولن يقنع حتى يمتلئ جوفه وفمه ترابا في قبره .

فقد روى البزار عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا».

وروى الإمام البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**» ،

فمن رزقه الله القناعة فقد أغناه ، لما روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**» أي ليس الغني الذي كثرت أمواله ولم يقنع وإنما الغنى غنى النفس الذي يقنع بما آتاه الله كما في الحديث المتقدم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**» رواه مسلم

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالحرص على الدنيا مذموم ،يحتاج إلى توبة أشار إليه المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: « ويتوب الله على من تاب». أي يتوب من الحرص المذموم .

ومن الأمثلة البليغة التي ضربها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حقَارة الدنيا ما رواه ابن حبان عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (**إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ ضُرِبَ لِلدُّنْيَا مَثَلًا بِمَا خَرَجَ مِنِ ابْنِ آدَمَ وَإِنْ قزَّحه وَمَلَّحَهُ فَانْظُرْ مَا يَصِيرُ إليه**).

قال بعض أهل العلم : يستفاد من هذا الحديث أنه كلما اجتهد الإنسان في تحسين الطعام وتقزيحه وتمليحه زادت جيفته ونتنه في بطنه وهكذا كلما ازداد الإنسان انهماكا في الدنيا وحرصا عليها كان ضررها عليه أكثر.

فكثرة المال تشديد عند الحساب وقلة المال خير عند الحساب.

فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى** » .

فقدم الآخرة على الدنيا ياعبد الله فإنه لا يجتمع حب الدنيا والآخرة معا في قلب مؤمن ، فمن أراد الآخرة فلا بد أن يزهد في الدنيا ، فالآخرة خير وأبقى قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾** ﴾ [الضُّحى:٤].

وليس المراد ترك الدنيا مطلقًا وترك الأسباب المشروعة، وإنما المراد هو التحذير من الدنيا التي تلهي عن الطاعات والواجبات وتشغل عن الآخرة.

فمن جعل الدنيا كل همه وغاية مطلبه فرق الله شمله وجعل فقره بين

عينيه، ومن جعل الآخرة همه أغناه الله من فضله وبارك في ماله وجمع له أمره.

فقد روى ابن ماجهْ عن زَيْد بْن ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»

وروى ابن ماجهْ عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ»

فليكن همك يا عبد الله هو أول يوم تنزل فيه القبر ويوم تقف بين يدي الله، كيف سيكون حالك؟ وإلى أين مآلك؟ وأما الدنيا ستأخذ منها ما كتب لك، فلا تتعب نفسك بالكد وراءها ولا تهلك نفسك فيها، فإن الإقبال عليها هلكة كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

وسبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذي عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةَ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللهُ الْإِسْلاَمَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ أَعَزَّ الإِسْلاَمَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا، فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلاَحِهَا، وَتَرْكَنَا الغَزْوَ فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ، شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ.

فيا سبحان الله سمى الله ذلك تهلكة، وحذرهم منها، وهم لم يتركوا الواجبات ولا الصلوات وإنما أرادوا إصلاح تلك الأموال، فيما أباح الله لهم فلم يقيموا على مكاسب محرمة ولم تلههم أموالهم عن ذكر الله فكيف بمن ألهتهم أموالهم وتجاراتهم عن ذكر الله وعن الصلاة؟ وكيف بمن يتكسب الأموال من طرق محرمة ؟كيف سيكون حالهم أمام الله؟ وقد سمى الله الرجوع إلى الأموال لإصلاحها تهلكة!.

فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يخف علينا من الفقر وإنما خاف علينا من الدنيا أن تبسط علينا فتهلكنا وتبعدنا عن ديننا، فقد روى البخاري ومسلم عن عمرو بن عوف الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « ..**فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**» .

قال الحافظ بن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذِهِ الْخَشْيَةُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُهَا عِلْمَهُ أَنَّ الدُّنْيَا سَتُفْتَحُ عَلَيْهِمْ وَيَحْصُلُ لَهُمُ الْغِنَى بِالْمَالِ، قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ : لما أوتي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأموال كسرى قال: ما فتح الله هذا على قوم إلا سفكوا دماءهم وقطعوا أرحامهم وقال اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا، اللهم إنك منعت هذا رسولك إكراما منك له ، ومنحته علي لتبتليني به ، اللهم سلطني على هلكته في الحق واعصمني من فتنته.

وقال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»: فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها ، فلا يطمئن إلى زخرفها ، ولا ينافس غيره فيها ، ويستدل بهذا الحديث على أن الفقر أفضل من الغنى ، لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى ، والغنى مظنة الوقوع في الفتنة ، التي قد تجر إلى هلاك النفس غالبًا ، والفقير آمن من ذلك. اهـ



الخطبة الثانية:

الحمدلله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى ، ونحمده عدد قطر المطر ، وأوراق الشجر ، وعدد الرمل والحجر ، إنه حميد مجيد مقتدر.

أما بعد:

فإنه لا مقارنة ببين متاع الدنيا الفاني ونعيم الآخرة الباقي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل:٩٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ [القيامة:٢٠-٢١].

فإن الدنيا لا تساوي شيئًا مما في الآخرة ، فقد روى الإمام مسلم عن المستورد ابن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**مَا مَثَلُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ**».

جعل قدر الدنيا ما تحمله الأصبع من ماء البحر، وهو قطرة أو أقل منها ، وجعل قدر الآخرة كماء البحرفأين الثرى من الثريا؟ .

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**لَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».

وذلك أن موضع السوط في الجنة باقي ، ونعيمه هنيء غير مكدر ، بخلاف الدنيا فإنها زائلة وعيشها منغص ، فكان موضع سوط في الجنة خير من الدنيا

وما عليها.

ومن الأدلة على حقَارة الدنيا وأنها لا تساوي بجانب الآخرة شيئًا ، أن أقل رجل من أهل الجنة يعطى مثل الدنيا عشر مرات وهذا بعد خروجه من النار فكيف بأعلاهم منزلة وكيف بالجنة فلا مقارنة بين حطام الدنيا ونعيم الجنة ، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا- فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي وَأَنْتَ المَلِكُ** » فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

وفي صحيح مسلم عن المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول لأدنى أهل الجنة منزلة : «أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَب ... الحديث

فأهل الدنيا مساكين،مساكين الذين اغتروا بها وآثروها على نعيم الجنة، مسكين الذي لا يعلم أن الدنيا لهو ولعب وزينة مآلها إلى الفناء، مسكين من ضيع عمل الآخرة واجتهد في عمل الدنيا.مسكين الذي سيؤثر الأولى على الأخرى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ

فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحديد:٢٠] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله. اهـ

ولك أن تنظر إلى خير الخلق وخير القرون، كيف كانت حالتهم مع الدنيا ، فيكون لك بهم أسوة.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكــــرام فلاح

ففي صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال:« خرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير».

وفيه أن عمرو بن الحارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: **«مَا تَرَكَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلاَ دِينَارًا وَلاَ عَبْدًا وَلاَ أَمَةً وَلاَ شَيْئًا، إِلَّا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ، وَسِلاَحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا لابن السبيل صَدَقَةً»** .

وفي سُنن ابن ماجهْ عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ :«أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ نام على حصير فأثّر على جنبه».

وفي صحيح البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «**تُوُفِّيَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، بِثَلاَثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ**» .

وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ؟ «**لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ، مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ**» والدقل هو التمر الرديء.

فقارن بين حالتك وحالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو خير منك ، واذكر نعم الله عليك ولا تحتقرها وهكذا كان أصحابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلقد كان أصحاب الصفة يخرون مغشيا عليهم من الفاقة وليس لهم مأوى إلا مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مغشيًا علي من الجوع فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي يرى أن بي الجنون وما هو إلا الجوع» رواه البخاري.

فالدنيا قد فتنت كثيرًا من الناس ويخشى على الصالحين منها بل قد فتنت علماء وطلاب علم فانحرفوا والتحقوا بالجمعيات المخالفة للشرع وسخروا علمهم للدنيا .

فإن أضر شيء على طالب العلم وعلى العالم انفتاح الدنيا عليه، وتطلعه إلى الجاه والمنصب، وما بلغ أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذروة الحفاظ وروى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من خمسة آلاف حديث إلا لما زهد في الدنيا ولازم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ملء بطنه ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الحَدِيثَ عَلَى رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَاللهُ المَوْعِدُ إِنِّي كُنْتُ رجلًا مِسْكِينًا، أَلْزَمُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَكَانَتِ الأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ القِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَشَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَالَ: «**مَنْ يَبْسُطْ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي، ثُمَّ يَقْبِضْهُ، فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي**» ، فَبَسَطْتُ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيَّ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ.

فالخلود إلى الدنيا والركون إليها سبب للانحراف قال الله تعالى عن عالم من علماء بني إسرائيل انحرف وانسلخ عن الدين بسبب الدنيا: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو رجل من بني إسرائيل علَّمه الله كتابه فصار العالم الكبير والحبر النحرير، انحرف وانسلخ وتسلط عليه الشيطان، فصار من أهل المعاصي و﴿ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، مال إليها واغتر بها ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾ أي: من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه أياها لكن وكله الله إلى نفسه بسبب ذلك ، فصار يتبع الدنيا ويحرص عليها أكثر كما يلهث الكلب» اهـ

فلا يأمن الصالحون على أنفسهم من الدنيا فإن أول بدعة في الإسلام بدعة المال وهي بدعة ذي الخويصرة التميمي الخارجي الذي قال لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اعدل يا محمد فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله .والقصة في الصحيحين.

فالحرص على الدنيا يفسد على العبد دينه كما يفسد الذئبان الجائعان في زريبة غنم.

فقد روى الترمذي عن كعب بن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**».

فالدنيا فتنة ، و بلاء واختبار وشغل عن الآخرة يقع الإنسان بسببها في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام ذكره البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فقد يصرف الله عنك الدنيا حبا لك وحفاظا عليك ودفاعا عنك لئلا تطغى أو تهلك أو تفسد :﴿ **وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ** ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

روى الإمام الحاكم عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ يحمي عبده المؤمن الدنيا ، وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب**» .

فإذا علم الله أن المال أو الجاه يفسد عبده صرفه عنه لحكمة بالغة رحمة به ليبقى مؤمنا معلقا بالله متوكلا عليه فيثيبه في الآخرة ويجزيه أحسن الجزاء.

قَالَ تَعَالَىٰ :﴿ ۞ **وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ** ﴾ [الشورى:٢٧] .

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همِّنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا غاية مطلبنا ، اللهم آتنا في الدنيا حسَنَة ، وفي الآخرة حسَنَة ، وقنا عذاب النار .





الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله:

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴾ [ق:١٦-١٧] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: مَا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ ﴿ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ أَيْ: إِلَّا وَلَهَا مَنْ يُرَاقِبُهَا مُعْتَدٍ لِذَلِكَ يَكْتُبُهَا، لَا يَتْرُكُ كَلِمَةً وَلَا حَرَكَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانْفِطَارِ: ١٠ -١٢] .

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ يَكْتُبُ الْمَلَكُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ؟ وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وقَتَادَةَ، أَوْ إِنَّمَا يَكْتُبُ مَا فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ كَمَا هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَلَى قَوْلَيْنِ، وَظَاهِرُ الْآيَةِ الْأَوَّلُ، لِعُمُومِ قَوْلِهِ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق:١٨] . اهـ

أي: أن كل كلمة مسجلة على ابن آدم حتى الكلام المباح لأن في الآية عمومًا وهو النكرة في سياق النفي ويدخل في ذلك المازح والهازل والجاد، فإنه محاسب على كل كلمة يقولها.

فيجب على الإنسان أن يحفظ لسانه إلا من خير فهذا هو كمال الإيمان، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**» وفي رواية: «أو ليسكت».

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعذب باللسان أو يرحم فإنه لما دخل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع نفر من أصحابه يعود سعد بن عبادة بكى وبكوا فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه- أو يرحم**» .

يعني يعذب الله بتسخط اللسان والنياحة وقبيح الكلام ونحو ذلك واللفظ عام فإن اللسان قد يكون سببًا لرحمة الله على صاحبه وقد يكون سببًا لعذاب

الله على صاحبه ولهذا فإن جميع الأعضاء تذل للسان وتخضع له وتخوفه بالله لأن هلاك الأعضاء بهلاك اللسان واستقامة الأعضاء باستقامة اللسان

فقد روى الترمذي عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا».

فإن العصمة كل العصمة تكون باللسان والانزلاق يكون باللسان لأن اللسان يمثل ثلث الأعمال وذلك أن الأعمال تصدر من ثلاثة أشياء من العبد، من القلب واللسان والجوارح، أي الأعمال القلبية والقولية والبدنية، فاللسان يمثل العبادات والأعمال القولية ويترجم للقلب .

ولهذا جاء عند الطبراني عن الحارث بن هشام ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أنه قال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرني بأمر أعتصم به فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أملك هذا وأشار إلى لسانه».

فاللسان فيه قوام الدين وملاك الأمر كله فقد روى الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: « **لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللهَ وَلاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ قَالَ: ثُمَّ تَلاَ** ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ ، ثُمَّ قَالَ: « **أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ**

الجِهَادُ»، **ثُمَّ قَالَ**: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبيَّ الله، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: « **كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**».

فالشاهد من الحديث قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله» أي ما تملك به كل هذه الأعمال، قال:« كف عليك لسانك» أي احفظ لسانك فهو سبب نجاتك أو هلاكك.

وروى الطبراني رَحِمَهُٱللَّهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا نَجَاةُ الْمُؤْمِنِ؟ فَقَالَ: «**احْفَظْ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِئَكَ**»

فالمؤمن يكمل إيمانه بحفظ لسانه كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» ويضعف إيمانه بثرثرة لسانه وفحشه وكذبه ولعنه وطعنه في الناس فقد روى الترمذي عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:« **لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الفَاحِشِ وَلاَ البَذِيءِ**». أي: أنه ضعيف إيمان فنفى عنه كمال الإيمان .

والفاحش قال المناوي رَحِمَهُٱللَّهُ: قال القرطبي رَحِمَهُٱللَّهُ: هو الذي يتكلم بما يكره سماعه مما يتعلق بالدين أو الذي يرسل لسانه بما لا ينبغي وهو الجفاء في الأقوال والأفعال. اهـ

وقد جاء عند الترمذي عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إن الله يبغض الفاحش المتفحش**». والفحش هو قبيح الكلام والبذيء قال المناوي : هو الفاحش في منطقه وإن كان الكلام صدقًا.

وقال: اعلم أن الذي أعيا الأطباء هو اللسان البذيء والفعل الرديء.اهـ

فمن أخطاء اللسان الذي تهوي به في نار جهنم الألفاظ الشركية كالحلف بغير الله ودعاء غير الله والاستسقاء بالنجوم والتشاؤم والطيرة ونحو ذلك فقد روى البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ» وسواء كان ذلك دعاء عبادة أو دعاء مسألة فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وروى الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ».

ومن أخطاء اللسان أن يخوض العبد فيما لا يعلم فيقول على الله بغير علم فيفتي الناس بغير علم أو يحلل أو يحرم بهواه أو يشهد لذا وذاك بالرحمة والمغفرة ولهذا بالشهادة في سبيل الله أو يحجر على غيره رحمة الله أو يشهد لأحد بجنة أو نار، كل هذا قول على الله بغير علم وقد حرم الله القول عليه بغير علم وقرنه بالشرك والإثم والبغي والفحشاء فقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴿٣٣﴾ ﴾[الأعراف:٣٣].

وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا** ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي لا تتبع ما ليس لك به علم فإنك مسوؤل عما تقوله وتفعله فأعد للسؤال جوابًا . اهـ

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ** ﴿١١٦﴾ ﴾[النحل:١١٦].

فأخبر ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن التحليل والتحريم كذب وافتراء عليه ورتب عليه عدم الفلاح في الدنيا والآخرة.

ومن القول على الله بغير علم الحكم بالشهادة لكل من قتل أو مات، على أي حال كان، فقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال حدثني عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا - أَوْ عَبَاءَةٍ -**».

فانظر يا عبد الله، هؤلاء صحابة شهدوا لرجل بالشهادة فلم يقرهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف بغيرهم؟.

فلا تشهد لأحد بشهادة ولا بجنة ولا بنار لأنك لا تعلم سريرته وبماذا يختم له ولا تعلم ما في قلبه من الإخلاص والرياء فلا تشهد لأحد برحمة ولا بشهادة في جنة أو نار إلا لمن شهد الله له ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذه أمور توقيفية ومتوقفة على الدليل لأنها غيبية لا يعلمها إلا الله .

وهكذا لا تمنع أحدًا مغفرة الله ولا تحجر عن أحد رحمة الله فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ جُنْدَب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حَدَّثَ « **أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَالله لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ** » ومعنى: يتألى: أي يحلف.

ولا تقل فلان لن يهديه الله أو فلان المرحوم ، أو فلان لن يغفر الله له لكثرة ذنوبه، أو لا يستحق كذا.

أمسك لسانك فقد يهديه الله ويضلك، أو يرحمهُ ويعذبك، أو يوفقه الله ويخذلك، فإياك إياك أن تعجب بنفسك أو بعملك، فالأمور كلها بيد الله والقلوب بيد الله ، والله أعلم بأهل البر والإخلاص من الناس.

فقد روى أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «**كانَ رَجُلان في بني إسرائيلَ مُتواخيَين، فكان أحدُهما يُذنبُ والآخرُ مجتهدٌ في العبادة، فكان لا يزالُ المجتهدُ يرى الآخرَ على الذنب، فيقول: أقصِرْ، فوَجَدَه يومًا على ذنبٍ، فقال له: أَقصِرْ، فقال: خلِّني وربِّي، أَبُعِثتَ عليَّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يَغفِرُ اللهُ لكَ -أو لا يُدْخِلُكَ اللهُ الجنةَ- فقَبَضَ أرواحَهُما، فاجتمعَا عند ربِّ العالمين، فقال لهذا المجتهد: (أكُنتَ بي عالمًا؟ أو كنتَ على ما في يدي قادِرًا؟)وقال للمُذنِب: (اذهَبْ فادخُلِ الجنةَ برحمتي)، وقال للآخر: (اذهبُوا به إلى النار)** . قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : والذي نفسِي بيدِه لتكلَّمَ بكلمةٍ أوبَقَت دُنياه وآخِرَتَه.

ومن آفات اللسان الكذب فإياك والكذب فإنه طريق إلى جهنم والعياذ بالله فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا**» .

قال بعض أهل العلم : الصدق يهدي إلى البر، والبر: اسم جامع لكل خير أي العمل الخالص من كل ذم فيصير صاحبه في زمرة الصديقين لأن الصدق صار صفة لا زمة له .

والكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور اسم جامع لكل شر، أي الميل إلى الفساد والانطلاق إلى المعاصي فيصير الكذب صفة لا زمة له. اهـ

والكذب من صفات المنافقين فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ** » وزاد مسلم: وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم.

أي فإن فيه صفة من صفات المنافقين وإن كان مسلمًا .

ومن آفات اللسان اللعن فإياك واللعن فإن اللعن ، هوالطرد من رحمة الله، ولعن المؤمن كقتله وقد ترجع اللعنة إلى صاحبها إذا لم يستحق الآخر اللعنة فقد روى البخاري عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلاَمِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ**» أي قال له يا كافر فكأنما قتله وأصل الحديث في صحيح مسلم.

قال النووي: فالظاهر أن القتل واللعن سواء في أصل التحريم وإن كان القتل أغلظ فمعنى لعن المؤمن كقتله في الإثم. اهـ

وقال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: اللعن في اللغة الإبعاد من الرحمة ، والقتل إبعاد المؤمن من الحياة. اهـ

فمن قبح اللعن أن السماء لا تفتح لها وتغلق أبواب الأرض دونها ثم ترجع إلى الملعون، فإن كان يستحقها وإلا رجعت إلى اللاعن فقد روى أبو داود عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إنَّ العَبدَ إذا لَعَنَ شيئًا صَعِدَتِ اللَّعنَةُ إلى السَّماء، فتُغلَقُ أبوابُ السماء دونَها، ثمّ تَهبِطُ إلى

الأرض، فتُغلَقُ أبوابُها دونَها، ثم تأخذ يمينًا وشمالًا، فإذا لم تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَت إلى الذي لُعِنَ، فإن كان لذلك أهلًا، وإلا رَجعت إلى قَائلها»

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن كان لذلك) أي اللعنة (أهلا) رجعت إليه فصار مطرودا مبعودا فإن لم يكن أهلا لها (رجعت) بإذن ربها (إلى قائلها) لأن اللعن طرد عن رحمة الله فمن طرد ما هو أهل لرحمته عن رحمته فهو بالطرد والإبعاد عنها أحق وأجدر، ومحصول الحديث التحذير من لعن من لا يستوجب اللعنة والوعيد عليه بأن يرجع اللعن إليه ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾. اهـ

واللعن على هذا المعنى لا ينطبق إلا على الكافر الذي مات على كفره والعياذ بالله، فأما المسلم فلا يجوز لعنه إلا من استحق ذلك على سبيل العموم دون تخصيص رجل بعينه، كما لَعَنَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ، كما في صحيح البخاري، ولَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ، كما في صحيح مسلم، ولعن السارق كما في الصحيحين، أما المسلم المعين فلا يجوز لعنه ولو كان عاصيًا، بل حتى الكافر المعين لا ينبغي لعنه على الصحيح، لأنه قد يسلم ويختم له بخير، فإنه لما لعن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أشخاصا معينين أنزل الله قوله: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] ففي صحيح البخاري عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ مِنَ الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ يَقُولُ: «**اللهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا بَعْدَ مَا يَقُولُ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

ويجوز لعن الكفار عمومًا كما لعن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ اليهود والنصارى كما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، أما رجل بعينه فلا يجوز لعنه إلا إذا

مات على كفره يقينا كفرعون وأبي جهل وغيرهما فيجوز.

وما أكثر اللعن عند النساء وما أكثر تساهلن باللعن فاتقي الله يا أمة الله واتقين الله يا نساءَ المسلمات فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ الله أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرِ**». الحديث .

فمن أسباب دخول كثير من النساء جهنم كثرة اللعن وكفران العشير وهو إنكار عشرة الزوج وإحسانه إليها لو أحسن إليها الدهر تقول ما رأيت منك خيرًا قط كما بينه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومن آفات اللسان الغيبة والنميمة والغيبة هي ذكر المسلم أخاه في غيبته بما يكره والنميمة هي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد بينهم وقد نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن الغيبة في كتابه فقال: ﴿ **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ** ﴾[الحُجُرات:١٢] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: فكما تكرهون ذلك طبعا فاكرهوا ذلك شرعا. اهـ

وقال المفسر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره غائبا بالسوء .

قال الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: تأويله إن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحم أخيك وهو ميت لا يحس بذلك. اهـ

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: شبه أكل لحمه ميتًا، المكروه للنفوس غاية الكراهة ، باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، وخصوصًا إذا كان ميتًا، فاقد الروح، فكذلك، فلتكرهوا غيبته، وأكل لحمه حيًا. اهـ

فالمغتاب حكمه حكم الميت لأنه غائب لا يستطيع أن يدافع عن نفسه، ولأن النيل فيه يضره وينفر الناس عنه ، وفي الغيبة ضرر لأنها تفكك المجتمع وتفكك روابط الأخوة، وأضرارها كثيرة وكل محرم ما حرمه الله إلا لضرره وما يترتب عليه من آثار سيئة .

وقد فسر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغيبة في الحديث الذي رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**» ، قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟، قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**».

والبهتان هو الباطل وهو أشد لأنه اجتمع فيه الغيبة والكذب عليه وفي هذا الحديث رد على الذي يقول أنا ما سأتكلم إلا بما فيه من الصفات فنقول له هذه هي الغيبة التي حذر منها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجاء فيها الوعيد الشديد .

فقد روى أبو داود عن أنسِ بنِ مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لما عُرج بي مررتُ بقوم لهم أظفارٌ من نُحاسٍ يخمُشونَ بها وجُوهَهُم وصدُورَهُم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريلُ؟، قال: هؤلاء الذين يأكلُون لحومَ الناس، ويقعونَ في أعراضِهِم**» .

وحذر الشرع من النميمة لما يترتب عليها من الإفساد بين الناس فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ [القلم:١٠].

والنميمة من أسباب عذاب العبد في قبره، وحرمانه دخول الجنة دخولا أوليا إن كان مسلمًا إلا أن يشاء الله .

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ حُذيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنِمُّ

الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ**» بمعنى أنه يتأخر عن دخول الجنة فلا يدخل مع أول الداخلين الفائزين، لكنه سيدخلها بعد ذلك إن كان من الموحدين، ولم يستحل النميمة، وهو تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

والنمام يعذب في قبره فقد روى البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قال: مَرَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» ثُمَّ قَالَ: «**بَلَى أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**».

قال بعض أهل العلم في قوله وما يعذبان في كبير أي ما كانا يظنان أن هذا الفعل كبير ولم يكن هذا الفعل يشق عليهما الاحتراز منه ولكنه كبير يترتب عليه إثم عظيم وعقوبة عظيمة.

نسأل الله العافية والسلامة في الدنيا والآخرة.





الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على المصطفى محمد وآله وصحبه ومن بآثاره اقتفى.

أما بعد:

فمما تقدم يتبين أن أخطار اللسان جسيمة وعواقبه وخيمة فقد يكون اللسان سببًا لشقاوة صاحبه في الدنيا والآخرة ورب كلمة قد يتكلم بها العبد يرى بها حتفه وهلاكه.

فقد جاء في سنن الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الجَنَّةَ؟ قَالَ: «التَّقْوَى وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟ قَالَ: «الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ، وَالْفَرْجُ»

ولهذا ضمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة لمن حفظ لسانه وفرجه ، فقد روى البخاري عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**» .

فاحفظ لسانك إلا من خير فرب كلمة تخرج من لسان صاحبها ترفعه في الجنة درجات ، ورب كلمة تنزل صاحبها في جهنم دركات والعياذ بالله .

فعند البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ**» .

وفي رواية عند الترمذي عن بلال بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ. وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» .

وفي رواية عند الترمذي عن بلال بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِهَا سُخْطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ**» ، وفي رواية: «**يهوي بها سبعين خريفًا في النار**» أي سبعين سَنَة .

وهذا يدل على خطر اللسان، ويدل على بُعد قعر جهنم إذ أنه يهوي فيها سبعين سَنة حتى يصل قعرها.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا**» .

فزنْ كلامك يا عبد الله لا تتكلم بالكلمة حتى تجعل لها ميزانًا أهي خير أم شر ؟ففكر في عواقبها وماذا يترتب عليها قبل أن تتكلم بها.

ففي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أنه سَمِعَ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ**» .

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الصمت سيد الأخلاق) لأنه يعين على الرياضة وهي من أهم الأركان في حكم المنازلة وتهذيب الأخلاق والسلامة من عذاب الخلاق قال الغزالي : فعليك بملازمة الصمت إلا بقدر الضرورة ، وقد كان الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يضع حجرًا في فيه ليمنعه ذلك من الكلام بغير الضرورة

ويشير إلى لسانه ويقول هذا أوردني الموارد ، فاحترز منه فإنه أقوى أسباب هلاكك في الدنيا والآخرة (ومن مزح استخف به) أي هان على الناس ونظروا إليه بعين الاحتقار والهوان ، فاحفظ لسانك منه فإنه يسقط المهابة ويريق ماء الوجه ويستجر الوحشة ويؤذي القلوب ويورث الحقد فلا تمازح أحدًا ، وإن مازحك غيرك فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وكن من الذين إذا مروا باللغو مروا كراما ، ومن كلام النبي سليمان ووصايا لقمان إن كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب»اهـ.

وروى الطبراني عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ ارْتَقَى الصَّفَا فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: يَا لِسَانُ، قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: «**أَكْثَرُ خَطَايَا ابنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ**».

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «**وَالله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ شَيْءٌ أَحْوَجُ إِلَى طُولِ سِجْنٍ مِنْ اللِسَانِ**».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَهُونُ عَلَيْهِ التَّحَفُّظُ وَالِاحْتِرَازُ مِنْ أَكْلِ الْحَرَام وَالظُّلْم وَالزِّنَى وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَمِنَ النَّظَرِ الْمُحَرَّم وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَصْعُبُ عَلَيْهِ التَّحَفُّظُ مِنْ حَرَكَةِ لِسَانِهِ، حَتَّى تَرَى الرَّجُلَ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالدِّينِ وَالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ سَخَطِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَنْزِلُ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَكَمْ تَرَى مِنْ رَجُلٍ مُتَوَرِّعٍ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ، وَلِسَانُهُ يَفْرِي فِي أَعْرَاضِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، وَلَا يُبَالِي مَا يَقُولُ..

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كُلُّ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الله وَمَا وَالَاهُ..

وَالْكَلَامُ أَسِيرُكَ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ فِيكَ صِرْتَ أَنْتَ أَسِيرَهُ، وَاللهُ عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[ق : ١٨] ،وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَجِدُ لِسَانَهُ قَدْ هَدَمَهَا عَلَيْهِ كُلَّهَا، وَيَأْتِي بِسَيِّئَاتٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَجِدُ لِسَانَهُ قَدْ هَدَمَهَا مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ وَمَا اتَّصَلَ بِهِ. اهـ

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من لديغ لسانه ... كان تهاب لقاءه الأقران

أي: الشجعان .

اللهم احفظ ألسنتنا إلا من خير ، اللهم احفظها من الكذب واللعن وقول الحرام ، اللهم إنا نسألك السداد في القول والعمل ، اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إنا نسألك ألسِنَة ذاكرة ، وقلوبًا خاشعة ، وأعمالا خالصة مقبولة.

والحمد لله رب العالمين.





٢٣
حُسن الخلق

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للَّه،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللْ فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أجارنا الله وإياكم من البدع والمحدثات ومن النار.

أيها الناس: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [الأنعام:١٣٤].

فقد روى الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «**التَّقْوَى وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»، وَسُئِلَ: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟ قَالَ: «**الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ، وَالْفَرْجُ**» .

ففي هذا الحديث سببان في دخول النار وسببان في دخول الجنة فالسببان في دخول النار هما الفم والفرج، والسببان في دخول الجنة هما التقوى وحُسن الخُلق .

وحديثنا اليوم عن سبب من أسباب دخول الجنة ألا وهو حُسن الخلق .

وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرن بين تقوى الله وحُسن الخُلق لشرفهما فتقوى الله حق للخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وحُسن الخُلق حق للمخلوق ، والعبد الصالح هو الذي يقوم بحق الله وحق خلقه ولهذا كان من وصايا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر ومعاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:« اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ. رواه الترمذي

فالأمر بحُسن الخُلق يقتضي وجوبه وكان من أسباب حُب أبي ذر للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واعتناقه الاسلام هو دعوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكارم الأخلاق، فإن أول ما دعى إليه هو توحيد الله ومكارم الأخلاق.

ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لَمَّا بَلَغَهُ مَبْعَثُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الوَادِي فَاعلم علم هذا الرجل ـ يعني محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء فاسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق الآخر حتى قدم مكة وسمع من قوله ثم رجع إلى أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلامًا ما هو بالشعر ... الحديث

وأعظم من اتصف بحُسن الخُلق هو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كان أحسن

الناس خلقًا فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسِبُهُ، قَالَ: كَانَ فَطِيمًا، قَالَ: فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَرَآهُ، قَالَ: «أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ» قَالَ: فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ.

والنغير هو طائر صغير كان يلعب به ذلك الطفل الصغير فانظر إلى خلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الأطفال الصغار، ومع الشيبان الكبار.

ولهذا أقسم الله في كتابه أن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاحب الأخلاق العظيمة والصفات الكريمة فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤ ﴾ [القلم:١-٤].

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدوتنا وأسوتنا فيجب علينا أن نقتدي به وقد دعانا إلى حُسن الخُلق وبُعث ليتمم مكارم الأخلاق.

فقد روى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**». أي الأخلاق الكريمة من الجود والشجاعة والنجدة والكرم والصدق والأمانة ونحو ذلك وكان يتصف بها قبل بعثته وبعدها.

وما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غليظًا ولا فظًّا ولا فاحشًا فقد روى البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: « **لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا**، وكَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا**».

وبين أن أقرب الناس إليه يوم القيامة وأحبهم إليه من اتصف بحُسن الخُلق، وأنه سيكون جليسه يوم القيامة فقد روى الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ».

وفي رواية عند أحمد عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِئُكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرْثَارُونَ، الْمُتَفَيْهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ** » .

والثرثارون هم كما قال المناوي رَحِمَهُٱللَّهُ: الذين يكثرون الكلام تكلفا وتشدقا والثرثرة كثرة الكلام. والمتشدقون أي المتكلمون بكل أشداقهم ويلوون ألسنتهم وهم المتكلفون بالكلام أو هم المستهزؤن بالناس والمتفيهقون أي المتوسعون بالكلام الفاتحون أفواههم للتفصح. اهـ ملخصًا .

وكل هذه الصفات تنافي حُسن الخُلق.

فانظر يا عبد الله كيف يحب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المتواضعين والمتخلقين بالأخلاق الحسَنَة ويقربهم منه يوم القيامة ، بينما المتكبرون والسيئون يبغضهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ويبعدهم منه يوم القيامة، وهو صاحب الشفاعة العظمى وصاحب لواء الحمد وأول من يفتح باب الجنة ويأتيه الخلق كلهم ليشفع لهم في ذلك الموقف العصيب فأصحاب الأخلاق الطيبة هم أقرب الناس إليه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فتحلَ بالأخلاق الحسَنَة والفعال الحميدة وادعُ الله أن يرزقك مكارم الأخلاق فإن نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو صاحب الأخلاق الكريمة والخصال الحميدة ومع هذا كان من دعائه في صلاته: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ**

وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» رواه مسلم عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الشاهد من الحديث أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو ربه أن يهديه أحسن الأخلاق ويصرف عنه سيئها وقد علمتم أنه أحسن الناس خلقًا ولكنه يعلم أمته بهذا الدعاء العظيم.

وأما فضائل حُسن الخُلق فإن له فضائلَ عظيمة ودرجاتٍ رفيعة فقد ثبت عند الترمذي من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ».

قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «لأن حُسن الخُلق لا يحمِّل غيره أثقاله، وهويتحمل أثقال غيره وخلقهم، فهو في الميزان أثقل لما تقرر من أن جهاد النفس على تحمل ثقلها وثقل غيرها أمر مهول لا يثبت له إلا الفحول». اهـ

فحُسن الخُلق يحتاج صاحبه إلى مجاهدة حتى يحقق هذه الصفة الحميدة لأنه سيلاقي أذى فيحتاج إلى صبر وتحمل وكظم الغيض، ولهذا فإن الخلق الحسن يرفع صاحبه درجات يوم القيامة كما روى أبو داود عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: سمعتُ رسولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: **«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدرِكُ بِحُسنِ خُلُقِهِ درجةَ الصائِمِ القائِمِ»** **وعند الحاكم: « قائم الليل وصائم النهار».**

وروى الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لَهَا: « **إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ** » .

وصاحب الخلق الحسن يحبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما روى الطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أسامة بن شريك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءه أناس فقالوا من أحب عباد الله إلى الله تعالى: قال: «أحسنهم خلقًا». وفي رواية لابن حبان قال يا رسول الله فما خير ما أعطي الإنسان؟ قال:« خلق حسن»

وما ذاك إلا لأنه تحبب إلى الناس بحسن خلقه فأحبه الله.

وحُسن الخُلق من أفضل الأعمال فقد روى البخاري في التاريخ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما عمل ابن آدم شيئًا أفضل من الصلاة وصلاح ذات البين، وخُلق حسن**» .

فالمؤمن يحرص على تحسين خلقه وإصلاح نفسه فيما بينه وبين ربه وما بينه وبين الناس يكتمل إيمانه ويرفع الله درجته في الدنيا والآخرة.





الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد تقدم أن عرفنا فضل حُسن الخُلق ومشروعية الأمر به وما يترتب عليه من الأجر والثواب والآن نعلم ما هو حُسن الخُلق وما معناه ونذكر بعض مكارم الأخلاق.

فقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْم فَقَالَ: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**».

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْبِرُّ: يَكُونُ بِمَعْنَى الصِّلَةِ وَبِمَعْنَى اللُّطْفِ وَالْمَبَرَّةِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ وَالْعِشْرَةِ وَبِمَعْنَى الطَّاعَةِ وهذه الأمور هي مجامع حُسن الْخُلُقِ. اهـ

والبر:هو اسم جامع لكل خير ويدخل في ذلك حُسن الخُلق بل هو أشمل وأجمع.

وفسر ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ حُسن الخُلق بقوله: هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى.اهـ كما عند الترمذي.

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حُسن الخُلق هو اختيار الفضائل وترك الرذائل وذلك

لأن حُسن الخُلق يحمل على التنزه عن الذنوب والعيوب، والتحلي بمكارم الأخلاق من الصدق في المقال والتلطف في الأحوال والأفعال وحسن المعاملة مع الرحمن والعشرة مع الإخوان وطلاقة الوجه وصلة الرحم والسخاء والشجاعة وغير ذلك. اهـ

* ومن حُسن الخُلق الكرم والجود والعفو والصفح والبشاشة ولين الجانب والتواضع ورد السلام وطيب الكلام.

جاء عند البزار عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **إنكم لن تَسَعُوا الناس بأموالكم ولكن يسَعُهم منكم بسط الوجه وحُسن الخُلق**».

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي لا تسع أموالكم لعطائهم فوسِّعُوا أخلاقكم لصحبتهم. اهـ

* ومن حُسن الخُلق التبسم في وجه المسلم لما روى الترمذي عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**».

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني إظهارك له البشاشة والبشر إذا لقيته تؤجر عليه كما تؤجر على الصدقة قال بعض العارفين : التبسم والبشر من آثار أنوار القلب.

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [عبس:٨٣-٣٩] .

قال ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والبشاشة مصيدة المودة والبر شيء هين: وجه طليق وكلام لين. اهـ

* ومن حُسن الخُلق طيب الكلام وإفشاء السلام، فقدروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالْكَلِمَةُ

الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ».

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكلام الطيب مندوب إليه وهو من جليل أفعال البر؛ لأن النبى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جعله كالصدقة بالمال، ووجه تشبيهه الكلمة الطيبة بالصدقة بالمال هو أن الصدقة بالمال تحيا بها نفس المتصدق عليه ويفرح بها، والكلمة الطيبة يفرح بها المؤمن ويحسن موقعها من قلبه فاشتبها من هذه الجهة، ألا ترى أنها تذهب الشحناء وتجلى السخيمة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصل: ٤٣]، والدفع بالتى هى أحسن قد يكون بالقول كما يكون بالفعل. اهـ

فطيب الكلام، وإفشاء السلام، والمودة والوئام، وإطعام الطعام من مكارم الأخلاق، ومن أسباب دخول الجنة.

فقد روى مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ؛ وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَىْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؛ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ** ».

وعن أبي شريح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال يا رسول الله أخبرني بشيء يوجب لي الجنة قال: قال رَسُولُ الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **طيب الكلام، وبذل السلام، وإطعام الطعام**» رواه الطبرانَي وابن حبان.

فإن لم تستطع أن تحسن إلى غيرك فكف أذاك عن الناس فإن حُسن الخُلق هو بذل الندى أوكف الأذى، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك » . رواه مسلم عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فإن أفضل المسلمين إيمانًا من سلم المسلمون من لسانه ويده، لما روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئ الأخلاق لا يصرف عنا سيئها إلا أنت .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى، اللهم ارزقنا مكارم الأخلاق، وطيب الكلام ، وحُسن الفعال وطيب الخصال ، والحمد لله رب العالمين.





٢٤
احفظ الله يحفظك

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الإخوة المسلمون :

روى الإمـام الترمذي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَـالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ

يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ».

فهذا الحديث العظيم من جوامع كلم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أصل من أصول الدين إذ أنه شمل الدين كله.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: تضمن هذا الحديث قواعد كلية ووصايا عظيمة حتى قال عبد الرحمن بن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ تدبرت هذا الحديث فأدهشني فوا أسفاه من قلة التفهم لمعناه. اهـ

وحديثنا في هذا اليوم بمشيئة الله تعالى حول الفقرة الأولى منه وهي قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احفظ الله يحفظك».

ومعنى احفظ الله: أي احفظ دينه واحفظ حدوده وأوامره واجتنب نواهيه، احفظ الله في سمعك وبصرك ولسانك وسائر جوارحك، حافظ عليها من المعاصي والمخالفات ، احفظ الله في توحيده، احفظ الله في عبادته ، فإذا كنت كذلك فأبشر بحفظ الله لك فمن حفظ الله حفظه الله إذ أن الجزاء من جنس العمل .

فمن حفظ الله في دينه حفظه الله في دنياه وآخرته ويحفظه الله في عقبه وذريته، ومن حفظ الله في صغره ، حفظه الله في كبره ، ومن حفظ الله في حياته ، حفظه الله في قبره ، وثبته عند سؤال الملكين ، وعند تطاير الصحف ، وعند المرور على الصراط ، حتى يكون مستقره إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

«احفظ الله يحفظك» :

قال الحافظ ابن رجب ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ « احفظِ الله » يعني : احفظ حدودَه ، وحقوقَه ، وأوامرَه ،ونواهيَه ، وحفظُ ذلك : هو الوقوفُ عندَ أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتنابِ ، وعندَ حدوده ، فلا يتجاوزُ ما أمر به ، وأذن فيه إلى ما نهى عنه ، فمن فعل ذلك ، فهو مِنَ الحافظين لحدود الله الذين مدحهمُ الله في كتابه ، فقال– عَزَّوَجَلَّ – : ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق : ٣٢-٣٣] . وفُسر الحفيظ هاهنا بالحافظ لأوامرِ الله ، وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها » اهـ.

* ألا وإن من أعظم ما يجبُ حِفظُه من أوامر الله لهو توحيد الله وهو أن يحافظ العبد على كلمة التوحيد((لا إله إلا الله)) ، فيحفظها مما يخدشها أو ينقضها فإنها الكلمة الباقية والعروة الوثقى التي من أجلها خلق الله المخلوقات وبسط الأرض ورفع السماوات قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات:٥٦] .

والتوحيد هو حق الله على العبيد لما روى البخاري ومسلم عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **«فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: **«لاَ تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا»** .

«احفظ الله يحفظك» :

فمن حافظ على توحيد الله حفظه الله من العذاب، والمحافظة على توحيد

الله ، يكون بالعمل به وذلك بصرف جميع العبادات لله ، من دعاء وذبح ونذر، وتوكل وخوف ورجاء ، وصلاة وصيام وغير ذلك ، وعدم الإشراك به شيئًا في ألوهيته وربوبيته ، وأسمائه وصفاته.

فلا يذبح لغير الله ولا ينذر لغير الله ولا يدعو غير الله ولا يحلف بغير الله ولا يصرف شيئًا من العبادات لغير الله من المخلوقين فمن كان كذلك فهو الموحد، الحافظ لدينه ، وهذا حري بأن يحفظه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الدنيا والآخرة.

فتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مفزع العباد ينجيهم الله به من مصائب الدنيا وكربات الآخرة.

* وإن من أعظم ما يجبُ حِفظُه من أوامر الله، لهو الصَّلاةُ ، وقد أمر الله بالمحافظة عليها ، فقال : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾[البقرة : ٢٣٨]، ومدح المحافظين عليها بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المعارج : ٣٤] .

فمن حافظ على الصلاة حفظه الله في الدنيا وأسكنه الجنة ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾[المؤمنون : ٩ – ١١] .

وروى ابن ماجهْ عن أبي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ:« **قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: افْتَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَعَهِدْتُ عِنْدِي عَهْدًا أَنَّهُ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ لِوَقْتِهِنَّ أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ، فَلَا عَهْدَ لَهُ عِنْدِي**» .

ويشمل المحافظة على الصلوات المحافظة على شروطها وأركانها وواجباتها فمن شروطها المحافظة على أوقاتها كما في الحديث المتقدم:« أنه من حافظ

عليهن بوقتهن أدخلته الجنة»، إذ أن الصلاة في غير وقتها باطلة وقد جاء الوعيد الشديد لمن تهاون بأوقات الصلوات ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ﴾ [الماعون:٤-٥] .

و قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ ﴾ [مريم:٥٩] .

قال كثير من المفسرين: أي أضاعوا أوقاتها فصلوها في غير وقتها .

ومن تمام المحافظة على الصلوات الحفاظ عليها مع الجماعة فإنها واجبة فمن حافظ على الصلوات مع الجماعة فهو في حفظ الله.

فقد روى الإمام مسلم عن جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ الله، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» .

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قيل في ضمانة وقيل في أمانة. اهـ

وروى ابن ماجهْ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ الله، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ فِي عَهْدِهِ، فَمَنْ قَتَلَهُ طَلَبَهُ اللهُ حَتَّى يَكُبَّهُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ»

الشاهد أن من صلى الصلاة في جماعة خصوصًا صلاة الفجر، فهو في ذمة الله وأمانه، فلا يجوز الاعتداء عليه، ففي الحديث وعيد لمن أخفر ذمة الله في رجل صلى الفجر في جماعة، لأنه في ذمة الله.

وروى الإمام أحمد عن أبي مرة الطائفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول :«**قال الله عَزَّوَجَلَّ : ابن آدم صلِ لي أربع ركعات من أول النهار، أكفك آخره** » .

* ومن تمام حفظ دين الله أن يحفظ العبد عينيه وسمعه، ولسانه وشفتيه ، وسائر جوارحه من المعاصي والمخالفات.

فلا ينظر بعينيه إلى الحرام ،ولا يستمع بأذنيه إلى الحرام، ولا يتكلم بلسانه وشفتيه بالحرام، ولا يبطش بالحرام ، ولا يمشي إلى الحرام، ولا يأكل الحرام.

فاحفظ الله في عينيك وسمعك، ولسانك وجوارحك، فهذا هو الحياء من الله حق الحياء.

فقد روى الترمذي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اسْتَحْيُوا مِنَ الله حَقَّ الحَيَاءِ. قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ للهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ الله حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ الله حَقَّ الحَيَاءِ».

وهذا الحديث من جوامع كلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ شمل جميع الجوارح وبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن حفظ هذه الجوارح من الحياء، وإرسالها في المحرمات يعتبر من عدم الحياء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فبعض الناس يستحيي أن يعمل المعصية أمام الناس، ولا يستحيي أن يعملها أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وغفل أن الله رقيب عليه لا يغيب عنه لحظة واحدة.

وما أحسن قول القائل:

وإذا خلوت بريبة في ظلمة　　　والنفس داعية إلى الطغيان

فاستحي من نظر الإله وقل لها　　　إن الذي خلق الظلام يراني

(الحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى):

فالرأس يعي العينين والسمع واللسان والشفتين ، والبطن يحوي القلب والمعدة والفرج ، فيجب حفظ هذه الجوارح واستعمالها في طاعة الله ، وفيما أباح الله.

فيحفظ العبد عينيه من النظر إلى النساء الأجنبيات والمردان المفتنين ومن النظر إلى المسلسلات المشتملة على صور ذوات الأرواح ، والنساء الكاسيات العاريات، ويجب على النساء كذلك أن يحفظن أعينهن من النظر إلى ما حرم الله ، ومن ذلك النظر إلى الرجال الأجانب لأن الحكم عام والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول في كتابه الكريم: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور:٣٠-٣١] .

وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر:١٩] .

أي يعلم مسارقة النظر إلى الحرام والنظر قد يكون سهما خبيثا يورث صاحبه الخسارة والذلة والهوان، فقد ذكروا أن رجلاً نظر من السطح إلى بيت بجواره فوقعت عيناه على نصرانية فأعجبته فتقدم إليها ليخطبها فوافقت على الزواج به بشرط أن يتنصر ، فوافق على ذلك وتنصر، ثم صعد على سطح بيتٍ فسقط فمات قبل أن يتزوج بها وقد ارتد عن دينه فمات كافرًا والعياذ بالله بسبب نظرة إلى امرأة لا تحل له، فلا هو بالذي تزوج المرأة ولا هو بالذي سلم له دينه .

كُلُّ الْحَـوَادِثِ مَبْدَؤهَا مِنْ النَّظَـرِ وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ
كَمْ نَظْرَةٍ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا فَتْـكَ السِّهَـامِ بِلَا قَـوْسٍ وَلَا وَتَرِ
وَالْعَبْـدُ مَا دَامَ ذَا عَيْـنٍ يُقَلِّبُـهَا فِي أَعْيُنِ الْغِيدِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ

يَسُـــرُّ مقـلتـه مَا ضَرَّ مهــجتــه   لَا مَرْحَبًــا بِسُـــرُورٍ عَادَ بِالضَّـــرَرِ

فالعين تزني وزناها النظر إلى الحرام كالنظر إلى النساء الأجنبيات، وسواء كان النظر مباشر أو عبر الشاشات، والأذن تزني وزناها الاستماع لأصوات النساء والتلذذ بذلك، ويدخل في ذلك سماع الأغاني فإنه من أعظم ذرائع الزنا والعياذ بالله ، واليد تزني وزناها لمس المرأة الأجنبية ومصافحتها، والرِّجل تزني وزناها المشي إلى الفاحشة والعياذ بالله ، فقد روى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ».

وفي رواية عند أحمد:« واليد تزني وزناها اللمس ، والرجل تزني وزناها المشي» الحديث .

فهذه الجوارح كالنظر والسمع ونحوهما ذرائع ووسائل إلى فعل الفاحشة والعياذ بالله فاحفظ بصرك إلا من حلال واحفظ سمعك من الحرام، ومن استماع أصوات النساء، قَالَ تَعَالَىٰ :﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء:٣٦] .

واحفظ سمعك من استماع الأغاني فإنها أصوات الشياطين قَالَ تَعَالَىٰ وهو يخاطب الشيطان: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الإسراء:٦٤] .

قال المفسر ابن كثير- رَحِمَهُ اللَّهُ -: وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ، قيل :هو الغناء، قال مجاهد باللهو والغناء أي استخفهم بذلك. اهـ

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ ﴾ [لقمان:٦] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَمَّا ذَكَّرَ تَعَالَى حَالَ السُّعَدَاءِ، وَهُمُ الَّذِينَ يَهْتَدُونَ بِكِتَابِ الله وَيَنْتَفِعُونَ بِسَمَاعِهِ،.. عَطَفَ بِذِكْرِ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ، الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الِانْتِفَاعِ بِسَمَاعِ كَلَامِ الله، وَأَقْبَلُوا عَلَى اسْتِمَاعِ الْمَزَامِيرِ وَالْغِنَاءِ بِالْأَلْحَانِ وَآلَاتِ الطَّرَبِ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ قَالَ: هُوَ -وَالله- الْغِنَاءُ. اهـ

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان ابن مسعود يقول: هو الغناء والذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات.اهـ

واحذر يا مسلم من أصحاب الحيل الشيطانية، الذين يستحلون الأغاني بأدنى الحيل، ويسمونها بغير اسمها ، فيسمونها أناشيد إسلامية أو قصائد وزوامل شعبية، فتغيير الاسم لا يغير المسمى فإن الحكم واحد ما دام أنها مشتملة على ألفاظ المغنين وألحانهم ، وآلات ومعازف الطرب، فهذا الصنف قد بين النبي صلى الله عليهم حالهم قبل أربعة عشر قرنا كما في صحيح البخاري عن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ».أي أنهم سيستحلونها وهي محرمة، وقد حصل كما أخبر المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجعلوا الأغاني من المباحات، وقد قرنها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخمر والحرير والزنا لحرمتها وخطرها على العبد، فتغيير أسماء هذه الأشياء لا يغير الحكم الشرعي فيها فهي حرام.

فقد روى ابن ماجه عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يُعْزَفُ عَلَى رُؤوسِهِمْ بِالْمَعَازِفِ وَالْمُغَنِّيَاتِ، يَخْسِفُ اللهُ بِهِمْ الْأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ**» .

* ومن حفظ السمع حفظه من التجسس وتتبع عورات المسلمين، والاستماع لحديثهم بغير إذن منهم ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [الحجرات ١٢].

وروى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ**». والآنك هو الرصاص المذاب.

فحافظ على هذه النعم، نعمة السمع والبصر، وقم بشكرها وذلك باستعمالها في طاعة الله فإن من كفر النعمة أن تستعمل في معصية الله.

ـ ومن هذه النعم التي ميزك الله بها عن سائر المخلوقات لهي نعمة اللسان فاحفظها إلا من خير فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**» واعلم أن الإنسان محاسب على كل كلمة نطق بها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[ق:١٨] .

فمن خطر اللسان أن العبد قد يتكلم بكلمة توبق دنياه وأخراه، وقد يتكلم بكلمة يلقى بها حتفة، وقد يتكلم بكلمة تحبط جميع أعماله ، وقد يتكلم بكلمة يغضب الله عليه بسببها، وقد يتكلم بكلمة ما كان يبالي بها تهوي به في النار سبعين سُنَّة والعياذ بالله .

ففي صحيح مسلم عَنْ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حَدَّثَ « **أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ**

ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ».

قال كلمة أحبطت عمله وأوبقت دنياه وأخراه .

وروى البخاري عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» وفي رواية: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ»

وعند الترمذي: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لاَ يَرَى بِهَا بَأْسًا، يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ**».

فاللسان له شأن عظيم ، ولذا وجب على العبد أن يحفظه وأن يحبسه فبه ينجو أو يهلك ، فقد روى البخاري عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**» .

وروى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الجَنَّةَ**».

ولقد كان السلف الصالح لا يتكلمون بالكلمة حتى يتفكرون فيها، فإن كانت خيرًا تكلموا بها وإن كانت شرا أمسكوا عنها ، فهكذا يجب أن يوزن العبد كلامه بميزان الشرع، فقد كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمسك بلسانه ويقول: «هذا أوردني المهالك». وهو خير هذه الأمة بعد نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ شَيْءٌ أَحْوَجُ إِلَى طُولِ سِجْنٍ مِنَ اللِّسَانِ» .

فيا أيها المسلم احفظ لسانك من الشرك ومن الكذب والغيبة والنميمة والاستهزاء والسخرية والسب واللعن والشتم تكون من الناجين بإذن الله رب العالمين، فقد سئل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما النجاة؟ قال: «امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ». رواه الترمذي عن عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فإن أفضل المسلمين إسلامًا من سلم المسلمون من لسانه ويده، فعَنْ أَبِي مُوسَى ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ قَالَ : «**مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»متفق عليه . وَفي رواية عند مسلم: « **أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ قَالَ** : « **مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ** ».

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من لديغ لسانه ... قد كانت تهاب لقاءه الشجعان




الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فلا زلنا حول حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمه كلمات مباركات شملت الدين كله وهي له ولغيره من هذه الأمة ومنها قوله: «احفظ الله يحفظك».

وحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **..وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى**».

والبطن يحوي القلب والمعدة والفرج ، فالقلب يحتاج إلى حفظ من الشبهات والمعدة تحتاج إلى حفظ من أكل الحرام، والفرج يحتاج إلى حفظ من الفواحش.

فأما القلب فهو أمير البدن إذا صلح ، صلح الجسد كله وإذا فسد ، فسد الجسد كله فالقلب الأمير والجوارح جنوده فإذ افسد الأمير فسدت الجنود .

مصداقه ما جاء في الصحيحين عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **الحَلالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ** ».

فالمحافظة على القلب من أوجب الواجبات ويكون الحفاظ عليه من الزيغ والانحراف عن دين الله، بفعل أسباب الثبات وذلك باتباع أوامر الله واجتناب ما حرم الله وبالدعاء بالثبات على دين الله، وقراءة القرآن، والعمل بالسُّنَّة، ومجالسة الصالحين والبعد عن الشبهات، والبعد عن أسباب الانحراف.

ويحافظ العبد على قلبه من الرياء والسمعة والشك، والعجب والكبر ، والشرك والخرافات، والحسد والغل ،ونحو ذلك، فهذا هو القلب السليم الذي ينفع صاحبه يوم القيامة، كما أخبر ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء:٨٨] .

فالقلب السليم هو الذي سلم من جميع تلك الشوائب والشبه والأمراض.

والقلب السليم هو الذي امتلأ محبة وتعظيمًا ورغبة وإنابة وإجلالا لله تعالى، والقلب السليم هو الذي امتلأ خوفًا ورهبة وخشية من الله تعالى، ثم أثمرت هذه الصفات في الجوارح فأورثت ذلا واستكانة لله وانقيادا واستقامة على دين الله.

فاحفظ الله في قلبك واحفظ الله في بطنك من أكل الحرام فإن أول ما ينتن في القبر هو البطن فلا تغذه بالحرام ، فأيما لحم نبت من حرام فالنار أولى به.

فقد ثبت عند ابن حبان عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يا كعب ابن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت**». أي من حرام.

وفي رواية للترمذي: «**إِنَّهُ لاَ يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلاَّ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ**».

فيا أيها المسلمون احذروا من اللقمة الحرام، وإياكم والمكاسب المُحرمة ، والمعاملات المُحرمة كالرباء والرشا ، والسرقة والتحايل على أموال الناس ، فاحفظوا الله يحفظكم الله.

ومما يجب على العبد أن يحفظه فرجه،وذلك بأن يحفظه من الزنا واللواط والفواحش والعادات المحرمة ومن ذلك أن يحفظه من الكشف أمام أعين الناظرين.

فقد قال الله في كتابه الكريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ ﴾ [المؤمنون: ٥-٧] .

وقدتقدم حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ»

فمن كان كذلك فهو حافظ لدينه ومن حفظ دينه حفظه الله إذ أن الجزاء من جنس العمل «احفظ الله يحفظك»، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾[محمد:٧] ،وكقوله تعالى:﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ ﴾ [التوبة:٦٧] وكقوله تعالى:﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦ ﴾[الطارق:١٥].

وحفظ الله للعبد يكون في أمرين:حفظ دنياه ، وحفظ دينه.

أما حفظه له في الدنيا ، فيبسط له الرزق ويبارك له فيه ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] .

ويلطف به ويسخر له الملائكة تحفظه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد:١١] .

ويحفظه في بدنه كما حفظ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في النار فخرج منها سالما، وحفظ يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ في بطن الحوت ، وحفظ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في البئر وما ذلك إلا جزاء حفظهم لدينهم وقيامهم بأوامر ربهم ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ۝٣٨ ﴾[الحج:٣٨] .

(احفظ الله يحفظك) :

وبصلاح الرجل وبركة عبادته يحفظ الله ذريته وعقبه من بعده وعقب عقبه كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف:٨٢] .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ ابْنُ عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا حُفظا بصلاح أبيهما، وَقِيلَ: كَانَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْأَبِ الصَّالِحِ سَبْعَةُ آبَاءٍ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ: إِنَّ اللهَ يَحْفَظُ بِصَلَاحِ الْعَبْدِ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ، وَعِتْرَتَهُ وَعَشِيرَتَهُ وَأَهْلَ دُوَيْرَاتٍ حَوْلَهُ، فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظِ اللهِ مَا دَامَ فِيهِمْ. اهـ

القسم الثاني أن يحفظه في دينه، وهذا أفضل، فيحفظه من الشبهات والبدع والمحدثات والمعاصي والخرافات كما حفظ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من كيد امرأة العزيز وعصمه الله من الوقوع في الفاحشة وهذا أشرف أنواع الحفظ وهو أن يحفظ الله للعبد دينه فيعصمه ويثبته ويوفقه لطاعته ويختم له بعمل صالح يميته عليه

اللهم احفظ لنا ديننا وثبتنا عليه حتى نلقاك اللهم احفظنا من فوقنا ومن تحتنا ومن بين أيدينا ومن خلفنا ونعوذ بك أن تغتال من تحتنا ، اللهم احفظ أسماعنا وأبصارنا وسائر جوارحنا إلا من خير ، اللهم احفظ ألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة وقلوبنا من الزيغ والانحراف ، اللهم احفظنا بالإسلام قائمين ، واحفظنا بالإسلام قاعدين ، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تشمت بنا الأعداء والحاقدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُه وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

نعوذ بالله من البدع والضلالات والنار.

عباد الله:

أخرج الإمام مسلم عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» .

فهذا الحديث العظيم من جوامع كلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام فقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث العظيم أن الدين مبني على النصيحة فالدين هو النصيحة والنصيحة هي الدين .

والنصيحة هي بذل الخير للمنصوح له.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له ومعنى الحديث عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله: «الحج عرفة» أي: عماده ومعظمه عرفة. اهـ

والنصيحة هي دأب المرسلين وأتباعهم؛ من العلماء الربانيين والدعاة المخلصين من ورثة الأنبياء والمرسلين .

قَالَ تَعَالَى عن نبيه صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ **فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾** ﴾ [الأعراف:٧٩].

وقَالَ تَعَالَى عن نبيه هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ **أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾** ﴾[الأعراف:٦٨].

وقال عن نبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ **أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾** ﴾[الأعراف:٦٢].

وقَالَ تَعَالَى عن نبيه شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ **فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾** ﴾[الأعراف:٩٣].

والنصيحة هي البيعة التي أخذها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أصحابه ففي

الصحيحين عَنْ جَرِيرِ بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**بَايَعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**».

والنصيحة هي حق المسلم على أخيه المسلم فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ الله؟، قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**».

ففي هذه الحالة تصير النصيحة واجبة على الناصح لمن استنصحه ويجب عليه أن يشير عليه بالرشد وأن يكون ناصحا أمينا وهي واجبة على العبد لكل من ولاه الله عليهم فهي واجبة على الإمام لرعيته وهي واجبة على رب البيت لأهل بيته وهي واجبة على الوالدين لأولادهم وهي واجبة على كل راع لرعيته

وقد جاء وعيد شديدعلى من قصر في نصيحة رعيته كما في البخاري ومسلم عن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ**» .

وفي رواية عند مسلم أن رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**» .

والنصيحة تشمل نصحهم بدين الله وتعليمهم شرائع الله واجتناب ما نهى الله، وتشمل ما يجب عليه القيام به نحوهم في أمور دنياهم من الرعاية والعناية وأداء الحقوق وتربيتهم التربية الشرعية.

فيجب على كل مسلم أن يكون ناصحا لنفسه ولغيره وكل بحسبه وعلى

قدر طاقته وعلمه .

واعلم أيها الناصح أن النصيحة لها آداب وأحكام :

فمن ذلك أن يكون الناصح مخلصًا لله في نصحه وموافقًا لهدي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في دعوته، وعالما بما يقوله ويدعو إليه، مستندا بذلك إلى كتاب ربه وسُنَّة نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فبذلك يكون ناجحًا في نصحه مقبولاً كلامُه، مسموعاً له، فلا يدعو الناس بجهل، فإنه بذلك يضر أكثر مما ينفع فربما أمر بمنكر أو نهى عن معروف أو دعا إلى بدعة.

ودليل التسلح بالعلم في الدعوة والنصيحة قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

أي هذه طريقتي في الدعوة إلى الله أنا وأتباعي أدعو على علم وبصيرة ، وعلى الناصح أن يستعمل الحكمة في نصحه، فإنه بقدر الحكمة ينفع الله به ويقبل الناس منه ، ومن ذلك استخدام الرفق واللين حتى يستشعر المنصوح بأنه يريد له الخير، ومن ذلك أن يسارِرْه في النصيحة، فإن النصيحة بين الناس قد تكون فضيحة، إلا أن تكون النصائح عامة أو في المجالس العامة، فلا بأس إن شاء الله تعالى.

وقد أحسن من قال:

تعمدني بنصحك على انفرادٍ   وجنبني النصح في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوعُ   من التوبيخ لا أرضى استماعه

وكما قيل: من نصحك سرًا فقد نصحك ومن نصحك جهرًا فقد فضحك،

وأما في مجامع الناس فيعمم القول دون ذكر شخصٍ بعينه فيقول: ما بال أقوام يفعلون كذا، مابال أقوام يقولون كذا، كما كان يفعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[النحل : ١٢٥] .

وروى ابن حبان عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شيء قط إلا شانه وإن الله رفيق يحب الرفق**» وأصله في الصحيحين .

ومما يجب على الناصح أن يكون مخلصًا في دعوته ونصحه ليجعل الله البركة في دعوته لأن الدعوة إلى الله من أحسن المقامات وأشرفها فإذا كان الداعي مخلصًا رفعه الله في الدنيا والآخرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾[فُصِّلَت:٣٣] .

وعلى الناصح أن يكون متبعا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعوته فلا يحدثن شيئًا ، ولا يخالف ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعوته فإن ا لدعوة إلى الله توقيفية لا يجوز فيها استخدام أساليب محدثة لم تكن على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاستخدام التمثيليات أو الأناشيد ونحوها أو تخصيص أيام في الشهر أو شهور في السُّنَّة للدعوة إلى الله فإن هذا من المحدثات فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**» وفي رواية لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا**

لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» أي مردود على صاحبه، سواء كان ذلك العمل عبادة أو دعوة إلى الله أو غير ذلك ، فكل عمل يخالف هدي النبي ﷺ وسنته فهو مردود على صاحبه ومحبوط لا يقبله الله عَزَّوَجَلَّ.

فعلى الداعية إلى الله أن يلزم السُّنَّة في دعوته ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤٥ - ٤٦] .

وقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**» رواه الترمذي عن العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

والنصيحة مبنية على ركيزتين لا بد منهما ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالداعي الناصح إما أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر ، فإذا رأى معروفا أقره ، وحث عليه ، ورغب فيه، وإن رأى منكرًا نهى عنه وحذر منه ورهب.

فبعض الناس يزعم أنه داعية لكنه يرى المنكر فلا ينهى عنه بحجة عدم التدخل في أمراض الأمة أوعدم تنفير الناس! وهذا ضلال ومشاقة لشرع الله فكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ مليئان بالحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد لعن الله بني إسرائيل لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وروى الإمام مسلم عن أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:سمعت رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ**

يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ».

ففي الحديث وجوبٌ وعمومٌ ، فقوله (فليغيره) فعل أمر يقتضي الوجوب يدل على أن تغيير المنكر واجب على كل مستطيع، والعموم مأخوذ من النكرة والشرط ، فقوله:(منكرا)نكرة في سياق الشرطَ وهو:(من رأى منكم) يعم كل إنسان .

«الدين النصيحة»

ومن النصيحة لدين الله ، تعليق الناس بدينهم ودعوتهم إليه والدفاع عنه وعدم الانشغال عنه بالدنيا و تزهيد الناس بالدنيا وترغيبهم بالآخرة وتذكيروهم بما أعد الله للمؤمنين في ا لجنة، وعدم اتخاذ الدين وسيلة لنيل المصالح الدنيوية ، والمآرب الشخصية ،والأفكار الحزبية ، ونيل السلطة، فليس هذا من النصح لدين الله.

«الدين النصيحة»، قلنا لمن يارسول الله؟، قال :«لله..»

فكيف تكون النصيحة لله؟!

النصيحة لله تكون بطاعته وعدم معصيته ، وتوحيده وعدم الإشراك به، النصيحة لله هي الإيمان به وبوجوده وبربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والاعتقاد بأنه الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء مستوٍ على عرشه عالٍ على خلقه ، الموصوف بصفات الجمال والكمال ، لا يوصف إلا بما وصف نفسه في كتابه الكريم وبما وصفه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته بغير تحريف ولا تعطيل وبلا تكييف ولا تمثيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١] جل عن الأشباه والأنداد وتنزه عن الصاحبة والأولاد ونفذ حكمه في جميع البلاد لا

تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير.

ومن النصيحة لله التوكل عليه والإنابة إليه والحذر من بطشة والطمع في فضله وعدم اليأس من رحمته وعدم الأمن من مكره ، فهذه هي النصيحة لله، وعند المحاققة هذه هي نصيحة للعبد نفسه لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غني عن العالمين وعن نصح الناصحين.

قال بعض أهل العلم: وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصح نفسه فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غني عن نصح الناصحين. اهـ

«الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ..»

فكيف تكون للنصيحة لكتاب الله؟!

النصيحة لكتاب الله بتلاوته والعمل به والتحاكم إليه والاعتقاد أنه كلام الله غير مخلوق تكلم به بصوت وحرف منه بدأ وإليه يعود محفوظ من ا لتبديل والتحريف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحِجر:٩] فالقرآن الكريم متعبد بتلاوته، معجز بلفظه، صالح لكل زمان ومكان، ناسخ لجميع الكتب السماوية، ومهيمن عليها .

النصيحة لكتاب الله التحاكم إليه وعدم التحاكم للقوانين الوضعية ، والأنظمة الديمقراطية ، النصيحة لكتاب الله حفظه وتدبره والوقوف عند معانيه والعمل بحكمه والإيمان بمتشابهه وتحليل حلاله وتحريم حرامه وعدم هجره فمن كان كذلك فهو ناصح لكتاب الله ومن كان كذلك رفعه الله في الدنيا والآخرة فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠].

وروى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ». وفي رواية عند الحاكم: « كتاب الله وسُنَّة نبيه».

«الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ..»

فكيف تكون النصيحة لرسول الله يا عباد الله؟

النصيحة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طاعته ومحبته وتعظيمه تعظيمًا شرعيًا بغير مغالاة.

النصيحة لرسول الله العمل بسُنته واجتناب البدع والمحدثات .

النصيحة لرسول الله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وتقديم قوله على قول كل إنسان كائنا من كان وألا يعبد الله إلا بما شرع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن كل طريق مسدود إلا طريق واحد ، وهو طريقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ ﴾[الحُجُرات:١] .

فلا يجوز لمسلم أن يقول قولا أو يفعل فعلا يخالف به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد جعل الله متابعته علامة لمحبة الله قَالَ تَعَالَى : ﴿ **قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١** ﴾ [آل عمران:٣١] .

وليس من النصيحة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخالفة هديه ومحاربة سنته والعاملين بها وارتكاب البدع والمحدثات، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ**

ضَلالَةٌ فِي النَّارِ» . رواه الترمذي والنسائي عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ**..».

فكيف تكون النصيحة لأئمة المسلمين ؟

أئمة المسلمين هم أولياء الأمور، وتكون النصيحة لهم بطاعتهم في غير معصية ودلالتهم على الخير والصبر عليهم وإن جاروا وظلموا وعدم الخروج عليهم وعدم التشهير بهم على المنابر وغيرها ، وعدم تهييج الشعوب ضدهم .

ومن النصح لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم ، والدعاء لهم لأن بصلاحهم يحصل خير كبير وبفسادهم يحصل شر مستطير.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء:٥٩] .

وتكون النصيحة لهم سرا فهي أبلغ في القبول وأوقع في النفس وأبعد عن الفتنة فقد أخرج ابن أبي عاصم في السُّنَّة عن عِيَاض بْن غَنْم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لِهِشَام بْنِ حَكِيمٍ أَلَمْ تَسْمَعْ بِقَوْلِ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلا يُبْدِهِ عَلانِيَةً وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَخْلُوا بِهِ فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ وَإِلا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ**».

فلا منافاة بين هذا الحديث وحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ».

فإن هذا الحديث داخل في الحديث الأول في باب النصيحة سرًا ، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «عند سلطان جائر» أي عنده في مقامه، ولم يقل أمام الناس

أو في الشوارع والمجامع فنصح السلطان الجائر سرا تعتبر كلمة حق وجهاد في سبيل الله ، لأن كلمة (عند) ظرف مكان تقتضي نصحه في مكانه وعدم التشهير به أمام الملأ ، فسائر النصوص على خلاف ذلك والشرع يأباه ، فقد ثبت عند الترمذي عن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللهِ فِي الأَرْضِ أَهَانَهُ اللهُ**».

وروى الطبراني عن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« **من أجَلَّ سلطان الله أجله الله يوم القيامة**» .

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ: من أهان السلطان فقد عرض نفسه للإهانه ، إما في الدنيا وإما في الآخرة. اهـ أو كما قال .

فالسُّنَّة هي النصح للسلطان والدعاء له وعدم إهانته.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ: لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان.اهـ

وقد أوذي من قبل أولياء الأمور وجُلد حتى يبس اللحم في ظهره ، ومع هذا لم يستجز الخروج على أولياء الأمور.

قال الحسن البصري رَحِمَهُٱللَّهُ: الحكام يلون من أمرنا خمسًا : الجمعة ، والجماعة، والعيدين ، والثغور ، والحدود ، والله ما يستقيم الدين إلا بهم؛ وإن جاروا وظلموا ، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون مع أن والله طاعتهم لغبطة ، وأن فرقتهم لكفر.اهـ

ويعني بالكفر هنا الكفر الأصغر لأن الخروج معصية وليست كفرا مخرجًا من الملة إلا من استحل ذلك ، فإنه يكفر لأنه استحل شيئًا حرمه الله.

وقال عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إمام عادل خير من مطر وابل، وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم.

هذا الذي ننصح الناس به وهذا الذي حثنا عليه الشرع، فالشرع لا يأمر إلا بما فيه مصلحة متحققة أو راجحة ولا ينهى إلا عما فيه مفسدة متحققة أو راجحة .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١٦] .

و قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:١٤٠] .

و قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[النجم:٣-٤].

وأما أصحاب العواطف والمصالح من أهل البدع ، فإنهم يجيزون الخروج على أولياء الأمور ، وهذه محادة ومشاقة لدين الله، فأين النصيحة لأولياء الأمور؟ ، وما معنى النصيحة لهم إذن؟! ، وقد جاءت عشرات الأحاديث في تحريم الخروج على أولياء الأمور .

ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي   فالنصح أغلى ما يباع ويوهب

اللهم اجعلنا من عبادك الناصحين .





الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشأنه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه والصلاة والسلام على آله وأصحابه وإخوانه.

أما بعد:

فلا زلنا حول حديث تَمِيم الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» .

وعرفنا معنى النصيحة وأهميتها ، وشروطها وضوابطها ، وبعض أحكامها وآدابها.

وعرفنا كيف تكون النصيحة لله ولكتابه ولرسوله وللأئمة المسلمين.

والآن نعرف كيف تكون النصيحة لعامة المسلمين:

اعلموا عباد الله :

أنه يدخل في عامة المسلمين الأقارب والأباعد ، ويدخل في الأقارب الأرحام ، والوالدان والزوجة ، ويدخل في الأباعد الجيران والأجانب.

فأما النصيحة للوالدين ،فتكون بطاعتهما واحترامهما وإجلالهما والقيام عليهما والدعاء لهما والإحسان في صحبتهما لا سيما عند الكبر ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا

فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤] .

ويدخل في برهما تعليمهما دين الله وحجزهما عن محارم الله، ويكون ذلك بلين ورفق وحكمة.

ومن الأقارب الزوجة والأولاد ، فتكون النصيحة لهم بتعليمهم دين الله وأداء حقوقهم .

والنصيحة للأقارب عمومًا تكون بصلة الأرحام ومواساتهم؛ وتفقدهم بالزيارات والاتصالات والمناصحات.

والنصيحة للجيران تكون بالإحسان إليهم والصبر على أذاهم وزيارة مرضاهم وتفقد أحوالهم وتوجيههم بالنصائح والإرشاد لكل خير، ونحو ذلك.

والنصيحة لعامة المسلمين ، تكون بالإحسان إليهم وإعانتهم، وبذل النصح لهم، وتعليمهم دينهم ، وتفريج كرباتهم بإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج، والتيسير على المعسر، والعطف على اليتيم، وإعطاء المسكين ونحو ذلك.

فقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ**

أَخِيهِ » الحديث .

وروى الأصبهاني عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ رضى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ**» .

اللهم ثبت أقدامنا يوم تزل الأقدام، اللهم ثبتنا على دينك وعلى سُنَّة نبيك، وعلى النصح لعبادك وارزقنا الإخلاص والحكمة، اللهم اجعلنا لدينك ناصحين، ولعبادتك مؤدين، ولنبيك متابعين ، ولكتابك منقادين، ولعبادك نافعين، واجعلنا لجنتك وارثين، ولا تجعلنا أشقياء ولا محرومين، ولا بالنار معاقبين، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين





٢٦
بيان الحقوق العشرة (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللْ فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَريْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله:

يقول الله في كتابه الكريم:﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ

(١) الخطبة طويلة ، فإذا رأى الخطيب أنها ستطول، فله أن يجعلها خطبتين لجمعتين .

ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء:٣٦] .

هذه الآية الكريمة هي آية الحقوق العشرة سماها أهل العلم بذلك لأنها جمعت حقوقا عشرة يجب على كل مسلم أداؤها وتوعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من قصر أو بخل فيها بالعقوبات الدنيوية والأخروية ولذلك ختم الآية بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ ثم أعقبها بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾[النساء:٣٧] .

فيجب على كل مسلم أن يؤدي كل ذي حق حقه فقد روى البخاري عن سلمان ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ أنه قال لأبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«صَدَقَ سَلْمَانُ» .

وفي رواية: «**ولعينك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، فآت كل ذي حق حقه**» والزور هو الزائر والضيف.

ألا وإن أعظم حق، هو حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولهذا ابتدأ الله به بقوله: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ .

فالحق الأول هو حق الله تعالى:

وهو عبادته وتوحيده وعدم الإشراك به شيئًا، فهذا هو الغاية من خلق المخلوقات وبسط الأرض ورفع السماوات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق الخلق ليعبدوه، ورزقهم ليستعينوا برزقه على طاعته، ثم يكرمهم في الآخرة بجنته، وجعل العبادة من أعظم أسباب الأرزاق والبركة فيها، فقد روى الحاكم عن معقل بن يسار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **يقول ربكم** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأملأ يديك رزقا، يا ابن آدم! لا تباعد عني أملأ قلبك فقرا وأملأ يديك شغلًا** ».

وفي رواية عند الترمذي وابن ماجهْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **قَالَ**: «**يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، مَلأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**» .

ومن حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تحقيق التوحيد وعدم الإشراك به شيئًا فهذا هو أعظم حق على العباد ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مؤخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى عِبَادِهِ**» ، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**حَقُّ الله عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**» ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**» ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى الله إِذَا فَعَلُوهُ**» ، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**حَقُّ العِبَادِ عَلَى الله أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ**» وفي رواية: «**أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**».

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»: نكرة في سياق النهي يعم كل شرك، أي: لا تشركوا به شركًا أكبر ولا أصغر لا خفيًا ولا جليًا لا قوليًا ولا عمليًا ولا اعتقاديًا .

الحق الثاني في هذه الآية حق الوالدين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾.
جعل الله حق الوالدين بعد حق الله تعالى لعظم حقهما، وعطف بحق الوالدين على حقه تعالى لأن طاعتهما من طاعة الله ومعصيتهما من معصية الله ولأن الوالدين هما السبب في وجود العبد في هذه الأرض ليعبد الله ولأنهما أقرب الناس إلى العبد ولهذا غالبًا ما يذكرالله حقهما بعد حقه كقوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ ﴾[الإسراء:٢٣].

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ» أكد حق الأم ثلاث مرات لأنها حملته وهنا على وهن فمرت بمشقة الحمل ثم مشقة الولادة ثم مشقة الرضاعة.

فطاعة الوالدين مقدمة على الهجرة والجهاد في سبيل الله ففي الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟، **قَالَ**: «**ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟، **قَالَ**: «**ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

فانظر يا عبد الله كيف قدم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله !بل إن طاعة الوالدين من الجهاد، فقد جاء في الصحيحين عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-،قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**»، **قَالَ: نَعَمْ، قَالَ**: «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**».

وفي رواية لمسلم: قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ:

أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ، قَالَ: «**فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟**» ، قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ: «**فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ؟**» ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا**» .

وروى أبو داود عن عبد الله بن عَمرٍو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: جاء رجل إلى رسولِ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقال: جئتُ أُبايُعك على الهجرةِ، وتركتُ أبويَّ يبكيان، فقال: «ارجِعْ إليهما فأضحِكْهُما كما أبكيتَهما» .

فيستفاد من هذه الأحاديث أنه لا يشرع للعبد أن يذهب إلى الجهاد إلا بعد إذن الوالدين .

واعلموا أن طاعة الوالدين من أسباب دخول الجنة ، بل من أعظم وأوسط أبواب الجنة فقد روى ابن ماجهْ والترمذي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أنه سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجُنَّةِ، فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ**» . ومعنى أوسط أبواب الجنة أي أحسنها وأعدلها.

وقد دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على من أدرك أبويه فلم يدخل الجنة بسببهما فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ»، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» ومعنى رغم أنف أي: دس في التراب.

وأكد الشرع على حق الوالدين عند الكبر أكثر، وذلك لحاجة الوالدين في هذه المرحلة لمزيد من العناية لضعفهما ولحصول الخرف والهرم عندهما فيحتاج العبد مزيدا من الصبر والمجاهدة لنفسه وتحمل أعبائهما والقيام بحقهما وحسن الرعاية لهما قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ

إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[الإسراء:٢٣-٢٤] .

ويجب طاعة الوالدين حتى وإن كانا كافرين إلا إذا أمرا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[لقمان:١٥] .

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «**نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ**».

الحق الثالث وهو حق الأقارب:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾

والأقارب هم الأرحام الذين يتصلون بالعبد من أبيه وأمه وإن علوا ويتصلون به من ابنه وبنته وإن نزلوا ذكورا كانوا أوإناثا فإن لهم حق القرابة بصلتهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ ﴾ أي: واتقوا الله بطاعتكم إياه، قال إبراهيم ومجاهد والحسن: ﴿ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ ﴾ أي: كما يقال: أسألك بالله وبالرَّحِم. وقال الضحاك:

واتقوا الله الذي به تعاقدون وتعاهدون، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن بروها وصِلُوها .» أ هـ .

فصلة الأرحام من خصال الإيمان فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» .

وقطيعة الأرحام من علامات الإفساد في الأرض، وصاحبه متوعد بالطرد والإبعاد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣)** ﴾ [محمد:٢٢-٢٣] .

فمن وصل أرحامه وصله الله ومن قطعهم قطعه الله فقد روى الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ**».

فمن قطعه الله فلا واصل له ومن وصله الله ، فلا قاطع له ولو اجتمع عليه من بأقطار الدنيا.

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « إِنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ » قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢)** ﴾ [محمد: ٢٢] .

فمن وصل أرحامه وصله الله برحمته وفضله ، وإحسانه ونعمائه ، وبارك له

في رزقه وعمره .

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

ومعنى ينسأ له في أثره:أي يؤخر في أجله ويبارك له في عمره.

وقطيعة الرحم من أسباب العقوبة العاجلة في الدنيا قبل الآخرة فقد روى البيهقي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :« **ليس مما عصي الله به هو أعجل عقابًا من البغي وما من شيء أطيع الله فيه أسرع ثوابًا من الصلة، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع**». أي مشتتة ممزقة بلا سكنى.

وروى الترمذي عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم» .

فقاطع الرحم متوعد بالعقوبة العاجلة والآجلة، في الدنيا والآخرة، ولو لم يكن من عقوبته إلا أنه يؤخر عن دخول الجنة إن كان من أهلها فلا يدخل مع أول الداخلين فقد روى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **لَا يدخل الجنة قاطع رحم**».

أما من استحل القطيعة فقد كفر فتحرم عليه الجنة فلا يدخلها أبدًا.

الحق الرابع في هذه حق اليتامى:

واليتيم هو الذي مات أبوه قبل سن الرشد فأوصى الله به لضعفه وعدم قدرته على القيام بشئونه وعدم وجود من يدافع عنه غالبًا،فرتب الله أجورًا عظيمة لمن أحسن إلى اليتيم وتوعد بعقوبات وخيمة لمن أساء إلى اليتيم أو أكل حقه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ ﴾[الضُّحى:٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ﴾ [البلد:١١-١٦].

ومن كفل يتيما كان رفيق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة فقد روى البخاري عَنْ سَهْلِ بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا**» **وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا.**

وألحق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحرج بالذي يضيع حق اليتيم فقد روى ابن ماجهْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**اللهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ، وَالْمَرْأَةِ**».

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ ﴾[الماعون:١-٢] ففي هذه الآية وعيد لمن يسيء إلى اليتيم، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكره هنا على سبيل الذم لغلظته وشدته على اليتامى.

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ ﴾ أي: يدفعه بعنف وشدة، ولا يرحمه لقساوة قلبه، ولأنه لا يرجو ثوابًا، ولا يخشى عقابًا.اهـ

ومن أكل حق اليتيم فإنه سيأكل في بطنه نارًا يوم القيامة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠ ﴾ [النساء:١٠].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ ﴾ أي: فإن الذي أكلوه نار تتأجج في أجوافهم، وهم الذين أدخلوها في بطونهم

﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ سَعِيرًا أي: نارًا محرقة متوقدة. وهذا أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدل ذلك أنها من أكبر الكبائر. نسأل الله العافية.اهـ

الحق الخامس حق المساكين:

والمسكين هو الذي أسكنته الفاقة وألجأته الحاجة فلا يجد ما يكفيه ويدخل في ذلك الفقير من باب أولى فهو أشد حاجة من المسكين ، فهؤلاء جعل الله لهم حقًا واجبا وهو ما افترضه لهم من الزكوات في الأموال والعروض التجارية والحبوب وبهيمة الأنعام ونحو ذلك مما بلغ النصاب وحال عليه الحول أو حين الحصاد مما أخرجت الأرض وفرض فيه الزكاة .

فإن الزكاة أحد أركان الإسلام، فمن منعها شرع لولي الأمر قتاله، كما قاتل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مانعي الزكاة في خلافته، وهي واجبة على الأغنياء للفقراء ، فقد روى البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ..» الحديث

ويجب الإحسان إلى الفقراء والمساكين والتلطف معهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضُّحى:١٠] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد:١٥-١٦].

فإذا أردت يا عبد الله أن يبارك الله لك في رزقك فأحسن إلى الضعفاء وأخرج

حق الفقراء فقد بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن القيام على الضعفاء والمساكين من أسباب الرزق ومن أسباب النصر لما روى البخاري عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: رَأَى سَعْدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ**» ، وعند النسائي «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ**» .

فمن بخل في هذا الحق، حق الفقراء والمساكين عذبه الله بماله يوم القيامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾** ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

ويفسير هذه الآية حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ ، يَعْنِي شِدْقَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلاَ**﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ** ﴾الآيَةَ.والحديث متفق عليه.

وعند مسلم عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن ذكر زكاة الإبل والبقر والغنم : « ..**وَلاَ صَاحِبِ كَنْزٍ لاَ يَفْعَلُ فِيهِ حَقَّهُ إِلاَّ جَاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتْبَعُهُ ، فَاتِحًا فَاهُ فَإِذَا أَتَاهُ فَرَّ مِنْهُ ، فَيُنَادِيهِ خُذْ كَنْزَكَ الَّذِى خَبَأْتَهُ ، فَأَنَا عَنْهُ غَنِىٌّ ، فَإِذَا رَأَى أَنْ لاَ بُدَّ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ فِى فِيهِ ، فَيَقْضَمُهَا قَضْمَ الْفَحْلِ** ».

والشجاع الأقرع هو ثعبان عظيم ، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: هو حية ذكر قد تمعط شعره من كثرة سمومه – نسأل الله العافية– ومعنى يقضمها أي :يعضَّها أويأكلها.

الحق السادس والسابع: حق الجيران ،الجار القريب والجار الأجنبي:

قَالَ تَعَالَىٰ: «**وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ**» .

قسم بعض أهل العلم الجيران إلى ثلاثة أقسام:الجار القريب ، والجار الأجنبي ، والجار الكافر.

فأما الجار القريب من النسب فله ثلاثة حقوق ، وهي:حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام، وأماالجار الأجنبي الذي ليس قريبًا من النسب، فله حق الجوار وحق الإسلام، وأما الجار الكافر فله حق الجوار فقط ، فيعامل بما أذن الشرع فيه من الزيارة والتألف والنصيحة وغير ذلك .

فالحاصل أن الله أوصى بالجيران خيرًا ، وأمر بالإحسان إليهم ، وحفظ أسرارهم ومواساتهم وعدم خيانتهم ، ورتب على سوء الجوار عقوبات عظيمة لأن الجار أدرى بمداخل جاره ، وأسراره، فوجب على العبد أن يكون أمينًا وناصحًا لجاره، صابرًا على أذى جاره، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يزال يوصي بحق الجيران حتى ظن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الجار سيرث من جاره لكثرة الوصية بحقه.

فقد جاء في الصحيحين عن عَائِشَةَ وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أن رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سيُوَرِّثَنَّهُ**» .

فحث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإحسان إلى الجيران ومواساتهم والصدقة عليهم والهدية إليهم وألا يستحقر الجار شيئًا أعطاه جاره، فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**» .

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ- قَالَ: «**يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ**» أي لا تستصغر شيئًا أهدته إلى جارتها ولو ظلف أو عظم قليل اللحم .

فخير الناس خيرهم لجاره فقد روى الترمذي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ**».

ومن مفهوم الحديث: أن شر الجيران عند الله ، شرهم لجاره.

فلا يمنع الجار جاره أن يمشي من أرضه ولا يضايقه في فنائه أو بيته ولا يمنعه من وضع خشبه على جداره إن لم يحصل عليه ضرر فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**لاَ يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ**»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ، وَالله لَأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ» يعني هذه السُّنَّة التي ضيعت وهي وضع الجار خَشب بيته على جدار جاره ، وهذا من باب التسامح مع الجار والإيثار .

فاحذر أيها المسلم من أذية الجيران ، فقد جاء في ذلك وعيد شديد، فإن الذي يؤذي جاره بالسب والشتم وسائر أنواع الأذية والمعاملات السيئة ، فإنه على خطر عظيم.

فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**وَالله لاَ يُؤْمِنُ، وَالله لاَ يُؤْمِنُ، وَالله لاَ يُؤْمِنُ**» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ الله؟ ، قَالَ: «**الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**» ، وفي رَواية: قيل وما بوائقه يا رسول اللهَ ؟ ، قال:« شره».

وفي رواية لمسلم: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**».

فهذا الوعيد في حق من يخوِّف جيرانه ، أي: يخاف جاره من شروره ومكره وكيده، فكيف بالذي يحصل منه الأذى وسوء المعاملة؟ ، فالوعيد في حقه أشد والعقوبة آكد، فهذا ناقص الإيمان ولا يدخل الجنة مع أول الداخلين؛ إن كان مسلمًا ، وأما من استحل أذية جيرانه ، فهو كافر لا يدخل الجنة أبدًا ، والعياذ بالله.

فيجب على الجار أن يحسن إلى جاره بالقول وبالفعل وأن يحب له ما يحب لنفسه، وأن يصبر على أذى جاره، فإن لم يستطع فلينتقل من جواره، وما أحسن ما قاله ابن الوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

دارِ جار السوء بالصبر فإن   لم تجد صبرًا فما أحلى النقل

والأدلة في ذلك كثيرة ذكرنا هنا بعضها ، والمسلم الناصح لنفسه ، يكفيه دليل واحد في حكم من الأحكام الشرعية ، والموفق من وفقه الله لإقامة دينه، والعمل بأحكامه.





الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فلا زلنا في آية الحقوق العشرة التي ذكرها الله في كتابه فقال: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء:٣٦].

وذكرنا السبعة الحقوق الأولى وما يلزم المؤمن نحوها.

ونذكر الآن الحق الثامن وهو حق الصاحب بالجنب :

فمن هو الصاحب بالجنب يا عباد الله؟ ، ذكر المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثة أقوال في تفسيرها وكلها متقاربة فذكر القول الأول عن علي بن أبي طالب وابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وغيرهما أن الصاحب بالجنب هي المرأة وذكر القول الثاني عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد وعكرمة وقتادة أن الصاحب بالجنب هو الرفيق في السفر وذكر القول الثالث عن سعيد بن جبير أنه هو الرفيق الصالح. اهـ

ولا مانع من حمل هذه المعاني كلها على الآية فإنه يجب الإحسان إلى كل من ذُكر وقد تقدم حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ**» ، وذلك بحسن الصحبة والمعاملة معهم ، وحب الخير لهم، والوفاء معهم ، وتفريج كرباتهم ، ومواساتهم ومناصحتهم ، وغير ذلك.

ونتطرق في هذا المقام إلى حق الزوجة لأنها أقرب هؤلاء الثلاثة إلى الشخص ولأنها شريكة حياته ولأن حقها آكد الحقوق وحث الشارع على الإحسان إليها فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما حث على حقوق الزوج على زوجته، لم يهمل حقوق المرأة على زوجها، فإن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فديننا دين الشمول والرحمة والعدل، ولله الحمد والمنة.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾[النساء:١٩].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف، من الصحبة الجميلة، وكف الأذى وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال. اهـ

أي على حسب حاله وقدرته، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الطلاق: ٧].

وروى ابن ماجهْ والترمذي عن عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَّرَ وَوَعَظَ، ثُمَّ قَالَ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا، إِنَّ لَكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ: فَلَا يُوَطِّئَنَّ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ

عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ».

ومعنى قوله:(فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ): أي أسيرات، وقوله:(إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ)أي:إلا أن تعصي زوجها وتتمرد عليه.

واعلم يا عبد الله أنك لن تجد امرأة كاملة في صفاتها لأن المرأة خلقت من ضلع معوج فيجب الصبر على المرأة والتغاضي عن بعض الأمور والرضا بالحاصل منها مع الوعظ والنصح والتذكير والتخويف بعذاب الله عند التقصير فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**» وفي رواية لمسلم: «**وكسرها طلاقها** » .

فإذا كان فيها صفات سيئة فلا تنسَ أن لها صفاتٍ حسَنَة فتغافل عن السيئة وارضَ بالحسَنَة فقد روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**» **أَوْ قَالَ**:«**غَيْرَهُ**» ومعنى لا يفرك:أي :لا يبغض.

قال ابن الوردي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وتغاضَ عن أمور إنه ... لم يفز بالمدح إلا من غفل

فلا يجوز إهانة الزوجة بالضرب والسب والشتم بغير مبرر شرعي ، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ الله بْنِ زَمْعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «**لاَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ اليَوْمِ**».

فإن من الناس من إذا ضرب زوجته، هشم اللحم ، وجدع الأنف، وكسر

العظم، وسفك الدم ،وربما سبها وسب والديها وهجرها في غير بيته، فهذا كله لم يأذن به الله، فإن هذا اعتداء جسيم، وظلم عظيم.

فقد روى أبو داود عن معاوية بن حيدة عن أبيه، قال: قلت: يا رسولَ الله، ما حق زوجة أحدِنا عليه؟ قال: «**أن تُطعمَها إذا طَعِمتَ، وتكسُوَها إذا اكتَسَيْتَ - أو اكتسبْتَ - ولا تضربَ الوجهَ، ولا تُقبِّحَ، ولا تَهْجُرَ إلا في البيت**».

فجُد بخيرك على أهلك فإن خير الإنسان أولى ما يكون لأهله فقد روى ابن ماجهْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**خَيْرُكُمْ خيركم لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**».

فإن زادت الخلافات بين الزوجين وعصت المرأة زوجها فقد جعل الله لها حلولا في كتابه وهي خمس خطوات ذكرها الله في سورة النساء .

الخطوة الأولى: الوعظ والتذكير، فإن لم ينفع معها انتقل إلى:

الخطوة الثانية: وهي الهجر في المضجع ويكون في البيت .

الخطوة الثالثة: إن لم ينفع الهجر، فيضربها ضربًا غير مبرح فإن لم ينفع انتقل إلى:

الخطوة الرابعة: وهي اختيار حكم من أهله وحكم من أهلها إن أرادوا إصلاحا ورغبة للبقاء بينهما.

الخطوة الخامسة: إن لم تنفع الخطوات السابقة ولم يصطلحا فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وهو الطلاق والفراق، ولا داعي لتوسعة الخلاف والشقاق فآخر الحلول هو الطلاق ويغني الله كلًا من سعته.

ودليل هذه الخطوات: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[النساء:٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾[النساء: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ﴾[البقرة:٢٢٩].

الحق التاسع: هو حق ابن السبيل:

وهو الغريب الذي انقطعت به الحبال في سفره فله حق على المسلمين وتجزئ له الزكاة ولو كان غنيا حتى يصل إلى بلده .

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[التوبة : ٦٠] .

وقدجاء وعيد شديد لمن منع حق ابن السبيل كما في قصة الأقرع والأبرص والأعمى الذين رزقهم الله الأموال والعافية في أجسادهم ثم ابتلاهم الله بابن السبيل، فأما الأقرع والأبرص فمنعا ابن السبيل حقه ، فسلبهما الله الأموال والعافية وسخط عليهما بسبب منعهما حق ابن السبيل وكفر نعمة الله عليهما، بينما الأعمى لم يمنع حق ابن السبيل وشكر اللهَ على نعمته عليه فأبقى الله له ماله ورضي عنه، والقصة في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحق العاشر والأخير وهو حق ملك اليمين:

وهم الأرقاء من العبيد والإماء وهذا لا يكاد يكون موجودًا الآن لضعف

المسلمين وعدم قتالهم لعدوهم وعدم إقامة شعيرة الجهاد ، بسبب اللهوث وراء الدنيا وحب المناصب ، وعدم تمسك كثير من المسلمين بدينهم وسُنَّة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصاروا جبناء أذلاء أمام أعدائهم، ولأن الغالب من وجود العبيد والجواري نتيجة الحروب بين المسلمين والكفار، والله المستعان.

وربما تكون الآية أعم من ذلك فتشمل كل من للعبد فيه حق التصرف والرعاية ممن تحته فيجب عليه أداء الحقوق لكل من تحت يده وتصرفه.

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾: أي: من الآدميين والبهائم بالقيام بكفايتهم وعدم تحميلهم ما يشق عليهم وإعانتهم على ما يتحملون، وتأديبهم لما فيه مصلحتهم. اهـ

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ وَصِيَّةٌ بِالْأَرِقَّاءِ؛ لِأَنَّ الرَّقِيقَ ضَعِيفُ الْحِيلَةِ أَسِيرٌ فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَلِهَذَا ثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– جَعَلَ يُوصِي أُمَّتَه فِي مرضِ الْمَوْتِ يَقُولُ: «**الصلاةَ الصَلاةَ وَمَا ملكتْ أيمانُكُم**». اهـ

ولهذا جعل الله عتق العبيد من أفضل الأعمال وترتب عليه أجور عظيمة وعتق من النار.

ومن ضيع حقوق ملك اليمين فهو آثم فقد روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**كَفَى بالمرءِ إثمًا أن يضيّعَ مَنْ يَقُوتُ**» وفي رواية عند الحاكم: «من يعول». وفي رواية عند مسلم: «كفا بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته».

فيجب على كل مسلم أن يؤدي إلى كل ذي حق حقه ابتداءً بحق الله واختتاما بحق العبيد.

اللهم أعنا على أداء الحقوق لأهلها ، اللهم أعناعلى توحيدك وعبادتك وجنبنا الشرك والكفروالفسوق والعصيان ، اللهم جنبنا الفتن ماظهر منها وما بطن ، اللهم أعنا على طاعة الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار ، اللهم اغفرلنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والأموات ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين.





حرمة دم المسلم وإزهاق روحه بغير حق وذكر الوعيد في ذلك

الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إنَّ الحَمْدَ للَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُه وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس:

إن الناظر إلى حال الأمة ا لإسلامية في هذا الزمان يراها في حالة يرثى لها من

وجود الفتن والخلافات فيها، والتفرق والتشرذم في صفوفها ، وانتشار القتل وسفك الدماء في أوساطها، فصار المسلمون يقتل بعضهم بعضًا وصارت نفس المؤمن رخيصة عند كثير منهم فصار المسلم يقتل أخاه المسلم لأتفه الأسباب ومن أجل حطام سافل أو عرض زائل وهذا سبب الجهل الذي خيم على أذهان كثير من المسلمين والعصبية التي عشعشت على قلوب كثير منهم والعادات والتقاليد الجاهلية التي ورثوها عن بعض الآباء والأجداد وبسبب الحزبية المقيتة التي استوردوها من أعداء الإسلام التي فرقت بين المسلمين فجعلتهم شذرَ مذر، إذ جعلتهم فرقا متناحرة وأحزابا متنافرة، وقبائل متقاتلة، وذلك من أجل الحصول على الملك والمناصب ، والجاه والأموال، فسُفكت الدماءُ، وقُتل الأبرياءُ، ويُتِم الأبناءُ، ورُملتِ النساءُ ولا حول ولا قوة إلا بالله، فصار المسلم يخرج من بيته إلى مسجده أو إلى عمله وشأنه فلا يرجع إلا محمولاً على الأكتاف لا يدري لماذا قتل، فإنالله وإنا إليه راجعون. وهذه من علامات الساعة ودليل على قربها كما أخبرنا نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله المستعان.

فيا أيها المسلمون :

اعلموا وفقكم الله وجنبنا وإياكم ما يسخطه ويأباه، أن جريمة القتل أعظم جريمة في حق البشرية، وأن الله رتب عليها أعظم عقوبة دنيوية وأخروية ، لشناعة هذه الجريمة ،لأن فيها إزهاقًا للأرواح، ويترتب عليها مفاسد كثيرة، من تيتيم الأولاد ، وترميل النساء، وتفكك الأسر، وضعف المسلمين، وزرع الأحقاد والأضغان ، والثأر بين المسلمين ، وغيرذلك.

ولهذا جاء أشد وعيد في القرآن الكريم على قتل النفس التي حرم الله ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء:٩٣] .

فمن تجرأ على قتل مسلم بغير حق جوزي بخمس عقوبات وهي اللعنة والغضب من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والعذاب العظيم في جهنم والخلود فيها أي المكث الطويل فيها إلا إذا استحل دم أخيه فإنه يخلد فيها لأنه كافر بالله رب العالمين.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن القاتل يستحق الخلود في جهنم إن جازاه الله على جريمته وإلا فهو تحت مشيئة الله، وقد كان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يرى أنه لا توبة للقاتل عمدًا.

فأين القتلة من هذا الوعيد؟ ، فإن القتل بغير حق لا يصدر من مؤمن فإن القاتل ناقص الإيمان لم يمنعه إيمانه من النفس التي حرم الله.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾[النساء: ٩٢] .

أي لا يمكن أن يحصل من المؤمن القتل إلا عن طريق الخطأ ، ومع هذا إن حصل القتل خطأً فلابد من الكفارة ، وهي صيام شهرين متتابعين ، وتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة إلى أهله ، كما ذكر الله في الآية الآنفة الذكر ، فقد رتب الله على ذلك كفارة مغلظة ، لعِظَم حرمة دم المسلم .

وكثرة القتل من علامات الساعة لأنها من العظائم، فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**وَالَّذِي نَفْسِي**

بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ» .

و روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ» قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ».

فكم وكم حذر الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه الجريمة البشعة .

ففي الصحيحين عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال وهو في الشهر الحرام وفي البد الحرام وفي يوم النحر: « **فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ - حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا - أَوْ ضُلَّالًا - يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلِّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ** «، **ثُمَّ قَالَ**: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**» ، قالوا: نعم. قال: «اللهم فاشهد».

وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» أي كفر أصغر إلا من استحل فيكون كفرا أكبر.

فلا يحل قتل المسلم مهما كان عاصيًا إلا إذا اقترف واحدة من ثلاثة أشياء، بينها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ** ». والحديث متفق عليه.ومعنى التارك للجماعة، أي: المرتد.

وهذا هو معنى قوله تعالى إلا بالحق في قوله:﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ أي إذا ارتكب إحدى هذه الثلاث.

والذي يتولى قتله هو ولي الأمر سدا لباب الفتنة حتى لا يأتي مغرض يقتل شخصا بحجة أنه مرتد أو ساحر أو قاتل أو زانٍ بغير حجة ولا برهان، ولأن فيه افتئاتًا على ولي الأمر وتعديا على حقه وفتح باب القتل والقتال على مصراعيه فيصير كل إنسان يقتل من يريد لأنه فعل كذا وكذا أو لأنه كذا وكذا.

فيا عباد الله إن جريمة القتل مهلكة وموبقة لصاحبها ، فالقاتل قد أوبق نفسه في الدنيا والأخرى ، فأما الدنيا فبالضيق والضنك والخوف والقصاص وفي الآخرة بالنار، ولهذا روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، **قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ»** .

فانظر يا رعاك الله كيف عطف قتل النفس على أعظم معصية عصي الله بها وهي الشرك بالله والسحر وجعل القتل مرتبة ثالثة بعد الشرك والسحر يدل على قبح جريمة القتل وشدة خطره.

فيا عباد الله إذا كان لا يجوز للعبد أن يقتل نفسه ومن قتل نفسه فله النار فكيف بمن يقتل مسلمًا؟ .

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ**

فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا».

وإذا كان لا يجوز قتل الكافر الذمي أو المعاهد أو المستأمن في البلاد الإسلامية فكيف يجوز قتل المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ؟.

فقد روى البخاري عن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**».

وإذا كان الذي يشير على أخيه بالسلاح أو الحديد مجرد إشارة تلعنه الملائكة فكيف بالذي يجرح؟ وكيف بالذي يقتل؟.

فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَنْ أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ لَعَنَتْهُ المَلائِكَةُ».

وفي صحيح مسلم أن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ**» .

فمن هذا الباب أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظ السلاح وتأمينه وعدم العبث به وحفظه من أيدي الأطفال والاحتراز عليه عند دخول الأسواق كل هذا حفظا للدماء وسدا لذريعة القتل.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي مُوسَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا، أَوْ فِي سُوقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ، فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا بِكَفِّهِ، أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ**» .

وفي رواية له: قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِى مَجْلِسٍ أَوْ سُوقٍ وَبِيَدِهِ نَبْلٌ فَلْيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا ثُمَّ لْيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا ثُمَّ لْيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا** ».كررها

ثلاثًا تأكيدًا للأمر واهتمامًا به.

فانظر يا عبد الله كيف أكد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حفظ النبل ثلاث مرات، وهي نبل فإن السلاح الحديث يحفظ أكثر من باب أولى لشدة خطورته وسرعة ضرره وانفلاته، فمن قصر في ذلك فحصل الأذى للمسلمين لحقه من الإثم بقدر تقصيره ومخالفته، فكم أزهقت من الأرواح بسبب العبث والمزاح بالسلاح فانتبه يا مسلم .

أيها الناس إن جريمة القتل تفرح الشيطان وتغضب الرحمن وتفرق الخلان وهي من خصال الفسوق والعصيان.

فقد روى ابن حبان عَنْ أَبِي مُوسَى ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**إِذَا أصبحَ إِبْلِيسُ بثَّ جُنُودَهُ فَيَقُولُ: مَنْ أَضلَّ الْيَوْمَ مُسْلِمًا ألبستُهُ التَّاجَ قَالَ: فَيَخْرُجُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى طلَّقَ امْرَأَتَهُ: فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَتزَوَّجَ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عقَّ وَالِدَيْهِ فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَبَرّهماَ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى أَشْرَكَ فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ وَيَجِيءُ فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى زَنَى فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قتلَ فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ وَيُلْبِسُهُ التَّاجَ**».

ومعنى قوله:« أنت أنت»: أي أنت الذي صنعت شيئًا عظيمًا وأنت المقرب عندي فيقرب الذي دفع المسلم إلى قتل أخيه ويلبسه التاج إكراما له.

فيا ويل الذين يتسببون في سفك دماء المسلمين وإزهاق أرواحهم، فقد صار المسلمون في حالة يرثى لها من كثرة القتل والفتن ، بسبب المظاهرات والاعتصامات والانقلابات، والخروج على الحكام.

آلاف الأنفس التي أزهقت وآلاف النساء التي رملت وعشرات الآلاف

من الأبناء والبنات التي يتمت وكل ذلك بسبب تفشي القتل وانتشاره في هذا الزمان فمن تسبب في ذلك فله قسط من الأوزار وإن لم يباشر القتل بنفسه، وكل نفس قتلت ظلمًا فلابن آدم الأول قسط من وزرها.

فقد روى الإمام مسلم عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**» .

وروى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ**».

ولا يخفى قصته التي ذكرها الله في سورة المائدة بقوله: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ ﴾[المائدة:٢٧].

إلى أن قال: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢ ﴾[المائدة : ٣٢].

فانظروا كيف جعل الله قتل النفس الواحدة كقتل الناس جميعًا ، لأن الذي

يقدم على قتل نفس واحدة ، لايبالي بأن يقتل جميع الناس.

فإن قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعًا لأن من تجرأ على قتل مسلم عمدًا بغير حق فلا فرق عنده في قتل الناس جميعًا ، وقيل من استحل قتل مسلم بغير حق فكأنما قتل الناس جميعًا في الإثم .ذكره البغوي عن قتادة

قال المفسر السعدي: « ..فلما تجرأ على قتل النفس التي لم تستحق القتل علم أنه لا فرق عنده بين هذا المقتول وبين غيره، وإنما ذلك بحسب ما تدعوه إليه نفسه الأمارة بالسوء. فتجرؤه على قتله، كأنه قتل الناس جميعًا.

ويدخل في ذلك الذين يشاركون في الحروب القبلية والطائفية والحزبية وغيرها من الأمور التي تحصل بين المسلمين بغير حق.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: **«مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»**.

فيا أيها المسلمون:

دماء المسلمين غالية وأنفسهم زكية عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهي أعظم عند الله من الكعبة المشرفة، ولأن تزول الدنيا بأسرها أهون عند الله من قتل مسلم، فمن تجرأ على هذه الجريمة ففي إيمانه خلل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ﴾ [النساء:٩٢].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: يمتنع ويستحيل أن يصدر من مؤمن قتل مؤمن، أي: متعمدًا، وفي هذا الإخبارُ بشدة تحريمه وأنه مناف للإيمان أشد منافاة،

وإنما يصدر ذلك إما من كافر، أو من فاسق قد نقص إيمانه نقصًا عظيمًا. اهـ

فقد روى ابن ماجهْ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ**» رواه البيهقي والأصبهاني وزاد فيه: «**ولو أن أهل سماواته وأرضه اشتركوا في دم مؤمن ؛ لأدخلهم الله النار**».

فانظر يا عبد الله تزول الدنيا بما فيها من ممتلكات وأراضي وعقارات ومصانع وطائرات ومراكب وسيارات وغير ذلك، ولا يقتل المسلم، فكيف بالذي يقتل أخاه المسلم من أجل أمتار من الأرض أو من أجل حطام زائل فأين هذا من هذا وأين هذا من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق**» ، فهذا مثال بليغ ضربه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحرمة دم المسلم ولنفسه ولحقَارة الدنيا لمن كان له قلب أو عقل سليم فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضرب هذا المثال لأن الناس يعظمون الدنيا ويتقاتلون من أجلها، فإذا تقرر عندهم أن زوال الدنيا بحذافيرها ـ فضلًا عن شيء يسير منهاـ أهون من قتل المسلم، صار عندهم القتل عظيمًا ومستقبحا ، وزوال الدنيا يستلزم زوال جميع الساكنين فيها فيموت الناس جميعًا ولا يقتل مسلم ويسفك دمه بغير حق.

فحرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة عند الله تعالى فقد روى ابن ماجهْ عن عَبْد الله بْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ: «**مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ الله حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ وَدَمِهِ**».

فكل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ويعمل بهما فإن

دمه معصوم وعرضه مصون وماله محفوظ ، لما روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ » .

ولهذا أنكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لما قتل الرجل المشرك بعد أن قال لا إله إلا الله.

فقد روى البخاري ومسلم عن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: «**يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» **قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ**». وفي رواية لمسلم: قال:«**أفلا شققت قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟**».

ففيه أن الناس يعاملون بالظاهر حتى يظهر منهم ما ينافي ذلك، فمن قال لا إله إلا الله فإنه يعامل معاملة المسلمين فإن ظهر منه ما يناقضها ، فإنه يعامل معاملة الكافرين المشركين.

وقول أسامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :«حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»: معناه أنه تمنى أن إسلامه كان قبل ذلك اليوم ليغفر الله له ذلك الذنب بالإسلام لأن الإسلام يمحو ويجبُّ ما قبله.

فالشاهد أن من قال هذه الكلمة العظيمة، كلمة التوحيد، فإنه لا يجوز قتله، فكيف يقتل الآلاف من المسلمين الموحدين بغير حق وبغير ذنب؟فإلى الله المشتكى.

فهذا الرجل الذي قتله أسامة كان مشركًا ولما رفع أسامة عليه السيف قال: لا إله إلا الله، فظن أسامة أنه ما قالها إلا لينجو من القتل، فعاتبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه قال كلمة التوحيد، فما هي حجة أصحاب الاغتيالات والتفجيرات الذين يفجرون في أماكن فيها عشرات ومئات المسلمين ممن يقولون لا إله إلا الله؟ .

فعلامَ يستحلون دماء المسلمين بأدنى الشبه والأفكار المنحرفة، فإن هذه الأفعال لا تمتُ إلى الإسلام بصلة والإسلام من هذا براءٌ، أما ما يستدلون به من قصة كعب بن الأشراف وأبي رافع اليهوديين فليس لهم فيه حجة لأمور .

منها: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي أرسل بقتلهما فهو ولي الأمر، فإن رأى ولي الأمر المصلحة في اغتيال رجل من الكفار دون حدوث مفسدة على الإسلام والمسلمين فله ذلك أما هؤلاء أصحاب الاغتيالات والتفجيرات ليس لهم ذلك لأنهم ليسوا أولياء أمور ، وأيضًا ليس في صنيعهم هذا تحقق أدنى مصلحة للإسلام والمسلمين بل المفاسد متحققة فيذهب أحدهم يغتال رجلاً كافرا أو يفجر نفسه في مجامع الكفار فيقتل منهم رجلاً أو رجلين فينتقمون من عشرات المسلمين فيقتلونهم أو يغتصبون نساءهم أو يشردونهم من ديارهم، وربما انتقموا من دولة مسلمة بكاملها فيدمرونها بسبب هذه الأفعال.

ثانيًا: كعب ابن الأشراف وصاحبه كانا كافرين قد آذوا الله ورسوله أما هؤلاء يذهبون يفجرون في أوساط المسلمين فما ذنبهم؟ أو يذهب يفجر كفار غير محاربين فيقتل النساء والأطفال والكبار وهذه الطريقة غير مشروعة، وتشوه بأهل الإسلام، وقد حذر الشرع من قتال النساء والأطفال والعجائز وهذا في وقت الحروب والمعارك فكيف بهؤلاء؟ فإنهم يأتونهم في غرة وفي سلم وهم آمنون ، فهذه الأفعال تعد تشويهًا للإسلام، حتى كره بعض الأعاجم

الإسلام بسبب سوء معاملة بعض أهله، فربما أراد بعضهم أن يسلم فيترك الإسلام بسبب ذلك، وربما ارتد بعضهم ممن قد كان أسلم .

فاحذر يا مسلم أن تلطخ يدك بالدماء الزكية إياك أن تنجس يدك بإزهاق الأنفس البريئة فإنها ورطة من أعظم الورطات التي لا مخرج لها في الدنيا ولا في الآخرة إلا أن يشاء الله فالأمر خطير جدًا.

ولهذا يأتي المجرم يوم القيامة يتمنى لو يفتدي من عذاب يوم القيامة بأبنائه وإخوانه وأمه وأبيه وقبيلته بل وجميع من في الأرض لينجو بنفسه قال الله : ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ ﴾[المعارج : ١١ - ١٧].



الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإن جريمة القتل يا عباد الله أبشع جريمة على وجه الأرض في حق الآدميين، ويترتب عليها حدود وعقوبات عظيمة.

أما في الدنيا فالنكد والمعيشة الضنك، فقد روى البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**» ، وفي رواية عند أبي داود: «**فإذا أصاب دمًا حرامًا بلَّح**».

فإن الإنسان في سعة من أمره مالم يرتكب هذه الجريمة ، وإنه مهما ارتكب من الذنوب فإن له منها مخارج إلا القتل فليس له مخرج، فإنه إن قتل فقد أوقع نفسه في ورطة عظيمة وبلاء كبير لا يكاد يتخلص منه ، لأن الإسلام جاء لحفظ الضروريات الخمس وهي النفس والدين والعرض والعقل والمال فحفظ النفس من الضروريات الخمس التي يجب حفظها فمن قتل نفسا ربما ضيق عليه وضاق صدره وخسر دنياه وأخراه وربما أدت به تلك المعصية إلى الكفر بالله والعياذ بالله ولهذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإذا أصاب دما حرامًا بلح**». أي انقطع به السير وهلك ، والدم الحرام يشمل دم المسلم ودم الذمي والمعاهد والمستأمن .

وقال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لها لمن أوقع

نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله.

ومن عقوبات القاتل في الدنيا القصاص لأن نفسه ليست خيرًا من نفس الذي قتل فإذا أقيمت الحدود على القتلة عصمت الدماء ، وإذا علم القاتل أنه سيقتل قصاصا ما يتجرأ على القتل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[البقرة:١٧٩].

فنسأل الله ان يوفق حكام المسلمين لإقامة حدود القصاص على القتلة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ [المائدة:٤٥].

ولو اشترك مجموعة في قتل مسلم فإنهم يقتلون به جميعًا لقبح هذه الجريمة وحرمة دم المسلم ففي صحيح البخاري عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما-، أَنَّ غُلاَمًا قُتِلَ غِيلَةً، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : «**لَوِ اشْتَرَكَ فِيهَا أَهْلُ صَنْعَاءَ لَقَتَلْتُهُمْ**» ومعنى غيلة أي خديعة واغتيال ، وأما عقوبات يوم القيامة ، فالنار وبئس القرار ، إلا من شاء الله ممن تاب وأتى بشروط التوبة ، ومنها أن يقدم نفسه للقصاص ، أو يقبلون منه الدية ، أو يعفون عنه،فإن على القاتل ثلاثة حقوق :

الحق الأول: حق الله ويسقط بالتوبة النصوح.

الحق الثاني: حق أولياء المقتول ويسقط بالقصاص أو الدية أو العفو.

الحق الثالث: هو حق المقتول وهذا يكون يوم القيامة يجمع الله القاتل والمقتول فيقضي بينهما فإن صدق القاتل في توبته فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرضي كلا منهما بما شاء، فإن لم يتب القاتل فإنه يبوء بإثم المقتول ويدخل النار.

فإن أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء ، وهذا بالنسبة لحقوق المخلوقين، أما بالنسبة لحق الله فإن أول ما يحاسب عليه العبد هوالصلاة .

فقد روى البخاري ومسلم عن عَبْدَ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالدِّمَاءِ**» فهذا يدل على التغليظ في أمر الدماء لعظم أمرها وكبير خطرها.

وروى الترمذي والطبراني عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَأَلَهُ سَائِلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، هَلْ لِلْقَاتِلِ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَالْمُعْجَبِ مِنْ شَأْنِهِ: مَاذَا تَقُولُ؟، فَأَعَادَ عَلَيْهِ مَسْأَلَتَهُ فَقَالَ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ؟ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ؟ سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «يَأْتِي الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا رَأْسُهُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ، مُتَلَبِّبًا قَاتِلَهُ بِيَدِهِ الْأُخْرَى، تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا، حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ الْعَرْشَ، فَيَقُولُ الْمَقْتُولُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ: هَذَا قَتَلَنِي؟ فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَاتِلِ: تَعِسْتَ، وَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى النَّارِ».

وروى النسائي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ، فَيَقُولُ: فَإِنَّهَا لِي. وَيَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِفُلَانٍ فَيَبُوءُ بِإِثْمِهِ** ».

وهذا حال كثير من الناس ، يقتل النفس البريئة من أجل القبيلة ،أو المشيخة أو الحزبية ، لتكون العزة والمكنة والسلطة لفلان ، ولم يدرِ هذا المغفل ماذا جنى على نفسه من الويلات ، وما عسى فلان هذا أن ينفعه؟.

فقد جاء عند أبي داود والحاكم وابن حبان عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقولُ: «**كلُّ ذنبٍ عسى اللهُ أن يغفِرَهُ، إلا مَن ماتَ مُشرِكًا، أو من قتَلَ مؤمنًا مُتعَمِّدًا**».

والقاتل متوعد بالنار ففي الصحيحين عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ

رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**إِذَا التقى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**» أي :عازمًا ومريدًا لقتل أخيه المسلم.

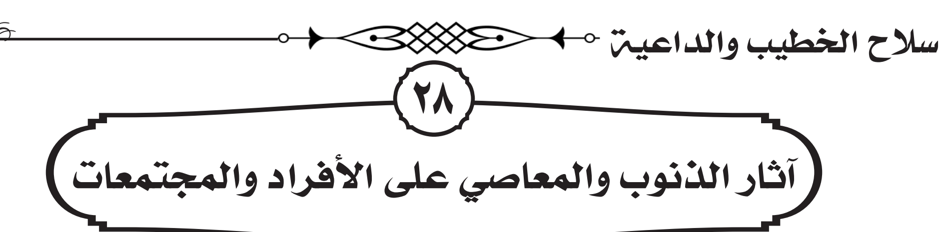
وهذا يكون فيما إذا كانت المقاتلة في باطل أو عصبية أو نحو ذلك أما إذا كان المقتول مظلومًا أو مدافعا عن نفسه أو حقه أو لم يكن مريدا لقتل صاحبه فلا يكون في النار لأدلة أخرى تبين ذلك، أما هذا الذي في الحديث، فإنه كان عازما على قتل أخيه لكنه عجز ولم يستطع فكتب له ما نوى.

و قوله:(**القَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ**) ليس إثم المقتول كإثم القاتل الذي حقق القتل، فإن إثم القاتل أكبر وجرمه أعظم ، فإنه يؤثم على المقاتلة والقتل، بينما المقتول يؤثم على المقاتلة فقط لأنه لم يقتل.

ونختم بهذا الحديث الذي يبين خطورة سفك الدم الحرام وأنه قد يحول بينه وبين الجنة أو يحبس عن دخولها إلى حين، وإلى ما شاء الله ، فقد روى الطبراني والبيهقي عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ مِلْءُ كَفٍّ مِنْ دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَنْ يُهْرِيقَهُ كَأَنَّمَا يَذْبَحُ بِهِ دَجَاجَةً، كُلَّمَا تعَرَّضَ لِبَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ حَالَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَجْعَلَ فِي بَطْنِهِ إِلَّا طَيِّبًا، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ** » .

فيجب على العبد أن يتنزه عن الدماء المحرمة وأن يتقي الله في الأنفس البريئة والأرواح الزكية قبل أن يعض على أنامل الندم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون

اللهم احقن دماء المسلمين ،اللهم أصلح أحوال المسلمين وردهم إلى دينك ردًا جميلاَ ، اللهم جنبنا وبلادنا وبلاد المسلمين الفتن، ما ظهر منها وما بطن ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



٢٨
آثار الذنوب والمعاصي على الأفراد والمجتمعات

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا الصادق الأمين، قائد الغر المحجلين، وإمام المتقين، وسيد المرسلين، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، فتح الله به آذانا صما ،وأعينا عميا ،وقلوبا غلفا، تركنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتبعها إلا كل منيب سالك، جاهد في الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين من ربه، فما من خير إلا ودل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، فصلوات ربي وسلامه عليه، صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنه لا يخفى على مسلم آثار الذنوب والمعاصي و نتائجها السلبية على الفرد والمجتمع، فإن الذنوب والمعاصي هي سبب الدمار والهلاك وهي سبب البلايا والرزايا والمصائب والزلازل وسبب للأمراض والأسقام وسبب للشدة والقحط ومنع القطر من السماء ، قال الله في كتابه الكريم : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ [الشورى:٣٠].

و قال تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩ ﴾ [النساء:٧٩].

وقال سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨ ﴾ [النحل: ١١٨].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢ ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١ ﴾ [الأنعام: ١٣١].

وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

كل هذه الآيات وأمثالها تبين أن ما نزل بالناس من مصائب وبلايا أن ذلك بسبب ذنوبهم وبعدهم عن دينهم وعدم تمسكهم بكتاب ربهم وسُنَّة نبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسواء كان ذلك حاصلا من جميعهم أو من بعضهم فإن المصائب تعم الجميع، الصالح والطالح، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وروى البخاري ومسلم عن عَائِشَةُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**»، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله! كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟، «**قَالَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِم**».

فيه بيان خطورة مصاحبة أهل المعاصي ومجالستهم، فإنها إذا نزلت المصائب فإنها تشمل الجميع.

ومن رحمة الله أنه لا يؤاخذ عباده بكل ذنب ارتكبوه، كما بين ذلك بقوله:

﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ ولو آخذ العباد بكل ما اكتسبوا لهلكوا .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر:٤٥].

وإن الناظر في الأمم السابقة يرى أن سبب هلاكهم ونزول العذاب عليهم هي ذنوبهم وكفرهم بالله رب العالمين.

فقد أهلك الله قوم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالطوفان، وذلك لأنهم كفروا بربهم ، وضللوا نبيهم.

وأهلك الله عادًا بالريح العقيم، التي لا تدع شيئًا إلا جعلته كالرميم، وذلك بسبب كفرهم ، ولأنهم سفهوا هودًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وأهلك الله ثمود بالرجفة والصيحة الشديدة، لأنهم عتوا عن أمر ربهم، وعقروا الناقة التي جعلها الله آية لهم.

وأهلك الله قوم لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ وقلب عاليها سافلها لأنهم قلبوا سُنَّة الله، وأتوا الرجال شهوة من دون النساء وكانوا قوما مسرفين.

وأهلك الله قوم شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعذاب يوم الظُّلَّة، لأنهم كفروا بنبيهم وتوعدوه بإخراجه من بلده، وكانوا يطففون الكيل والميزان.

وأهلك الله فرعون وقومه بالغرق لأنهم تكبروا على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ واستضعفوا بني إسرائيل، فأهلكهم الله، وأورث أرضهم وديارهم للذين كانوا مستضعفين في الأرض، ودمر الله ما كان يصنع فرعون وقومه، وما كانوا يعرشون.

وهذا هو مصير كل أمة كذبت نبيها وعصت ربها وهو الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة ، قَالَ تَعَالَىٰ بعد أن ذكر جملة من الأمم وما ذا حل بهم من النكال والعذاب : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الأعراف:٩٤-٩٥] .

و قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام : ٤٢ – ٤٥].

وفي هذا المقام نتطرق إلى بعض آثار الذنوب والمعاصي التي تنزل بالناس بسبب الذنوب والمعاصي.

*** فمن هذه الآثار يا عباد الله نزول المصائب وحصول العذاب** قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود:١٠٢] .

وروى ا لبخاري ومسلم عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**» **قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود:١٠٢]

أي أن الله يمهله ثم يأخذه بغتة فلم يتركه حتى يستوفي عقابه.

وقال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم:٤١].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: استعلن الفساد في البر والبحر أي: فساد معايشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها. اهـ

وروى الطبراني عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا اخْتَلَجَ عِرْقٌ** - أي انتزع - **وَلا عَيْنٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا يَدْفَعُ اللهُ عَنْهُ أَكْثَرُ**».

وروى الترمذي عن أَبِي مُوسَى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: لاَ يُصِيبُ عَبْدًا نَكْبَةٌ فَمَا فَوْقَهَا أَوْ دُونَهَا إِلاَّ بِذَنْبٍ، وَمَا يَعْفُو اللهُ عَنْهُ أَكْثَرُ، وَقَرَأَ ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى:٣٠].

وروى ابن ماجهْ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا. وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ. وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**».

ففي هذا الحديث وعيد شديد لأصحاب هذه المعاصي إذ ذكر فيه خمس عقوبات عاجلة مترتبة عن خمس معاصٍ ذميمة، والناظر في هذا الزمان يرى هذه المعاصي حاصلة ويرى هذه العقوبات نازلة.

العقوبة الأولى: انتشار مرض الطاعون والأوجاع والأسقام التي عجز الأطباء عن علاجها والتي لم تكن موجودة في الأزمان المتقدمة كمرض الإيدز والسيلان والكبد والأنفلوزا والزهري والجلطات الدموية والسكتات القلبية وذلك بسبب انتشار الفواحش بين الناس وإعلانها حتى صار لها أماكن وفنادق خاصة بها والعياذ بالله.

العقوبة الثانية: القحط والجدب والشدة والجوع وشدة المئونة وهي الكلفة والغلاء وتدهور العملة وذلك بسبب تطفيف الكيل وخسران الميزان، ويدخل في ذلك عدم الوفاء في المكيلات والموزونات والمقيسات والمعدودات، وهو عام في المأكولات والمشروبات والمبيعات والأراضي والعقارات فإذا بخسوا هذه الأشياء وخسروها حلت بهم تلك العقوبات.

العقوبة الثالثة: منع القطر من السماء بسبب منع الزكاة ، ولولا أن الله يرحم البهائم ما نزل المطر، وقوله: « **ولولا البهائم لم يُمطروا**» دليل على أن البهائم أفضل منهم لأنها تؤدي وضيفتها وهؤلاء لم يؤدوا ما أوجب الله عليهم من الزكوات فمطروا بسبب هذه البهائم.

العقوبة الرابعة: تسلط الكفار على المسلمين وامتصاص ثرواتهم ، واحتلال بعض أراضيهم ، بسبب نقض عهد الله وعهد رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والعهود قسمان:وهي العهود والمواثيق والالتزامات التي بين الناس، والعهود التي بينهم وبين ربهم وبينهم وبين نبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها تحقيق

التوحيد والعمل بالسُّنَّة لكن لما نقض كثير من الناس عهد الله وعهد رسوله، وأخلوا في التوحيد والسُّنَّة سلط عليهم أعداءهم.

العقوبة الخامسة: تناحر المسلمين فيما بينهم من القتل والقتال والعداوة والبغضاء لاسيما بين الحاكم والمحكوم فيتسلط الحكام الظلمة عليهم ويحصل التمرد والعصيان من المحكومين على أولياء أمورهم وكل ذلك بسبب عدم تحكيم كتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾[الأنعام:٦٥]، ومعنى: ﴿عَذَابًا﴾ من فوقكم.

قال البغوي عن مجاهد رَحِمَهُمَا اللَّهُ وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: بالسلاطين الظلمة، وقال غيره: عذاب من السماء. اهـ

ومعنى قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾: أي يجعلكم فرقا وأحزابا متناحرة يقتل بعضكم بعضًا.

ومنها أن الله يولي عليهم الحكام الظلمة بذنوبهم كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾[الأنعام:١٢٩].

وجاء عن بعض السلف منهم الحسن البصري -رَحِمَهُ اللَّهُ- قال: «أعمالكم عمالكم وكيفما تكونوا يولى عليكم».

ومن آثار الذنوب والمعاصي على الفرد والمجتمع زوال النعم وتغير الأحوال:

قال الله في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾[الرعد:١١].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ ﴾ من النعمة والإحسان ورغد العيش ، ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها ، فيسلبهم الله عند ذلك إياها، ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾أي: عذابًا وشدة وأمرًا يكرهونه، فإن إرادته لا بد أن تنفذ فيهم فَإنه لا مَرَدَّ لَهُ ، ولا أحد يمنعهم منه. اهـ

فيُعلم من هذا أن النعم ترفع بسبب الذنوب والمعاصي ، وتدوم بالشكر والطاعات.

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم
وحافظ عليها بشكرالإله ... فإن الإله سريع النقم

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧ ﴾[إبراهيم:٧] .

و قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦ ﴾ [الأعراف:٩٦] .

في هذه الآيات أن التقوى والإيمان سبب لنزول بركات السماء وخروج بركات الأرض ، والذنوب والمعاصي سبب للمؤاخذة والعذاب من قوله: ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾.

ومن آثار الذنوب والمعاصي يا عباد الله تسلط الكفار على المسلمين:

والواقع خير شاهد فقد أصاب المسلمين الذل أمام أعدائهم حتى صاروا لا يصدرون إلا عن رأيهم ولا يسيرون إلا ضمن مخططاتهم ولا يحكمون إلا عن طريق قوانينهم وأنظمتهم إلا من رحم الله.

فتسلط الكفار عليهم وأدخلوا الديمقراطية والحزبية في أوساطهم وصارت المراقبة عليهم شديدة حتى لا يكادون يفعلون شيئًا إلا بإذن منهم بل صار بعض المسلمين يسارعون فيهم ويتسابقون إليهم ويسافرون إلى بلادهم ليحظوا بالمناصب عن طريقهم أو الظفر بشيء من لعاعة الدنيا وغير ذلك، فإنا لله وإنا إليه راجعون وكل هذا بسبب ذنوبهم، وحرصهم على الدنيا، وبعدهم عن دينهم وجهلهم بدين الله.

فقد روى الإمام أبو داود عن ثوبانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يوشِكُ الأُممُ أن تَداعَى عليكم كما تَداعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها**» فقال قائل: ومن قلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغثاء السَّيلِ، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ اللهُ في قلوبكم الوَهْنَ**». فقال قائلٌ: يا رسُولَ الله، وما الوهنُ؟، **قال: حبُّ الدُنيا وكراهيةُ الموتِ**» .

وروى ابن أبي عاصم عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لقريش: « **لن يزال هذا الأمر فيكم وأنتم ولاته، مالم تحدثوا ، فإذا فعلتم سلط الله عليكم شرار خلقه ، فيلحوتكم كما يلحت هذا القضيب**». أي يأخذوا ما عندكم ولم يدعو لكم شيئًا ، كما يلحت القضيب أي كما تقشر العصا.

وقد تقدم حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: « وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ».

ومن آثار الذنوب والمعاصي على المسلمين أنهم يصابون بالذلة والصغار:

فتورث المعاصي سوادا في الوجوه، وكلٌ بحسبه، وعلى قدر ذنوبه، بينما الطاعات تورث نورًا في الوجوه :﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح:٢٩] .

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والصلاة نور**». رواه مسلم عن أبي مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال تعالى عن الكافرين مبينًا سواد وجوههم، بسبب كفرهم ومعاصيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يونس:٢٧].

وكذلك المسلم العاصي يصيبه من الذلة وسواد الوجه بقدر ذنوبه ، ومصداق ذلك ما رواه أبو دواد عن ابن عمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يقول: «إذا تبايعتُم بالعِينَةِ، وأخذتم أذنابَ البقرِ، ورضيتُم بالزَّرْعِ، وتركتُم الجهادَ، سَلَّط اللهُ عليكم ذُلاًّ لا ينزِعُه حتى ترجِعُوا إلى دينكم»

والعينة هي نوع من أنواع الربا وهو أن يبيع السلعة بثمن معلوم إلى أجل، ثم يشتريها منه بأقل مما باعها له ليبقى الكثير في ذمته ويربح أموالا بغير حق، وهذا تحايل على الربا.

وقوله: «وتبعتم أذناب البقر» كناية بالاشتغال بالحرث عن الجهاد.

ومن أسباب الذلة والمهانة مخالفة سُنَّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والابتداع في الدين:

فقد روى البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقا عن عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» .

فمن خالف أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورغب عن سُنَّته فهو ذليل ومن أطاع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتابعه وعمل بسنته فهو عزيز، يؤخذ هذا من مفهوم هذا الحديث وغيره من الأدلة وعلى قدر متابعة العبد تكون له العزة والنصرة والحفظ والكلاءة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[الأنفال : ٦٤].

قال سفيان ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأيت صاحب بدعة إلا رأيت على وجهه ذلة قيل له: أفي كتاب الله هذا؟، قال: نعم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٢].

الشاهد قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لِكُلِّ مَنِ افْتَرَى بِدْعَةً، فَإِنَّ ذُلَّ الْبِدْعَةِ وَمُخَالَفَةَ الرِّسَالَةِ مُتَّصِلَةٌ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى كَتِفَيْهِ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّ ذُلَّ الْبِدْعَةِ عَلَى أَكْتَافِهِمْ، وَإِنْ هَمْلَجَت بِهِمُ الْبَغْلَاتُ، وَطَقْطَقَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ. وَهَكَذَا رَوَى أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِي، عَنْ أَبِي قِلابة الجَرْمي، أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ قَالَ: هِيَ وَاللهِ لِكُلِّ مُفْتَرٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: كُلُّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ ذَلِيلٌ. اهـ

ومن آثار الذنوب والمعاصي على المجتمعات حصول الفرقة والتشرذم والبغضاء بينهم

كما تقدم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[الأنعام:٦٥].

ومعنى: ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ أي: يجعلكم فرقًا وأحزابًا يعتدي بعضكم على بعض.

وفي حديث ابن عمر المتقدم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**» أي يسلط بعضهم على بعض فتنتشر بينهم العداوة والبغضاء.

وروى الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُولُ: « **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا، إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا** » .

وهذا هو المشاهد والواقع ترى المسلمين تفرقوا إلى جماعات متعددة وما ذلك إلا بسبب ما أحدثه بعضهم من المعاصي والبدع، بل وترى الجماعة الواحدة يتفرع عنها جماعات مختلفة، تخرج منها بسبب ما يحدثه بعضهم من المحدثات والمخالفات لدين الله وسُنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنهج السلف، وتبقى الجماعة المحقة على الأصل متمسكة بالكتاب والسُّنَّة، وهي الطائفة الناجية المنصورة، لا يضرها من خذلها، ولا من خالفها ، ويبقى الحق واحدًا وغيره هو الباطل ،وهذه هي سُنَّة الله في أرضه، ويأبى الله إلا أن يُتم نوره.

ففي البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ، حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ** ».

اللهم ثبتنا على الحق، وصرّف قلوبنا على الطاعة ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان.

الخطبة الثانية:

الحمد لله المحمود بكل لسان ، المعبود في كل زمان ، الذي لا يخلو من علمه مكان ، جل عن الأشباه والأنداد ، وتنزه عن الصاحبة والأولاد ، ونفذ حكمه في جميع البلاد ، لا تتوهمه القلوب بالتصوير ، ولا تتخيله العقول بالتصوير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] .

أما بعد:

فقد عُلم مما تقدم أن للذنوب آثارًا سيئة، وعواقب وخيمة، يعود ضررها على العبد؛ في الدنيا والآخرة.

فإياك إياك يا عبد الله أن تتساهل بالذنوب والمعاصي، أو تستهين بها أو تستصغر ذنبًا، أو تستحقره، فإن الذنوب قد تجتمع على العبد فتهلكه، ورُب ذنب صغير، يجر إلى ذنب كبير، ثم إلى أكبر ،وربما جرَّ صاحبه إلى الكفر والعياذ بالله، لأن جزاء السيئة سيئة مثلها، وجزاء الحسَنَة حسَنَة مثلها ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم:٧٥] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾[محمد : ١٧] .

وقال بعض السلف: إذا رأيت الرجل يعمل الحسَنَة فاعلم أن لها أخوات وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها أخوات. اهـ أو كما ل .

وروى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى**

يُهْلِكْنَهُ » وَإِنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا: كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ، فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، فَأَجَّجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا».

وفي صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «**إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْمُوبِقَاتِ**» أي: «الْمُهْلِكَاتِ».

وما أحسن قول القائل:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وإن من آثار الذنوب والمعاصي أنها تؤثر على القلب فيزيغ وينحرف عن الهدى.

وذلك أن الذنوب تغطي على القلب فلا يعرف الحق من الباطل ولا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[المطفّفين:١٤].

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمَعْنَى الْآيَةِ: أي:غَلَبَتْ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْمَعَاصِي وَأَحَاطَتْ بِهَا.

قَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ حَتَّى يَمُوتَ الْقَلْبُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ أي: طَبَعَ عَلَيْهَا. اهـ

ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الكهف:٥٧] .

أي :جعل الله على قلوبهم أغطية وعلى آذانهم صممًا فلا يهتدون إلى الحق بسبب ذنوبهم، وإعراضهم عن آيات الله.

وقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[الصف:٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣] .

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أتدري ما الفتنة؟، الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك. اهـ

قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رأيت الذنوب تميت القلوب   وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب   وخير لنفسك عصيانها

ومن آثار الذنوب والمعاصي يا عباد الله أنها تحرم العبد الأرزاق وتصرفه عن بعض العبادات:

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (الروم:٤١) .

قال البغوي في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ يعني: قحط المطر وقلة النبات» . اهـ

والمطر جعله الله مصدر الأرزاق، فإذا مُنع الناس المطر ، مُنِعُوا الأرزاق.

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنفال : ٥٣].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ العذاب الذي أوقعه الله بالأمم المكذبين وأزال عنهم ما هم فيه من النعم والنعيم، بسبب ذنوبهم وتغييرهم ما بأنفسهم،فإن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم من نعم الدين والدنيا، بل يبقيها ويزيدهم منها، إن ازدادوا له شكرا. ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ من الطاعة إلى المعصية فيكفروا نعمة الله ويبدلوها كفرا، فيسلبهم إياها ويغيرها عليهم كما غيروا ما بأنفسهم.اهـ

وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق:٢-٣] فمفهوم الآية أن من لم يتق الله لا يبارك له في رزقه.

وروى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» .

ومفهوم الحديث أن من قطع رحمه لا يبارك له في رزقه.

وفي الحديث القدسي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:« قال تعالى: يا ابن آدم؛ تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ،ويدك رزقًا ، ولا تباعد مني ، أملأ قلبك فقرًا ويدك شغلاً » رواه الحاكم عن معقل بن يسار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال بعض السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ : تركت القيام خمسة أشهر بذنب أصبته.

والذنوب قد تحرم العبد العلم والحفظ وقد تنسيه القرآن الكريم.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبـــرني بأن العـــلم نـــور   ونـور الله لا يؤتـاه عـاصي

فننصح أنفسنا وإخواننا بالبعد عن الذنوب والمعاصي ومن ألمّ بشيء من ذلك فليكثر من التوبة والاستغفار يُغفر له ما قد سلف ، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يعذب المستغفرين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الأنفال:٣٣].

فيجب على كل مسلم خصوصًا الدعاة إلى الله أن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر، فإن لم يأخذوا بيد الظالم وينصحوا العاصي يوشك أن يعمهم الله بعذابه.

فقد روى الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ،رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ**».

فإذا نزلت العقوبات والمصائب لا ينجو منها إلا الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر .

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾[الأعراف:١٦٤-١٦٥] .

فإن سكتوا عن المنكر جميعًا هلكوا جميعًا وإن أخذو ابأيديهم نجوا جميعًا.

فقد روى البخاري عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، عَنِ النَّبِيِّ

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا » .

فهذا من أبلغ الأمثلة التي ضربها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالذين في أسفل السفينة ضربه مثلاً لأهل المعاصي والذين في أعلى السفينة ضربه مثلاً للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فإنهم إن تركوا الذين في أسفل السفينة يخرقون السفينة غرقت بهم جميعًا، وإن منعوهم وأخذوا بأيديهم سلمت السفينة ونجوا جميعًا، وهكذا إن ترك الدعاة أهل المعاصي في معاصيهم، ولم يرشدوهم إلى الخير ويحذروهم من الشر، نزلت العقوبات فعمت الجميع نسأل الله العافية والسلامة.

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين ، اللهم حبب إلينا الإيمان، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهم جنبنا الفتن ماظهر منها ومابطن ، اللهم أعنا على الطاعات ، وجنبنا الذنوب والمعاصي والسيئات ، برحمتك يا أرحم الراحمين.



٢٩
عذاب القبر في الحياة البرزخية (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾

يقول الله في كتابه الكريم: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ

(١) تنبيه :لم أكتب خطبة عن الموت هنا، فإنني قد كتبتها في كتاب خطب المناسبات الذي هو بعنوان «زاد الخطيب والداعية..».

﴿ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[المؤمنون:٩٩-١٠٠] .

ففي هذه الآية الكريمة إثبات للحياة البرزخية وهي حياة أهل القبور، وهي الحاجز الوسط بين الدنيا والآخرة ، وهي حياة يتنعم فيها المطيعون ويعذب فيها الكافرون ومن شاء الله من عصاة المسلمين.

وفي هذه الآية إشارة إلى عذاب القبر من قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ ﴾. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: يخبر تعالى عن حال من حضره الموت، من المفرطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال، إذا رأى مآله، وشاهد قبح أعماله فيطلب الرجعة إلى الدنيا، لا للتمتع بلذاتها واقتطاف شهواتها وإنما ذلك يقول: ﴿ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ ﴾ من العمل، وفرطت في جنب الله ﴿ كَلَّآۚ ﴾ أي: لا رجعة له ولا إمهال، قد قضى الله أنهم إليها لا يرجعون، ﴿ إِنَّهَا ﴾ أي: مقالته التي تمنى فيها الرجوع إلى الدنيا ﴿ كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾ أي: مجرد قول باللسان، لا يفيد صاحبه إلا الحسرة والندم، وهو أيضًا غير صادق في ذلك، فإنه لو رد لعاد لما نهي عنه. ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ أي: من أمامهم وبين أيديهم برزخ، وهو الحاجز بين الشيئين، فهو هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة، وفي هذا البرزخ، يتنعم المطيعون، ويعذب العاصون، من موتهم إلى يوم يبعثون، أي: فليعدوا له عدته، وليأخذوا له أهبته. اهـ

أيها المؤمنون:

اعلموا أن الدور ثلاثة: دار الدنيا ودار البرزخ والدار الآخرة، وحديثنا في هذا اليوم المبارك عن عذاب القبر في الحياة البرزخية فإن فيها نعيما وعذابًا، أثبته الله في كتابه ونبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، فيجب الاستعداد لهذه الحياة والتزود لها من الأعمال الصالحة قبل الحسرة والندامة وقبل أن يتمنى العبد أن يرجع إلى الدنيا ليعمل صالحًا، فيقال له ﴿كَلَّآۚ﴾ لا رجعة ولا إمهال.

فقد روى ابن ماجهْ عَنْ البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: «**يَا إِخْوَانِي، لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا**».

فمن نجي من ذلك الموقف نجى فيما بعد، ومن هلك هلك فيما بعد إلا من رحم الله.

فقد روى الترمذي عن هَانِئٍ مَوْلَى عُثْمَانَ قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذْكَرُ الجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلاَ تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**». قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:« **مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**» . أي: أشد وأسوأ.

فعذاب القبر ثابت في الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

قَالَ تَعَالَىٰ عن فرعون مبينًا أنه يعذب في قبره: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ ﴾ [غافر:٤٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي اسْتِدْلَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى عَذَابِ الْبَرْزَخِ فِي الْقُبُورِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴾[التوبة:١٠١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما : هو عذاب القبر، والعذاب الأول في الدنيا بالقتل والسبي، وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب النار. اهـ

وقال تعالى: ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨ ﴾[التكاثر:١-٨].

أي ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ ﴾ بالدنيا والأموال والأولاد حتى متم وصرتم من أهل المقابر ، قال المفسر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيها إثبات عذاب القبر إذ جاء التوعد بعدها.اهـ

ـ ومن أدلة عذاب القبر قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾[طه:١٢٤] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر.

والثانية قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ﴾[الأنعام:٩٣] ، وبعض المفسرين يرى أن المعيشة الضنك عامة في دار الدنيا وفي دار البرزخ وفي الدار الآخرة. اهـ

وقدروى أبو يعلى وابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي قَبْرِهِ لَفِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ويُرْحَبُ لَهُ قَبْرُهُ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُنَوَّرُ لَهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ أَتَدْرُونَ فِيمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:** ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٤]، أَتَدْرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الضَّنْكَةُ؟ » قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: « **عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ ـ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ـ إِنَّهُ يُسلَّط عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينًا أَتَدْرُونَ مَا التِّنِّينُ سَبْعُونَ حَيَّةً لِكُلِّ حية سبع رؤوس يلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة**» .

ومن الأدلة على ثبوت عذاب القبر ما ثبت في الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ القَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَقَالَ: «**نَعَمْ، عَذَابُ القَبْر** » قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ زَادَ غُنْدَرٌ: «**عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ**» فما رأيته صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر.

وحث أمته على الاستعاذة من عذاب القبر دبر كل صلاة كما عند الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**».

والأدلة في إثبات عذاب القبر كثيرة وأما قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يس:٥١-٥٢] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «وَهَذَا لَا يَنْفِي عَذَابَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ؛ لِأَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا بَعْدَهُ فِي الشِّدَّةِ كَالرُّقَادِ. ـ يعني أنهم حينما يتنقلون من عذاب القبر إلى عذاب أشد منه وهو عذاب يوم القيامة كأنهم كانوا في رقاد مقارنة بعذاب النار ـ.

والتوجيه الثاني قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال الحسن وأُبي بن كعب ومجاهد : ينامون نومة قبل البعث. اهـ

واعلموا عباد الله أن للقبر ضمة لو نجى منها أحد لنجى منها سعد بن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو صاحبي جليل اهتز لموته عرش الرحمن.

فقد روى الطبراني عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ لَنَجَا سَعْدٌ، وَلَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ رُخِيَ عَنْهُ»

وروى الطبراني أيضًا عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عنه، أَنَّ صَبيًّا دُفِنَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَوْ أَفْلَتَ أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَأَفْلَتَ هَذَا الصَّبِيُّ**».

قال بعض أهل العلم من شراح هذه الأحاديث : بالنسبة للمؤمن يضم القبر عليه كضمة الأم لولدها الغائب عنها فالقبر يضم المؤمن برأفة ورفق، والعاصي يضمه بعنف، والكافر يضمه حتى تختلف أضلاعه، فالقبر صار للمؤمن كالأم التي غاب عنها أولادها فهم غائبون عن القبر غيبة طويلة ، فالمؤمن الكامل ينضم عليه ثم ينفرج سريعًا والمؤمن العاصي يطول ضمه ثم يتراخى عنه بعد والكافر يدوم ضمه. اهـ

وللقبر فتنة وهي سؤال الملكين منكر ونكير وكل الناس يسأل في قبره إلا من استثني بدليل كالمرابط في سبيل الله في الثغور ، ومن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ، فهؤلاء لا يُسألون في قُبورهم .

فقد روى أبو داود عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ مِنَ فَتَّانِ الْقَبْرِ»

وروى الترمذي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ إِلاَّ وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ القَبْرِ».

وقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يخافون من فتنة القبر لأنها الموقف الذي ينجو العبد عنده أو يهلك وهي لحظات سؤال الملكين، لأن ذلك الموقف يحصل فيه فتنة وخوف على الرجل وربما تحيَّرالعبد عن الجواب ولذلك سمي سؤال الملكين في القبر فتنة وفتّان .

فقد روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ذَكَرَ فَتَّانَ الْقُبُورِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَتُرَدُّ عَلَيْنَا عُقُولُنَا يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **نَعَمْ، كَهَيْئَتِكُمُ الْيَوْمَ** » فَقَالَ عُمَرُ: بِفِيهِ الْحَجَر.

عض عمررَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحجر من شدة الموقف وهو عمرالفاروق،فكيف بغيره؟!، لكن المؤمن يثبته الله ويضل الظالمين ويفعل الله ما يشاء فقد روى البزار عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت: يا رسول الله! أتبتلى هذه الأمة في قبورها، فكيف وأنا امرأة ضعيفة؟! قال: ﴿ **يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ** ٢٧ ﴾ [إبراهيم : ٢٧].

ويشرع الاستعاذة من فتنة القبر أي الاستعاذة من الحيرة من جواب الملكين

فعذابه قد ينشأ من فتنته بأن يتحير فيعذب.

فقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ بالله من فتنة القبر كما روى النسائي عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**».

فالمؤمن يثبت عند السؤال فيقول ربي الله ونبيي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وديني الإسلام والكافر والفاجر والمنافق لا يهتدي للجواب فيقول هاه هاه لا أدري فيعذب في قبره.

فقد روى أبو داود عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال بعد أن ذكر موت المؤمن ونعيمه في قبره ثم ذكر الكافر بعد موته فقال: « ... فتعاد روحه إلى جسده فيأتيه ملكان (وفي رواية عند الترمذي) ملكان أسودان أزرقان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري (وفي رواية عند أحمد) وإذا كان الرجل السوء أجلس في قبره فزعا مشعوفا فيقال له: فما كنت تقول فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت كما قالوا»ـ (يعني تقليدا لهم في الدين وهذا من أدلة تحريم التقليد في دين الله) ـ قال: فينادي منادٍ من السماء أن قد كذب فأفرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا من النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه (وفي رواية): ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد أي مطرقة لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح...» الحديث.

وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمع أصوات المعذبين في قبورهم ويخبر أصحابه بذلك، وهذا من أدلة عذاب القبر.

ففي الصحيحين عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ أي غربت، فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**».

وروى مسلم عن أبي سعيد عن زيد بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ فَقَالَ: «**مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟**» ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ:« **فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟** » ، قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**» ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**» ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ».

ومعنى حادت به، أي :مالت عن الطريق ونفرت حتى كاد أن يسقط من على ظهرها.

الشاهد أن بغلته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أحست بعذاب هؤلاء المعذبين في قبورهم فأصابها الذعر، ولأن الدواب تسمع أصوات المعذبين كما ثبت عند الطبراني عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**إِنَّ الْمَوْتَى لَيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، حَتَّى إِنَّ الْبَهَائِمَ لَتَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمْ**».

ولهذا أمرهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالاستعاذة من عذاب القبر وأخبرهم أنهم لو سمعوا عذاب القبر الذي يسمع منه ؛ لما دفن بعضهم بعضًا من شدة الأهوال

التي تحصل في القبور.

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر ، وعذاب جهنم ، ومن فتنة المسيح الدجال ، ومن فتنة المحيا والممات ، ونعوذ بك من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن.



الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى ، وعلى آله وصحبه ومن بآثاره اقتفى.

أما بعد:

فقد ذكرنا من الأدلة على عذاب القبر ما فيه الكفاية وما بقي أكثر وأكثر.

ولكن هنا تنبيه: لا يظن أحد أن عذاب القبر خاص بالكفرة والمشركين والمنافقين، بل هو عام لهؤلاء وبعض عصاة المؤمنين من الموحدين.

فاحذر يا مسلم من الأعمال التي توجب عذاب القبر ، فهناك أصناف من المسلمين يعذبون في قبورهم بسبب أعمال سيئة ارتكبوها، فمن هذه الأعمال :التهاون بالصلاة والنوم عنها لاسيما صلاة الفجر، ومن هذه الأعمال الكذب والغيبة والنميمة والربا والزناء.

فالمتهاونون بالصلاة الذين ينامون عن صلاة الفجر، و الكذابون و الزناة والزواني، و أكلة الربا والمتعاملون به ممن يعذبون في قبورهم.

فقد روى البخاري عن سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «**هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا**» ، قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «**إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي**

بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى» ، قَالَ: « **قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ الله مَا هَذَانِ؟** »، قَالَ: « قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ »، قَالَ: « فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ « قَالَ: «ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى» قَالَ: « قُلْتُ: سُبْحَانَ الله مَا هَذَانِ؟ »، قَالَ: « قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ -قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ»، قَالَ: «فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللهبُ ضَوْضَوْا»، قَالَ: « قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلاَءِ؟ »، قَالَ: « قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ»، قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ - حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا» قَالَ: « قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَانِ؟ »، قَالَ: «قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ »،قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ المَرْآةِ، كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْآةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا»، قَالَ:« قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟»، قَالَ: « قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، .. » . الحديث

وفي آخره: قَالَ: « قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ « قَالَ: « قَالاَ لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيت عَلَيْهِ

يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ المَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ، وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الحَجَرَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ المَرْآةِ، الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ ... الحديث

ومعنى فيتدهده الحجر :أي يتدحرج، ومعنى :ضوضوا ، أي: صاحوا وارتفعت أصواتهم.ومعنى يفغرفاه:أي يفتح فاه.

فهذه رؤيا رآها نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورؤيا الأنبياء حق بل هي وحي تأتي كفلق الصبح كما رأى أبونا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في منامه أن الله أمره أن يذبح ابنه إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فامتثل أمر ربه ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرى رؤى هي من الوحي بل إن أول ما بدأ به من الوحي هو الرؤيا الصالحة.

فالشاهد أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى أربعة أصناف أو خمسة ممن يعذبون في قبورهم إلى أن يشاء الله.

فالأول هوالذي ينام عن الصلاة المكتوبة، والثاني هوالذي يرفض القرآن الكريم فلم يعمل به.

فأما الذي ينام عن الصلاة المكتوبة هي صلاة الفجر لأن الغالب أن كثيرًا من الناس ينامون عنها ومن نام عن صلاة أخرى حتى خرج وقتها فهو داخل في هذا الوعيد.

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الذي ينام عن الصلاة المكتوبة يعني لخروج وقتها

وفواته وهذا إنما يتوجه إلى تضييع صلاة الصبح وحدها لأنها هي التي تبطل بالنوم وفيها يجتمع ملائكة الليل والنهار وهي التي أكد الله المحافظة عليها وسائر الصلوات إذا ضيعت فحملها محملها. اهـ

وأما الذي يأخذ القرآن فيرفضه قال المهلب: يعني يترك حفظ حروفه والعمل بمعانيه، فأما إذا ترك حفظ حروفه وعمل بمعانيه فليس برافض له. اهـ

الصنف الثالث: الكذاب الذي يكذب في حديث الناس ، فإنه يعذب في قبره فاحذر يا مسلم من الكذب فإنه يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار كما ثبت ذلك عن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو في الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكلما كان الكذب أوسع انتشارا ، كان صاحبه أكثر إثما ولهذا قال في الحديث: « يَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ »ويدخل في ذلك الذين ينشرون الكذب في وسائل الإعلام كالقنوات والصحف والمجلات والشبكات والتواصل الاجتماعي، فإنهم يدخلون في الحديث دخولا أوليا، لأن أكاذيبهم تبلغ الآفاق.

والصنف الرابع : ممن يعذبون في قبورهم، الزناه والزواني ، فاحفظ فرجك يا عبد الله من الزنا ، واللواط ، وسائر الفواحش .

قَالَ تَعَالَىٰ في سياق مدح أهل الجنة: ﴿ **وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧** ﴾ [المؤمنون : ٥ - ٧].

وأما الصنف الخامس ممن يعذب في قبره هو الذي يتعامل بالربا فيأكل الربا ويضع أمواله في البنوك الربوية وقد جاء الوعيد في ذلك ولعن الشارع من تعامل بالربا، فقد روى مسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « **لَعَنَ رَسُولُ الله** - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - **آكِلَ الرِّبَا ، وَمُوكِلَهُ ،وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ** ».

ومن يعذبون في قبورهم الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وهم المغتابون لغيرهم بغير حق بخلاف الكلام في أهل الباطل والتحذير منهم فهو جائز فقد روى أبو داود عن أنسِ بنِ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لما عُرِج بي مررتُ بقوم لهم أظفارٌ من نُحاسٍ يخمُشونَ بها وجُوهَهُم وصدُورَهُم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريلُ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلُون لحومَ الناس، ويقعونَ في أعراضِهِم**».

قال المناوي قال الطيبي: لما كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات جعلها جزاء من يقع إشعارا بأنهما ليسا من صفة الرجال بل هما من صفة النساء في أقبح حالة وأشوه صورة. اهـ

ومن يعذبون في قبورهم الخطباء الذين يخالفون أقوالهم بأفعالهم ويأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف: ٢ - ٣] .

فقد روى أبو يعلى عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بقوم تُقْرَضُ شفاهُهم بمقاريض النَّارِ فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ** ». وزاد البيهقي «**ويقرأون كتاب الله ولا يعملون به**».

ومن يعذب في قبره النمام الذي يفسد بين الناس بالنميمة وهي نقل الحديث بينهم على جهة الإفساد بينهم، فقد روى البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ**

فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ» وفي رواية لمسلم:« **لا يستنزه من البول**»، وفي رواية عند النسائي: « **كان لا يستبرئ من البول**».

وهذا الصنف الذي لا يستر عورته عند قضاء الحاجة ، ولا يتنزه من البول عند بوله ولا يتحرى في تنظيفه ، وربما ثرثر البول على جسده وثوبه فيصلي وعليه نجاسة، ممن يعذب في قبره .

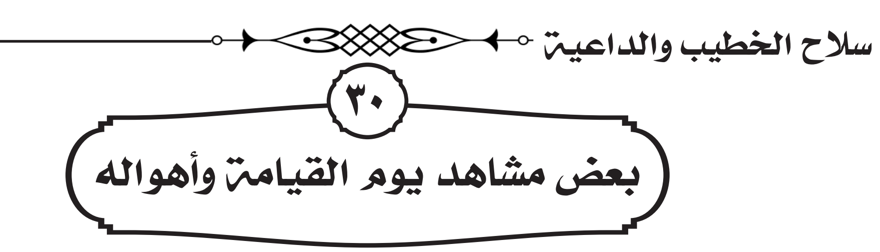
قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان لا يستنجي استنجاء تامًا وإذا أصاب البول ثوبه أو بدنه لا يبالي اهـ.

ويدخل في هذا الوعيد الذي يكشف عورته أمام الناس ولا يسترها فيرى الناس عورته كما في الرواية الأخرى : «**كان لا يستتر من بوله**».

هذه بعض الأصناف الذين يعذبون في قبورهم من المسلمين والكافرين وهناك أناس آخرين يعذبون في قبورهم لا يسع المقام لذكرهم .

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر وفتنته ، اللهم نور لنا قبورنا ووسع لنا فيها ، اللهم اجعلها لنا روضة من رياض الجنة ، ولا تجعلها حفرًا من حفر النار ، اللهم ثبتنا على الجواب ، وارزقنا الصواب ، ونعوذ بك من الحيرة عند الخطاب ، وعند السؤال والحساب يا رب الأرباب برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، والحمد لله رب العالمين.





٣٠
بعض مشاهد يوم القيامة وأهواله

الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إنَّ الحَمْدَ للَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَريْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾

فإن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[الجاثية:٢٦] .

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧ ﴾ [الحج:٧] .

وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩ ﴾[آل عمران:٩].

هذه الآيات تخبر بوقوع يوم القيامة الذي لا شك فيه ولا ريب، وأن الله يجمع فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد، حُفاة عُراة غرلًا، ويناديهم الجبار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وينزل لفصل القضاء بينهم، فيحشرون ويعرضون على ربهم في يوم كان مقداره خمسين ألف سَنَة، شاخصة أبصارهم إلى السماء،وتدنو الشمس من رؤوسهم مقدار ميل،فيعرقون حتى يذهب العرق في الأرض سبعين ذراعاً.

إنه اليوم الذي تشقق فيه السماوات، وتتحطم فيه الجبال ، وتندك الأرض والجبال فتصير، قاعًا صفصفًا ، لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا ، وتسجر فيه البحار ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ ﴾[المعارج:٨-١٠].

حينها ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ ﴾[عبس:٣٤-٣٧].

ومن شدة الأهوال ذلك اليوم ، تذهل المرضعات عن أولادها، وتضع الحوامل أجنتها ، ويشيب الولدان، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾ [الحج:١-٢].

وقال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾[المزمل:١٧-١٨].

وفي هذا اليوم تنتهي المودة وتنقطع الأنساب فلا ينفع الوالد ولده ولا يحمل الولد ذنب أبيه قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان:٣٣].

ولهذا حثنا الله على الاستعداد لهذا اليوم بالاستجابة لأمره، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾[الشورى:٤٧].

قال تعالى: ﴿ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾ [القيامة:١٠-١٢].

والكلام يطول عن أهوال يوم القيامة ، ولكن نذكر في هذا المقام بعض أحوال السماوات والأرض وما بينهما ، وما يحصل لهما يوم القيامة ، ونذكر بعض أحوال الناس والمواقف التي يمرون بها يوم القيامة، لعلنا نتعض ونعتبر، ونستعد وننزجر ، فمن لم تؤثر فيه هذه المواعظ فقد خاب وخسر.

فأما أحوال السماوات والأرض يوم القيامة ، فكما أخبر ربنا في كتابه الكريم ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٨] ، وتغيير السماوات والأرض يكون بتغيير صفاتهما وأحوالهما، فتنشق السماوات ، وتتغير ألوانها وتتساقط نجومها ، وتتكدر كواكبها ، وتندك الأرض ، وتتفتت جبالها وتُسجَّر بحارها .

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: وهي هذه السماوات والأرض على غير الصفة

المعروفة المألوفة. اهـ

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا التبديل تبديل صفات، لا تبديل ذات، فإن الأرض يوم القيامة تسوى وتمد كمد الأديم ويلقى ما على ظهرها من جبل ومَعْلم، فتصير قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، وتكون السماء كالمهل، من شدة أهوال ذلك اليوم ثم يطويها الله -تعالى- بيمينه. اهـ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ ﴾ [الزُّمر:٦٧] .

وروى الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ ﴾ [إبراهيم:٤٨] ، فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟، يَا رَسُولَ الله فَقَالَ: «**عَلَى الصِّرَاطِ**» وفي رواية: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ**» .

وتكون السماوات والأرض والجبال والشجر والماء والثرى على أصابع الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ اليَهُودِ، فَقَالَ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ جَعَلَ اللهُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالخَلاَئِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَنَا المَلِكُ، «فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزُّمر:٦٧] .

فأما السماوات فتتفطر وتتشقق وتتغير ألوانها وتدور وتضطرب بلا سكون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢ ﴾ [الانشقاق:١-٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ ﴾[الانفطار:١] أي :تشققت.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ ٣٧ ﴾[الرحمن:٣٧] أي: كانت كالمهل والرصاص المذاب ونحوه.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨ ﴾[المعارج:٨] أي:كالرصاص المذاب .

قال البغوي أي:كعكر الزيت ، وقال الحسن: كالفضة إذا أذيبت اهـ.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرًا ٩ ﴾ [الطور:٩] .

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي: تدور السماء وتضطرب، وتدوم حركتها بانزعاج وعدم سكون . اهـ

* وأما النجوم والكواكب فتتساقط وتنتثر وتتهاوى وتنكدر ويذهب ضوؤها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ ﴾ [التكوير:١] أي ترمى في جهنم ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ ﴾ [التكوير:٢] أي تتساقط .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ ﴾[الانفطار:٢] أي تساقطت.

* وأما الجبال فتصير كالصوف الممزق، فينسفها ربي نسفًا، فتكون هباء منبثا، وتسير في السماء سيرًا، وتتطاير كالشرر تطايرًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ ﴾ [النمل:٨٨] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي تزول عن أماكنها. اهـ .

وهذا يوم القيامة بدليل سياق الآيات وأدلة أخرى.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩ ﴾[المعارج:٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [طه:١٠٥-١٠٧] .

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الطور:٩-١٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ ﴾ [التكوير:٣].

وأما الأرض فإنها يوم القيامة تتزلزل وتهتز وتضطرب وتندك دكا .

قال تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾ [الزلزلة:١-٥] .

وقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفجر:٢١-٢٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحاقة:١٤-١٥] .

وقال تعالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ [الواقعة:٤-٦] .

هذه هي أحوال الأرض يوم القيامة .

* وأما البحار فإنها تفجر وتحترق وقيل يفيض بعضها على بعض فتصير البحار كلها بحرًا واحدًا،وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ ﴾ أي: أوقدت فصارت نارا تضطرم. اهـ

وهذه هي أحوال الجبال فإذا كانت هذه هي أحوال السماوات والأرض

والجبال! فيا ليت شعري كيف سيكون حال الإنسان الضعيف؟ .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا كان هذا القلق والانزعاج لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة، فما ظنك بالعبد الضعيف الذي قد أثقل ظهره بالذنوب والأوزار» ؟ .

أليس حقيقًا أن ينخلع قلبه وينزعج لُبُّه، ويذهل عن كل أحد؟ ، ولهذا قال: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾. اهـ

* فأما الخلق فإن ا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحشر الأولين والآخرين، والجن والأنس، حافية أقدامهم ، عارية أجسادهم،غرلا بهما ليس معهم شيء،على صعيد واحد، شاخصة أبصارهم إلى السماء ، ينتظرون فصل القضاء كأنهم الفراش المنتشر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾ [القارعة:٤-٥] .

وتدنو الشمس من رؤوسهم مقدار ميل، فيعرقون و يذهب العرق في الأرض سبعين ذراعاً .

فقد روى الإمام مسلم عن الْمِقْدَاد بْن الْأَسْوَدِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**» - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**» .

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**إِنَّ الْعَرَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ بَاعًا، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ إِلَى أَفْوَاهِ**

النَّاسِ، أَوْ إِلَى آذَانِهِمْ» .

فأما المؤمنون فيهون الله عليهم ذلك اليوم، فيظل من يشاء في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، ويهون عليهم ذلك اليوم كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب ويجلسون على كراسي من نور ويظلل عليهم الغمام ويكون ذلك اليوم أقصر عليهم من ساعة من النهار .

فقد روى أبو يعلى وابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنْ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «**يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، يُهَوِّنُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أن تَغْرُب**» .

وروى الطبراني عن عبد الله بن عَمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تَجْتَمِعُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ: أَيْنَ فُقَرَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ ومَسَاكِينُهَا؟ فَيَقُومُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا عَمِلْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا ابْتَلَيْتَنَا فَصبَرْنَا، ووَلَّيْتَ الأُموال والسُّلْطَانَ غَيْرَنَا. فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: صَدَقْتُمْ. فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ بِزَمَانٍ، وتَبْقَى شِدَّةُ الحِسَابِ عَلَى ذَوِي الأَمْوَالِ والسُّلْطَانِ» .

قالوا: فأينَ المؤمنونَ يومَئِذٍ؟ قال: «تُوضَعُ لَهُمْ كَرَاسِيُّ مِنْ نُورٍ، مُظَلَّلٌ عَلَيْهِمُ الغَمَامُ، يَكُونُ ذَلِكَ اليَوْمُ أَقْصَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ» .

* وأما الكافرون فإنهم يحشرون أمثال الذر، تعلوهم الذلة والصغار ، ويحشرون على وجوههم ، عميًا وبكمًا وصُمًّا ، قد ازرقت أجسادهم واسودت وجوههم ، يُساقون إلى جهنم عطاشا .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٖ زُرْقٗا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [طه:١٠٢] .

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: والمجرمون يحشرون زُرقًا ، ألوانهم من الخوف والقلق والعطش. اهـ

وقال تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم:٨٦] ، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي عطاشا.

وقال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾[الإسراء:٩٧] .

وروى البخاري ومسلم عن أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ الله يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا .

وروى النسائي والترمذي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الخَبَالِ**». أي:ما يخرج من أجساد أهل النار والعياذ بالله.

ثم يبرز الناس للحساب قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾ [غافر:١٧] .

فأما المؤمن فيحاسب حسابًا يسيرًا، وأماالكافر فيحاسب حسابًا عسيرا، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الانشقاق:٧-١٥].

ثم يعرض الله على المؤمن حسابه فيقرره به فيغفر له وأما الكافر فيناقش

على الصغير والكبير والنقير والقطمير فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ**» ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾[الانشقاق: ٨-٩] . قَالَ: «**ذَاكَ العَرْضُ يُعْرَضُونَ وَمَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ**» أي من استقصي عليه عُذِّب .

وبعد أن يعرض الله على المؤمن حسابه يغفر له لما روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **يُدْنَى المُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ أو كتابه بيمينه ، وَأَمَّا الآخَرُونَ ، أَوِ الْكُفَّارُ فَيُنَادَى عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ**» .

ومعنى: (يضع عليه كنفه) أي: يستره فلا يفضحه.

وأما الكافر فيتمنى لو كان له ملء الأرض ذهبا ليفتدي من عذاب يومئذ، بل ويتمنى أن يفتدي من عذاب يوم القيامة بأهله وأولاده وقبيلته وعشيرته وجميع من في الأرض لينجو بنفسه ولا مغيث.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المائدة:٣٦] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾

﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج:١١-١٨].

وروى البخاري ومسلم عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**يُقَالُ لِلْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ سُئِلْتَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ**» **وفي رواية- قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ**» .

وفي هذا اليوم يحاسب الناس أجمعون، فيقتص من الظالم للمظلوم، وترد الحقوق إلى أهلها، حتى يقضى بين البهائم، فيقاد للبهيمة الجلحاء التي لا قرون لها ،من البهيمة القرناء التي نطحتها.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**» .

فلا يظن الظالم أن الله يقتص للشاة المظلومة من الظالمة وهي غير مكلفة وينساه ، فهذا لا تقتضيه حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فمن باب أولى أنه يقتص للمظلوم من الظالم من بني آدم لا سيما في الدماء لعظم أمرها وكبير خطرها فإنها أول ما يقضى فيها يوم القيامة فقد روى البخاري ومسلم عن عَبْدَ اللهَّ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالدِّمَاءِ**».

وفي هذا اليوم يشتد الحساب على الأغنياء ، ويخفف على الفقراء ، ويدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام ، فيؤخر الأغنياء للحساب ، لما روى الترمذي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ نِصْفِ يَوْمٍ».

وروى الطبراني عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يجتمعون يوم القيامة فيقال أين فقراء هذه الأمة قال فيقال لهم ماذا عملتم فيقولون ربنا ابتلينا فصبرنا ووليت الأموال والسلطان غيرنا فيقول الله : صدقتم قال فيدخلون الجنة قبل الناس ويبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان». الحديث

وفي الصحيحين عَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابُ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ محْبُوسُونَ» أي: أصحاب الحظ من الأموال والسلطان. فإن كانت هذه الأموال حلالا فحساب ، وإن كانت حرامًا فعقاب، فإنهم يحاسبون من أين اكتسبوها وفيما أنفقوها ، لما روى الترمذي عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ** » .

اللهم حاسبنا حسابًا يسيرًا ، واستر علينا واغفر لنا وارحمنا ، إنك كنت بنا رحيمًا.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على خير خلقه الذين اصطفى، محمد وعلى آله وصحبه، ومن بآثاره اقتفى.

أما بعد:

* فمن مواقف يوم القيامة الشديدة على الناس تطاير الصحف، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠﴾ [التكوير:١٠]، فإن الناس يبقون في خوف وهلع حتى يؤتون كتبهم، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذٌ كتاب بشماله، فمن أعطي كتابه بيمينه طار فرحًا وأيقن بالنجاة، ومن أعطي كتابه بشماله خاب وخسر وأيقن بالهلاك، فيتمنى الموت ولا موت.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ
أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ
۝٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ
فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ۝٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ
أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي
سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ
عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣٤ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ۝٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ
إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾ [الحاقة ١٩-٣٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ
أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩﴾ [الواقعة ٨-٩].

فأما أصحاب الميمنة هم أهل الجنة الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وأما أصحاب المشأمة فهم أصحاب النار الذين يعطون كتبهم بشمائلهم.

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء:١٣-١٤] طائره، أي: عمله قاله قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩].

ومن المواقف الشديدة التي يمر عليها الناس هي الموازين، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٧-٨].

وقد أعد الله ميزانا عظيمًا يوزن به الأعمال والرجال والصحائف لو وزنت به السماوات والأرض لوسعها.

فقد روى الحاكم عن سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يوضع الميزان يوم القيامة ؛ فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب ! لمن يزن هذا ؟ فيقول الله تعالى : لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**».

والناس عند الميزان على قسمين مؤمن وكافر، فأما الكافر فلا يقام له وزن يوم القيامة، فلا يوزن وزن مقابلة الحسنات لأنه لا حسنات له.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف:١٠٥].

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: « **إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ** ».

وأما المؤمنين فتثقل موازينهم على حسب إيمانهم وأعمالهم،وكلٌ بحسبه ، فقد أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ساقي ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الميزان مثل جبل أحد.

فقد روى الإمام أحمد عن زر بن حبيش عن بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أنه كان يجتني سواكا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **مم تضحكون؟** » ، قالوا يا نبي الله من دقة ساقيه فقال : « **والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد** ».

فأما المؤمنون عند الميزان فأقسام ثلاثة:

* قسم زادت حسناتهم على سيئاتهم فهؤلاء يدخلون الجنة بلا عذاب.

* وقسم زادت سيئاتهم على حسناتهم وهؤلاء تحت المشيئة إن شاء الله غفر لهم وإن شاء عذبهم عذاب تمحيص ثم يكون مآلهم إلى الجنة.

* وقسم استوت حسناتهم مع سيئاتهم وهؤلاء هم أصحاب الأعراف فيحبسون في جبل الأعراف بين الجنة والنار ثم يكون مآلهم إلى الجنة كما ذكر الله حالهم في سورة الأعراف.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ

ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٦ - ٤٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يعني أصحاب الأعراف ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف:٤٩].

ثم يكون آخر المواقف التي يمر بها الناس يوم القيامة هو المرور على الصراط.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم:٧١-٧٢].

والورود هنا هو المرور على الصراط كما ذكره أكثر المفسرين، فيمر الناس على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كالبرق، وكالريح، وكلمح الطرف، وكأجاويد الخيل، وكشد الرجال، ومنهم الساعي، والماشي مشيًا، والزاحف زحفا، والمخدوش، والمكردس في جهنم، وتنطفئ أنوار المنافقين.

وصفة الصراط كحد السيف وأدق من الشعرة وتحته كلاليب تخطف من شاء الله أن تخطفه.

فقد روى الإمام مسلم عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديث الشفاعة الطويل قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا»**، قَالَ: **«وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ»** وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا.

فإذا نجّى الله من شاء نجاته من المؤمنين، يحبسون بقنطرة بين الجنة والنار يتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدنيا، ثم يدخلون الجنة على قلب رجل واحد، قد نزع الله ما في قلوبهم من غلٍ إخوانًا على سرر متقابلين.

فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ**» الحديث.

اللهم هون علينا أهوال يوم القيامة وسكنا الجنة ،ونجنا من النار ،اللهم ثبت أقدامنا يوم تزل الأقدام، اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، اللهم آتنا كتبنا بأيماننا وثقل موازيننا وثبتنا على الصراط.

اللهم آتنا في الدنيا حسَنَة، وفي الآخرة حسَنَة ، وقنا عذاب النار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العامين.



٣١
مواعظ وعظات من سورة (ق)

الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون عباد الله:

روى الإمام مسلم من حديث أُمِّ هِشَام بِنْتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «لَقَدْ كَانَ تَنُّورُنَا وَتَنُّورُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَاحِدًا،

سَنَتَيْنِ أَوْ سَنَةً وَبَعْضَ سَنَةٍ، وَمَا أَخَذْتُ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ إِلَّا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقْرَؤُهَا كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، إِذَا خَطَبَ النَّاسَ».

في هذا الحديث بيان أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكثر في خطبه ومواعظه من سورة ق وذلك لما اشتملت عليه من المواعظ والزواجر، والوعد والوعيد وإثبات الرسالة والبعث والنشور ولما فيها من ذكر الموت وذكر الجنة والنار، وأخبار الأمم السابقة وغير ذلك، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأها في صلاة العيدين.

قال النووي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: وَالْحِكْمَةُ فِي قِرَاءَتِهِمَا لِمَا اشْتَمَلَت عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْبَارِ بِالْبَعْثِ وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ وَإِهْلَاكِ الْمُكَذِّبِينَ وَتَشْبِيهِ بُرُوزِ النَّاسِ لِلْعِيدِ بِبُرُوزِهِمْ لِلْبَعْثِ وَخُرُوجِهِمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جراد منتشر واشتملت على الموت والمواعظ الشديدة والزواجر الأكيدة. اهـ

ففي هذا اليوم بإذن الله تعالى نأخذ مقتطفات من مواعظ هذه السورة العظيمة لعل ذلك يكون لنا عظة وعبرة ينفعنا الله به في حياتنا ويصلح به قلوبنا فإن المواعظ سياط القلوب.

فقدأقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في أول هذه السورة بالقرآن المجيد على إثبات البعث الذي أنكره المشركون ، وعلى إثبات رسالة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي كذبوا بها، ونفى استعجابهم واستنكارهم لذلك، وحثهم على النظر والتفكر في خلق السماوات والأرض، كيف رفع السماوات بغير عمد، ومهَّد الأرض وبسطها ،وجعلها ساكنة صالحة للحياة والسير فيها، وثبتها بالجبال الرواسي، وأن ذلك أكبر وأعظم من خلق الناس وإعادتهم مرة أخرى، وذكرهم بالنعم التي أسداها عليهم لعلهم يشكرون الله عليها.

ثم ذكرهم بالأمم السابقة التي أهلكهم بسبب تكذيبهم لرسلهم ليعتبروا

ويتعظواثم ينزجروا عما هم عليه من التكذيب والعناد، كعاد وثمود وفرعون وأصحاب الرس وأصحاب الأيكة وقوم تبع وقوم لوط ، فقد دمرهم الله وهم أشد قوة من كفار قريش ومن مشركي هذه الأمة ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق:٣٧].

ثم بين سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ كما أنه لم يعجز في خلقهم أول مرة فكذلك لن يعجز عن إعادتهم مرة أخرى والإعادة في نظر الناس أسهل وإلا فالكل عند الله سواء .

فما الذي جعلهم في لَبس وشك من البعث والإعادة مرة أخرى ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾[الروم:٢٧].

ثم قال سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[ق:١٦] ، فالذي خلق الإنسان هو أخبر به ومطلع على سريرته ويسمع أقواله ويبصر أعماله ويعلم أحواله﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [المُلك:١٤]. فهو أقرب إليه من حبل الوريد.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حبل الوريد عرق العنق وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين يتفرق في البدن. اهـ

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه، المطلع على ضميره وباطنه، القريب منه في جميع أحواله، فيستحي منه أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره، وكذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال، فيجلُّهم ويوقرهم، ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه، مما لا يرضي رب العالمين، ولهذا قال:﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ أي: يتلقيان عن العبد أعماله كلها، واحد ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾ يكتب الحسنات والآخر﴿ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ ﴾

يكتب السيئات. اهـ

فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يعلم ما توسوس به الصدور، ويعلم السر وأخفى، ويعلم ما سيكون في الغد، وقد وكل على العباد ملائكة يكتبون ما يقولون ويفعلون ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار:١١-١٢].

ثم قال ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[ق:١٨].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي من خير أو شر رقيب عتيد مراقب له حاضر لحاله، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[الانفطار:١٠-١٢]. اهـ

وذهب بعض أهل العلم إلى أن كل كلمة ينطق بها العبد مكتوبة عليه، لعموم الآية ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾. قالوا حتى الكلام المعتاد الذي لا يتعلق بالثواب والعقاب مكتوب.

وقال بعضهم: حتى الأنين مكتوب على العبد، فليحرص العبد ألا ينطق إلا خيرًا أو ليصمت لما روى البخاري ومسلم عن أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » الحديث.

ثم بين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن الإنسان سيموت ويحاسب على كل شيء بعد موته ولهذا قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ [ق:١٩].

واعلموا أيها المسلمون؛ أن للموت سكرات وغمرات وشدة على العبد تغطي عقله، وتغلف فكره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾[ق:١٩].

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سكرة الموت هي غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله. اهـ

فأين المفر وربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي تفر وتهرب وتكره كما قال الحسن وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[الجمعة:٨].

عباد الله:

للموت سكرات، عانى منها أفضل الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن بعده خليفته أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أفضل هذه الأمة بعد نبيها ففي صحيح البخاري عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما تعشاه الموت جعل يسمح العرق عن وجهه وهو يقول: «**سبحان الله إن للموت لسكرات**»، وفي لفظ: «**لا إله إلا الله إن للموت لسكرات**»، وهو يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت لسكرات**».

ولما حضرت أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الوفاة جعلت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تتمثل بقول الشاعر:

لعمرك ما يغني الثرى عن الفتى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ليس كذلك ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾[ق:١٩] رواه ابن حبان عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

والموت له حرارة وشدة، فقد روى ابن أبي شيبة، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**

فإنه كانت فيهم الأعاجيب» . ثم أنشأ يحدث قال : «**خرجت طائفة من بني إسرائيل حتى أتوا مقبرة لهم من مقابرهم فقالوا : لو صلينا ركعتين ودعونا الله عَزَّوَجَلَّ أن يخرج لنا رجلاً ممن قد مات نسأله عن الموت قال : ففعلوا . فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر من تلك المقابر خلاسي بين عينيه أثر السجود فقال : يا هؤلاء ما أردتم إليَّ ؟ فقد متُّ منذ مائة سَنَة فما سكنت عني حرارة الموت حتى كان الآن، فادعو الله عَزَّوَجَلَّ لي يعيدني كما كنت** » .

ومعنى خلاسي : أي: أسمر اللون .

ثم بعد الموت تأتي مرحلة أخرى، وهي النفخ في الصور.

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ق:٢٠] .

فإن أول مراحل يوم القيامة أن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يأذن للملك الموكل بنفخ الصور وهو إسرافيل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ بالنفخ في الصور، فينفخ النفخة الأولى نفخة الصعق فيصعق الأحياء كلهم ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث فينفخ النفخة الثانية فيبعث الله الناس جميعًا ، الذين ماتوا قبل ذلك، والذين صعقوا بالنفخة الأولى، كما قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ :﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزُّمَر:٦٨].

وقال الله في هذه السورة: ﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [ق:٤١ -٤٢] .

وإسرافيل مستعد للنفخ ومنتظر متى يؤمر به فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ،وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ**»

فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ لَهُمْ: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا**».

وقد أنكر المشركون البعث كما في هذه السورة فقالوا: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ ﴾[ق:٣].

فقالوا كيف نبعث وقد تمزقت أجسادنا وتفتت عظامنا كما قَالَ تَعَالَىٰ عنهم في سورة أخرى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ﴾ [السجدة:١٠].

ثم أبطل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شبهتهم ، وبين كيف يكون البعث بعد تفتت الأجساد، وذلك أنه يبقى في الإنسان عظم واحد لا تأكله الأرض يسمى عَجْبُ الذنب منه يركب الإنسان مرة أخرى.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، «**ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ، كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ**» قَالَ: «**وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

وقد أشار الله في هذه السورة بإحياء الأرض بعد موتها إلى أحياء الموتى من قبورهم فقال: ﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١ ﴾[ق:١١] أي: الخروج من القبور.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ ﴾ [يس:٥١] أي يسرعون لإجابة الداعي لهم إلى موقف يوم القيامة، والأجداث: هي القبور.

فيبعث الناس ويحشرون حفاة، عراة، غرلًا غير مختونين، قال الله: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[الأنبياء:١٠٤].

ثم تسوق الملائكة الناس إلى أرض المحشر كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [ق:٢١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله.اهـ

حينها تذهب الغفلة ويظهر الإيمان وتقوى الأبصار وتسمع الآذان ولكن بعد فوات الأوان قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق:٢٢].

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا. اهـ

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: يقال للمعرض المكذب يوم القيامة هذا الكلام، توبيخًا، ولومًا وتعنيفًا أي: لقد كنت مكذبًا بهذا، تاركًا للعمل له فالآن ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ ﴾ الذي غطى قلبك، فكثر نومك، واستمر إعراضك، ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ينظر ما يزعجه ويروعه، من أنواع العذاب والنكال فإنه كان في الدنيا في غفلة عما خلق له، ولكنه يوم القيامة، ينتبه ويزول عنه وَسَنُه، ولكنه في وقت لا يمكنه أن يتداركه. اهـ

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ يَعْنِي: مِنْ هَذَا الْيَوْمِ،﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾أَيْ: قَوِيٌّ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ مُسْتَبْصِرًا، حَتَّى الْكُفَّارُ فِي الدُّنْيَا يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الِاسْتِقَامَةِ، لَكِنْ لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾[مَرْيَمَ: ٣٨]. اهـ

أي ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة.

فانتبه يا عبد الله من الغفلة فإنها مرض خطير من أمراض القلوب ، فقد كانت سببًا في ضلال أناس كثيرين في الدنيا، وسببًا في شقائهم في الآخرة ، فإن الغفلة تورث الإعراض عن ذكرالله ، واللامبالاة بوعيدالله وعدم النظر في سوء العاقبة والعياذ بالله، فلا تغفل عما خلقك الله من أجله ، ولا تغفل عما توعد الله به الغافلين يوم القيامة، البعيدين عن دينه، أَفِقْ من غفلتك واصْحَ من نومك قبل أن يقال لك يوم القيامة :﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق:٢٢] .

فالغفلة غطاء يكون على القلب، قد يحول بين المرء وبين الهدى، وسينكشف يوم القيامة ، نسأل الله أن يبصرنا في ديننا.



الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفى وعلى آله وصحبه ومن بآثاره اقتفى.

أما بعد:

فإن الناس يبعثون ويحشرون ويساقون للحساب وتشهد عليهم الملائكة بأعمالهم ، ويأتي القرين من الملائكة الملازم للإنسان فيقدم ديوان أعماله ثم يأتي القرين من الشيطان فيتبرأ منه وذلك لأن لكل إنسان قرينين، قرين من الملائكة، وقرين من الشياطين، إلا نبينا ﷺ فإن قرينه أعانه الله عليه فأسلم، فلا يأمره إلا بخير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ق:٢٣-٢٦].

فيقول الملك الملازم له: هذا ما لدي عتيد.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي الموكل على الإنسان يشهد عليه يوم القيامة عتيد معتد محضر بلا زيادة ولا نقصان .

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الملك السائق قد أحضر ديوان أعماله. اهـ

ثم يأتي القرين من الشياطين فيتبرأ منه وأنه ما أجبره على الطغيان ، ولم يأته بالسلاسل والأغلال وإنما وسوس له فتبعه وما كان له عليه من حجة ولا سلطان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ق:٢٧-٢٩].

فلا ينفع الجدال والخصام اليوم، وقد جاءت الرسل والنذر بالحجج البالغة والبراهين الجلية، وأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه لا يبدل القول لديه ولا يظلم أحدًا وسيجازي كلا بعمله وبقدر ضلاله وإضلاله.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: لا يمكن أن يخلف ما قاله الله وأخبر به، لأنه لا أصدق من الله قيلا ولا أصدق حديثًا. ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ بل أجزيهم بما عملوا من خير وشر، فلا يزاد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم. اهـ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال مجاهد: ما يبدل القول لدي. يعني قد قضيت ما أنا قاض ولست أعذب أحدًا بذنب أحد ولكن لا أعذب أحدًا إلا بذنبه بعد قيام الحجة. اهـ

ثم تأتي جهنم وتطلب المزيد من المجرمين والكافرين ليسكنوها ويذوقوا حرها ويكتووا بلهيبها، قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[ق:٣٠].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى، مخوفًا لعباده: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ ﴾ وذلك من كثرة ما ألقي فيها، ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي: لا تزال تطلب الزيادة، من المجرمين العاصين، غضبًا لربها، وغيظًا على الكافرين.

وقد وعدها الله ملأها، كما قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[السجدة:١٣]، حتى يضع رب العزة عليها قدمه الكريمة المنزهة عن التشبيه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط، قد اكتفيت وامتلأت».

اهـ يشير إلى حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند البخاري ومسلم.

فمن حكمة الله ورحمته أنه لا يملأ النار بأناس يخلقهم لها بغير ذنب عملوه، لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منزه عن الظلم ، أما الجنة فإنه يبقى فيها فضل ومكان زائد فيخلق لها خلقًا يسكنهم فيها كرما منه ومنة وذلك لأنه وعد الجنة والنار بأنه سيملؤها.

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **احْتَجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ، وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا** » .

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق:٣١-٣٥] .

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: قربت للممتثلين لأوامر الله والمجتنبين لنواهيه ، فقد وعدهم الله في الدنيا إن هم اتقوه و حفظوا حدوده ورجعوا إلى دينه وأقبلوا عليه بقلوبهم وخافوا عذابه، فلهم فيها ما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فإنهم يدخلونها سالمين ، وتسلم عليهم الملائكة ، ويسلم عليهم ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾[الأحزاب ٤٤] ،﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس:٥٨]، قد أمنوا فيها من العذاب، فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون، ليس فيها مكدرات ولامنغصات ، ويخلدون فيها أبد الآباد، لا يبغون عنها حولا،

وفوق هذا فإنهم يتلذذون بالنظر إلى خالقهم ومعبودهم الذي أنعم عليهم بنعمه، وأكرمهم بجنته ، وهذا هو الزيادة كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦] ، فالحسنى هي الجنة والزيادة هو النظر إلى ربهم ، وهو المزيد كما في هذه السورة ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق:٣٥] .

فقدروى الإمام مسلم عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ »ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] .

وروى الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته**».

هذا هو تفسير المزيد في قوله تعالى: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾.

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال جابر وأنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: هو النظر إلى وجه الله الكريم. اهـ

بينما الكفار يحرمون أعظم نعيم في الجنة، فيحجبون عن رؤية ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين:١٥].

وأما رؤية الله في الدنيا فهي منفية كما قَالَ تَعَالَىٰ لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف ١٤٣]. وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**». رواه مسلم عن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم ، واجعلنا من ورثة جنة النعيم يا

أرحم الراحمين.

اللهم آتنا في الدنيا حسَنَة ، وفي الآخرة حسَنَة ، وقنا عذاب النار.

اللهم آتنا ماوعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد.

اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، وقنا عذاب النار.





الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار

عباد الله :

إن من رحمة الله وحكمته أن أمر عباده بطاعته ونهاهم عن معصيته ليكرمهم

بجنته ويجزيهم بثوابه ويزيدهم من فضله وذلك بالنظر إلى وجهه الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ووعدهم برضوانه فدعاهم إلى دار كرامته وشرع لهم الدين وأرسل لهم الرسل وأنزل إليهم كتبه فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار وبين لهم أسباب دخول الجنة ودعاهم إليها وأسباب دخول النار وحذرهم منها وهو في غنى عنهم لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم

قَالَ تَعَالَىٰ في كتابه الكريم: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس:٢٥] ، فسماها دار السلام لأنها سالمة من العيوب والمنغصات والمكدرات والأمراض والهموم والغموم وسائر الآفات وفيها تسلم عليهم الملائكة ويسلم عليهم الرب الرحيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾[يس:٥٨] ، ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾[الأحزاب:٤٤] فدعاهم الله إلى الجنة وحذرهم من النار وأسبابها ودعاتها وحذر من الشيطان ودعوته لأنه يدعو الناس إلى النار فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر:٦] .

وموضوعنا في هذا اليوم بمشيئة الله تعالى هو ذكر بعض ما أعد الله لعباده المتقين في جنات النعيم، ووصْفُ ذلك النعيم مما ثبت في الكتاب والسُّنَّة ، مستعينين بذكر أقوال أهل العلم، من رواد الحديث والتفسيروعلماء الدين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الذاريات:١٥-١٩] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الطور:١٧-٢٠] .

ففي هذه الآيات ذكر الجنة وبعض نعيمها، وذكر بعض أسبابها .

وفي آية أخرى بين أنهم في دار إقامة خالدين فيها أبدًا لا يبغون عنها حولا فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الدخان:٥١-٥٦] .

وفي آيات أخر بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنهم في دار فرح وسرور وبهجة وحبور ونفى عنهم الخوف والحزن فقال: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[الزُّخرُف:٦٨-٧٠] ، أي أنتم وأمثالكم من الطائعين في حبرة وسرور.

وكتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مليئان بوصف الجنة، لا نستطيع حصرها في هذا المقام وسنذكر بعضها .

فيا أيها المسلمون:

إن الله أعد لعباده المؤمنين في الجنة فوق ما يصفه الواصفون وفوق ما يتصوره المتصورون وهناك من النعيم ما لا تبلغه الأوهام، وما لا تدركه القلوب، وما لا تتصوره العقول، فقد روى الإمام البخاري ومسلم رحمهما الله ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:« قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٧] .

ذكر بعض أهل العلم أن هناك من النعم في الجنة، ما قد علم بها البشر وسمعوا عنها، ورأوا أشباهها في الدنيا ، لكن هناك أشياء أخفاها الله للمؤمنين لم يعلموا بها من النعم، ولا يستطيعون توهمها، ولا تصورها ، بل هي فوق ما تصورها عقولهم وفوق ما تدركها أفهامهم ، ومن ذلك والله أعلم رؤية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فهو أعظم نعيم في الجنة، وهو المزيد، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ٣٥ ﴾[ق:٣٥] ، ولذة النظر إلى وجهه الكريم فوق ما يتصوره العبد.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس:٢٦]،وعامة المفسرين على أن المزيد والزيادة هو النظر إلى وجهه الكريم ويُحْجَبُ عن رؤيته الكافرون.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟، فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟، قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ** » .

وفي رواية للترمذي وابن ماجه: ثم تلا هذه الآية:﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس:٢٦] .

فنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسر الزيادة في هذه الآية بالنظر إلى وجه الله الكريم، فلا مدخل لأهل التعطيل في إنكار رؤية الله للمؤمنين في الآخرة.

وأما رائحة الجنة الطيبة فقد جاءت الروايات عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها من مسيرة أربعين عامًا، وهذه في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وعند أحمد وغيره: «**يوجد ريح الجنة من مسيرة سبعين عاما**». وفي رواية عند

الضياء المقدسي بلفظ: « **وإن ريح الجنة ليوجد من مسيرة مائة عام**».

فإذا كان هذا الريح من مسيرة مائة عام! ،فكيف بالجنة نفسها؟، وكيف بريحها وطيبها ؟، وكيف بنعيمها وزينتها؟، وكيف بحورها وقصورها؟، نسأل الله من فضله العظيم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باق وليس بفان

إما بحسب المدركين لريحها قربا وبعدا ما هما سيّان

آراؤهم ريح المقاعد أين تلك الريح من روح ومن ريحان

ومن سعة الجنة وعظيم ملكها أن أقل أهل الجنة منزلة في الجنة رجل يكون له مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا وعشرات مرات.

فقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَب**».
فيا سبحان الله هذا أقلهم منزلة فكيف بأعلاهم منزلة .

على أنه قد جاء في رواية أخرى لمسلم عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن أدنى أهل الجنة منزلة رجل دخل النار بذنوبه ثم يخرج من النار بتوحيده، ويدخل الجنة

فيكون له مثل الدنيا عشرات مرات.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا- أَوْ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي - أَوْ: تَضْحَكُ مِنِّي - وَأَنْتَ المَلِكُ** » فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

وفي رواية أخرى: فكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يضحك حينما يروي هذا الحديث متابعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما ضحك على قول ذلك العبد: «أتضحك مني وأنت الملك؟، فيقول: لا ولكني على ذلك قادر».

فكان يقول: «ذلك أدنى أهل الجنة منزلة» .

وأما أعلاهم منزلة كما في حديث المغيرة المتقدم عند الإمام مسلم: فيقول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه جَلَّ وَعَلَا : « .. قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ »، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٧] .

ومعنى قوله :(**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ**)أي :اخترت واصطفيت ، فإن أعلاهم منزلة هم الذين خلق الله لهم الجنة بيده الكريمة واصطفاهم وتولاهم فلا يتطرق إلى كرامتهم تغيير فلم ترَ عين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر

ما سيكرمهم الله به.

وروى البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:« إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه قال وتلا هذه الآية:﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾[الإنسان: ١٩].

فإذا كان هذا ملك أقل رجل في الجنة فيا ترى ما سعة الجنة بأكملها؟.

نذكر بعض ما ورد في سعتها ودرجاتها:

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى**» .

وهجر مدينة عظيمة في بلاد البحرين، فهذا فقط سعة فتحات الأبواب لمصراعين منها فكيف بالجنة نفسها؟.

وروى مسلم عن عتبة بن غزوان قال: «وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ».

وروى البخاري ومسلم عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: « **لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا ، أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ –شَكَّ فِي أَحَدِهِمَا – مُتَمَاسِكِينَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، حَتَّى يَدْخُلَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمُ الجَنَّةَ، وَوُجُوهُهُمْ عَلَى ضَوْءِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ**».

ـ وأما درجات الجنة فقد روى الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «**فِي الجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**». وزاد البخاري: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**».

وهذه الدرجات تكون للمؤمنين بحسب أعمالهم وسباقهم في الخيرات وحفظهم لكتاب الله والعمل به.

فقد روى أبو داود وغيره عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : « **يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ : اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِى الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا** ».

وعدد آيات القرآن الكريم أكثر من ستة آلاف ومائتين آية، فهنيئا لحفاظ القرآن العاملين به غير الجافين عنه ولا الغالين فيه.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : جَاءَ فِي الْأَثَرِ أَنَّ عَدَدَ آيِ الْقُرْآنِ عَلَى قَدْرِ دَرَجِ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ، فَيُقَالُ لِلْقَارِئِ اِرْقَ فِي الدَّرَجِ عَلَى قَدْرِ مَا كُنْت تَقْرَأُ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ ، فَمَنْ اِسْتَوْفَى قِرَاءَةَ جَمِيعِ الْقُرْآنِ اِسْتَوْلَى عَلَى أَقْصَى دَرَجِ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَمَنْ قَرَأَ جُزْءًا مِنْهُ كَانَ رُقِيُّهُ فِي الدَّرَجِ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ ، فَيَكُونُ مُنْتَهَى الثَّوَابِ عِنْدَ مُنْتَهَى الْقِرَاءَةِ. اهـ.

وروى الإمام مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ** » أي البعيد المضيء شديد الإضاءة فِي الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ».

وقال ربنا في كتابه الكريم: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ

مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الزُّمَر:٢٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي طباق فوق طباق مبنيات محكمات وزخرفات عاليات. اهـ

وبشرى لكل مؤمن فإن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ سيجمعه بأهله وذريته المؤمنة في درجة واحدة ، فيرفع الأدنى إلى درجة الأعلى، ولا ينزل الأعلى إلى درجة الأدنى حتى لا يظلم الأعلى.

فقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [الطور:٢١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ فِي الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا قَدْ شَارَكُوهُمْ فِي الْأَعْمَالِ، بَلْ فِي أَصْلِ الْإِيمَانِ، ﴿ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم ﴾ أَيْ: أَنْقَصْنَا أُولَئِكَ السَّادَةَ الرُّفَعَاءَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ شَيْئًا حَتَّى سَاوَيْنَاهُمْ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَنْقَصُ مِنْهُمْ مَنْزِلَةً، بَلْ رفعهم تعالى إلى منزلة الْآبَاءِ بِبَرَكَةِ أَعْمَالِهِمْ، بِفَضْلِهِ وَمِنَّتِه. اهـ

* وأما صور أهل الجنة ، فهم في غاية الجمال والكمال ، والحسن والبهاء ، رجالهم ونساؤهم ، وصبيانهم وحورهم ، وغلمانهم .

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ**» .

وأما ألوانهم وأعمارهم فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « **يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جِعَادًا، مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعِ أَذْرُعٍ** » .

ومعنى جردًا مردًا أي في غاية النعومة والبهاء والنضارة، ليس في جسومهم خشونة أو شعور أو نحو ذلك .

وروى الترمذي عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **لَوِ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفُرٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَا، لَتَزَخْرَفَ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَتْ أَسَاوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْؤُهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ، كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ** » ومعنى:(يُقِلُّ ظُفُرٌ) أي: يحمل.

وهم في الجنة على مسحة آدم وصورة يوسف وقلب أيوب كما ثبت عند البيهقي عن المقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال :«ما من أحد يموت سقطًا ولا هرمًا وإنما الناس فيما بين ذلك إلا بعث ابن ثلاث وثلاثين سَنَة فإن كان من أهل الجنة كان على مسحة آدم وصورة يوسف وقلب أيوب،ومن كان من أهل النار عظموا وفخموا كالجبال» .

فهؤلاء الثلاثة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ اجتمعت فيهم أحسن الصفات ، فيوسف كان جميلًا وآدم كان طويلاً وأيوب كان صبورًا، فكذلك أهل الجنة.

* وأما طعام أهل الجنة وشرابهم فيأكلون ويشربون مما لذ وطاب من جميع أصناف الأطعمة والأشربة مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ويذهب ذلك الطعام جشاءً وعرقًا من أجسادهم كريح المسك إذ ليس في الجنة أذى.

فقد روى الإمام مسلم عن جَابِرَ بْن عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**يَأْكُلُ أَهْلُ الْجُنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحُمْدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ**» وفي رواية: قالوا: فما بال الطعام: قال: «**جشاء ورشح كرشح المسك**».

ويعطى المؤمن في الجنة قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع ، لما روى أحمد والنسائي عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ؟ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنْ أَقَرَّ لِي بِهَذِهِ خَصَمْتُهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجِمَاعِ** » . قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ وليس في الجنة أذى. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **حَاجَةُ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ، فَإِذَا الْبَطْنُ قَدْ ضَمُرَ** » .

* وأما الفواكه في الجنة فإنها أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ، يتناولونها قياما وقعودا وعلى جنوبهم، فإن كانوا مضطجعين فإن الشجرة تنحني فيأخذ الثمرة ثم ترجع لئلا تؤذيه مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان:١٤] .

وروى الحاكم وابن أبي الدنيا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موقوفًا قال: «نخل الجنة جذوعها من زمرُّد خضر وكربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيها عجم».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾[الواقعة:٣٢-٣٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة:٢٠-٢٣].

* وأما شرابهم فهو أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى وأنهار من خمر لذة للشاربين كما أخبر ربنا في سورة محمد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الواقعة:١٧-٢٠].

فأما خمر الجنة فلا يذهب بعقولهم ولا يصدع برؤوسهم كخمر الدنيا، وإنما هو في غاية اللذة في الطعم.

فقد روى ابن ماجهْ والترمذي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**الكَوْثَرُ نَهَرٌ فِي الجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ**».

* وأما ثياب أهل الجنة وفرشهم فكما أخبرنا ربنا في كتابه الكريم: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[فاطر:٣٣]، والسندس هو الحرير الرقيق بينما الاستبرق هو الحرير الغليظ.

* وأما فرشهم وأفنيتهم كما أخبر ربنا: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾[الغاشية:١٣-١٦].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: النمارق هي الوسائد من الحرير والاستبرق قد صفت للجلوس والاتكاء عليها .. والزرابي هي البسط الحسان مبثوثة أي مملوءة بها مجالسهم من كل جانب. اهـ

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الرحمن:٥٤] .

فإذا كان وصف البطائن من استبرق، وهي مما يلي الأرض فكيف بالظواهر؟

قال البغوي وغيره: «الاستبرق ماغلظ من الديباج والبطانة هي تحت الظهارة، قال ابن مسعود وأبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر وقيل لسعد بن جبير: البطائن من استبرق فما الظواهر؟، قال: هذا مما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٧] .

فإن أهل الجنة يجلسون عليها ويتقابلون ويتساءلون ويتذاكرون ما كانوا عليه في الدنيا من العبادات، وأن الله جازاهم على أعمالهم بأحسن الجزاء ومنَّ عليهم بأجزل العطاء، وأثابهم بأفضل الثواب.

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الطور:٢٥-٢٨] .

نسأل الله من فضله العظيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فأما عن بناء الجنة ولبنها فهي لبنة من ذهب ولبنة من فضة وخيم من لؤلؤة وغرف يرى ظاهرها من باطنها من صفائها

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٌ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٌ مَّبۡنِيَّةٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الزُّمَر:٢٠] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي منازل عالية مزخرفة من حسنها وبهائها وصفائها أنه يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ومن علوها وارتفاعها أنها ترى كما يرى الكوكب الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي ولهذا قال: من فوقها غرف أي بعضها فوق بعض مبنية بذهب وفضة وملاطها –أي طينتها– المسك الأذفر. اهـ

فهي مساكن طيبة آمنة كما أخبر ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة سبأ ﴿ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ:٣٧] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: حَسَنَةَ الْبِنَاءِ، طَيِّبَةَ الْقَرَارِ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «جَنَّتَانِ مِنْ

ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ». اهـ

وروى الإمام مسلم عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمِ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا» ،أي لسعتها يطوف المؤمن على أهله لجماعهن فلا يرى بعضهم بعضا لسعتها وعظمتها.

وروى الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلنا يَا رَسُولَ الله، حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ، مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ: « لَبِنَةُ ذَهَبٍ وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ « الحديث

* وأما نساء أهل الجنة فكما أخبر ربنا في كتابه الكريم: ﴿ حُورٌ مَّقۡصُورَٰتٌ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الرحمن:٧٢-٧٤] أي لم يسبق إليهن أحد من الإنس والجن، ﴿ مَّقۡصُورَٰتٌ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴾ أي قد قصرت طرفها على زوجها وقصر زوجها طرفه عليها لجمالها أو مقصورات في بيوتهن لا يخرجن منها من صفاتهن الجميلة كما ذكر البغوي وغيره .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الرحمن:٥٨] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : عن بعض المفسرين في صفاء الياقوت وبياض المرجان فجعلوا المرجان هاهنا اللؤلؤة. اهـ

وروى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

قَالَ: إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيُرَى بَيَاضُ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً حَتَّى يُرَى مُخُّهَا، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾. الحديث

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلاَ يَمْتَخِطُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا آنِيَتُهُمْ وَأَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَمَجَامِرُهُمْ مِنَ الأَلُوَّةِ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ».

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ غَدْوَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ - يَعْنِي سَوْطَهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا -يعني خمار رأسها- عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» فالدنيا بحذافيرها لا تساوي خمار امرأة من نساء الجنة فكيف بغيرها؟ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الواقعة:٢٢-٢٣] .

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: حور بيض جمع حوراء ، وهي النقية شديدة بياض العين شديدة سوادها وهي النجلاء العين في الحسن. اهـ

هذا غيض من فيض وقطرة من مطرة في وصف الجنة ولا يستطيع أحد أن يحصي وصفها كما أخبر ربنا في الحديث القدسي المتقدم: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ** » .

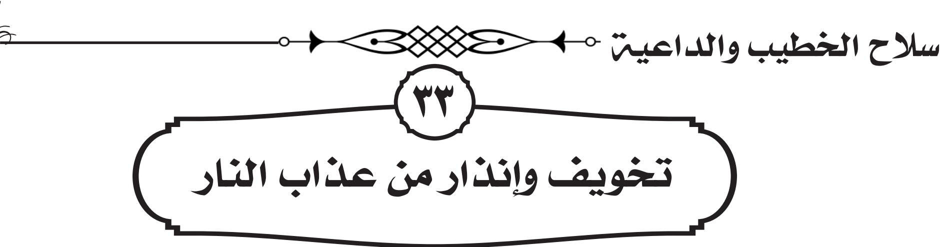
فيا عباد الله الجنة منوطة بأسبابها فمن عمل الأسباب من الأعمال الصالحة

من توحيد وصلاة وصيام وحج وجهاد وغير ذلك من الأعمال الصالحة دخلها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزُّخرُف:٧٢] أي دخلتموها برحمة الله بسبب أعمالكم الصالحة والباء سببية وليست ثمنية إذ أن الجنة غالية لا يبلغها أحد بعمله لكن برحمة الله والأعمال هي أسباب لنيلها.

اللهم إنا نسألك من فضلك الكريم ، اللهم إنا نسألك الجنة وما يقرب إليها من قول أو عمل ونعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول أو عمل ، اللهم كما جمعتنا في بيت من بيوتك على طاعتك، فاجمعنا في دار كرامتك في جنات ونهر في مقد صدق عند مليك مقتدر برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفرلنا ولآبائنا ولمن سبقنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ، اللهم أصلح البلاد والعباد ، اللهم ردنا إلى دينك ردا جميلاً ، اللهم خذ بنواصينا إلى كل خير ، والحمدلله رب العالمين.





الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

نعوذ بالله من البدع ومن الضلالات ومن النار .

أيها الناس:

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق الخلق لعبادته ونهاهم عن معصيته فمن أطاعه أدخله جنته،ومن عصاه أدخله النار،فجعل الجنة لعباده المؤمنين وجعل النار مأوى الكافرين،فإن الله خلقها لمن عصاه وحذر عباده منها ، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [الليل:١٤-١٦].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦] .

وحذر منها نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنذر، فقد روى الحاكم عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب يقول: « **أنذرتكم النار أنذرتكم النار**» حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه.

وروى البخاري ومسلم عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّاَ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ** » .

أي اجعلوا بينكم وبين النار وقاية ، ولو أن تتصدقوا بنصف تمرة بإخلاص يقيكم الله بها من النار ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة ، فلا يستحقر العبد العمل القليل مع التقوى والإخلاص ، يقيه الله به من النار.

وروى البخاري ومسلم عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- النَّارَ فَأَعْرَضَ وَأَشَاحَ ثُمَّ قَالَ: «**اتَّقُوا النَّارَ**» ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**» ومعنى:أَشاحَ : أي حذر منها كأنه ينظر إليها.

فيا أيها الناس:

قد رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جهنم رأي العين ورأى فيها بعض المعذبين من أصحاب المعاصي ، فحذر أمته منها شفقة عليهم ، ولكن أكثر الناس في غفلة عن هذا ، وأكثرهم لا يعلمون.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَلَغَ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ فَقَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**» ، قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، قَالَ: غَطَّوْا رُءُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ. أي بكاء زفير وشهيق.

ورآها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي صلاة الكسوف فقال: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ الله وَإِنَّهُمَا لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ - وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لِمَوْتِ بَشَرٍ - فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلاَّ قَدْ رَأَيْتُهُ فِى صَلاَتِى هَذِهِ لَقَدْ جِىءَ بِالنَّارِ وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِى تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِى مِنْ لَفْحِهَا وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِى النَّارِ كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِى. وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهِرَّةِ الَّتِى رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا ثُمَّ جِىءَ بِالْجَنَّةِ وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِى تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِى مَقَامِى وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِى

وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ ثُمَّ بَدَا لِى أَنْ لاَ أَفْعَلَ فَمَا مِنْ شَىْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلاَّ قَدْ رَأَيْتُهُ فِى صَلاَتِى هَذِهِ ». رواه مسلم عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ولقد كان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرؤوف الرحيم حريصًا على ألا يدخلها أحد ولكن يأبى كثير من الناس إلا دخلوها.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي» وفي رواية: «وانتم تقحمون فيها».

وهذا المثل ضربه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحاب الشهوات الذين يتورطون في المعاصي والمحرمات ويظنون أنها لا تسوقهم إلى النار كما تظن الفراش أن النار لا تحرقها لأن من شأنها أنها تتبع الضوء، فترى ضوء النار فتتبعه حتى تقع فيها، فهكذا الشهوات يتبعها أصحابها حتى تؤدي بهم إلى النار والعياذ بالله.

ففي الحديث التحذير من اتباع الشهوات لأنها تؤدي إلى النار ولأن النار محفوفة بالشهوات ومحجوبة بها إذ أن الحاجز بين العبد وبين النار هو الشهوات فمن اقتحم هذا الحاجز دخل النار وبالمقابل فإن بين العبد وبين الجنة حاجزا وهو المكاره فمن اقتحم هذا الحاجز دخل الجنة.

مصداق ذلك ما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة وأنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ**» الحديث وفي رواية لمسلم « **حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ** ».

والشهوات المقصود بها هي الشهوات المحرمة التي منع الشرع من تعاطيها

أو التي قد تؤدي إلى ترك الواجبات أو الوقوع في المحرمات أما الشهوات المباحة من المآكل والمشارب والمناكح فلا تدخل في الحديث .

فقد روى أبو دواد والنسائي والترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «لمّا خَلَقَ الله عَزَّوَجَلَّ الجنّة قال لجبريل: اذهَبْ فانْظُرْ إليها، فذَهَبَ فنَظَرَ إليها، ثم جاء، فقال: أيْ رَبِّ، وعِزَّتكَ لا يَسمَع بها أحَدٌ إلا دَخَلَها، ثم حَفَّها بالمَكارِه، ثم قال: يا جبريلُ، اذهَبْ فانظُرْ إليها، فذهبَ فنظر إليها، ثم جاء فقال: أيْ ربِّ، وعزَتِكَ لقد خَشيتُ أن لا يدخُلَها أحدٌ» قال: «فلما خَلَقَ الله النار، قال: يا جبريلُ، اذهَبْ فانْظُرْ إليها، فذهب فَنظَرَ إليها، ثم جاء فقال: أيْ ربَّ، وعِزَّتك لا يسمعُ بها أحد فيدخُلُها، فحَفَّها بالشَهوات، ثم قال: يا جبريلُ اذْهَبْ فانظُرْ إليها، فذهبَ فنَظَر إليها، ثم جاء فقال: أى ربَّ، وعِزَّتك لقد خَشيتُ أنْ لا يبقى أحدٌ إلا دَخَلها».

فانظر يا عبد الله كيف يخاف جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ألا ينجو من النار أحد لأنها قد أحيطت وحفت بالشهوات وذلك لميل كثير من الناس إلى الشهوات إلا من عصمهم الله وقليل ما هم.

ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي عذابًا مضاعفًا.اهـ

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال وهب: هو نهر في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه.

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: هو واد في جهنم. اهـ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ ۞ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ ﴾: آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله. اهـ

أيها المسلمون :

فإنه من شدة النار وفضاعة أمرها ما ضحك ميكائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ منذ أن خلقت، فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « **مَا لِي لَمْ أَرَ مِيكَائِيلَ ضَاحِكًا قَطُّ؟ قَالَ: مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ** » .

هذا وهو ملك من الملائكة الكرام الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهو في مأمن منها فكيف يأمن منها البشر؟ .

ولهذا روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلاَ مِثْلَ الجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا**».

يتعجب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حال النار الموصوفة بشدة الأهوال المرعبة وحال الهارب منها من نومه وشدة غفلته والاسترسال في سكرته، فإن شأن الهارب أن يهرول من المعاصي إلى الطاعات وأن يبيت لله ساجدًا وقائمًا يخاف الآخرة ويرجو رحمة ربه، فإن لجهنم صوتا شديدا تنخلع منه القلوب وتنزعج منه الأفئدة تكاد تتقطع من شدة غيظها على الكافرين.

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ **إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨** ﴾ [الملك : ٧ – ٨] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: شهيقها يعني الصياح وهي تفور .

قال الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: تغلي بهم كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير.

﴿ **تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ** ﴾ قال: يكاد ينفصل بعضها عن بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم. اهـ

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الفرقان:١٢-١٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عبد الله بن عمير: إن لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا ملك مرسل إلا خر، ترتعد فرائصه حتى إن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يجثو على ركبتيه ويقول: رب لا أسألك اليوم إلا نفسي.

وقال أُبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ولو كان لك مثل عمل سبعين نبيًا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو. رواه الطبراني والحاكم.

فيا عبد الله:

إن الفوز الحقيقي هو النجاة من النار والفوز بالجنة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

فإن أهلها إذا رأوها وعرضوا عليها يندمون ويتحسرون، ويتمنون الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنعام:٢٧].

* وأما عن حر جنهم: فإنه شديد، كيف لا؟!، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه: ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦].

وقد كان عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «أكثروا ذكر النار؛ فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها حديد».

وليس نار الدنيا إلا جزءًا واحدًا من سبعين جزءًا من نار جهنم.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**» قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا**» .

ولو خرج رجل من أهل النار فتنفس لأحرق نَفَسُه عشرات الآلاف من الناس أو أكثر.

فقد روى البزار عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون ، و فيه رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه؛ لاحترق المسجد و من فيه** » .

فهذا نفس رجل من أهل النار فكيف بأنفاس النار نفسها وحرها وسمومها؟ والعياذ بالله.

* ومن شدة حرها أنه يصل شيء منه إلى الدنيا، فإن أهل الدنيا يجدونه في دنياهم حين تتنفس جهنم ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ** » .

* وأما لون جهنم فهي سوداء مظلمة فقد روى البيهقي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تحسبون أن نار جهنم مثل ناركم هذه؟ ، هي أشد سواد من القار**». أي الزفت الأسود.

* وأما قعرها فهو بعيد فقد روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ

رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا**» ومعنى :وَجْبَةً : أي رجفة.

وروى البزار وأبو يعلى وابن حبان عَنْ أَبِي مُوسَى ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لَوْ أَنَّ حَجَرًا يُقْذَفُ بِهِ فِي جَهَنَّمَ هَوَى سَبْعِينَ خَرِيفًا قبل أن يبلغ قعرها**» .

* وأما صفة أهل النار، فإنهم يضخمون فيها ليذوقوا العذاب حتى إن ضرس الكافر في النار كالجبل وما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام.

فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **ضِرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ** - يعني في النار- ، **وَفَخِذُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ كَمَا بَيْنَ قُدَيْدٍ ، وَمَكَّةَ، وَكَثَافَةُ جِلْدِهِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ** » وهو أحد الملوك ضخم الذراعين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ** ﴾ [النساء:٥٦] .

قال ابن كثير والبغوي رَحِمَهُمَا اللَّهُ : ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ** ﴾احترقت ﴿ **جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ** ﴾ غير الجلود المحترقة، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يبدلون جلودًا بيضاء كأمثال القراطيس»اهـ.

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ للرَّاكِبِ المُسْرِعِ**» .

اللهم إنا نعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول أو عمل.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين،ولا عدوان إلا على الظالمين،وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم عن أهل النار، كيف سيصبرون عليها: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥ ﴾[البقرة:١٧٥].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأي شيء صبّرهم عَلَى النَّارِ حَتَّى تَرَكُوا الْحَقَّ واتّبعوا الباطل؟ قال الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ : وَاللهِ مَا لَهُمْ عَلَيْهَا مِنْ صَبْرٍ، وَلَكِنْ مَا أَجْرَأَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُهُمْ إلى النارَ؟، وقال الْكِسَائِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، أَيْ: مَا أَدْوَمَهُمْ عليه. اهـ

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ٢٤ ﴾[فُصِّلَت:٢٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ١٥ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٦ ﴾[الطور:١٤-١٦].

* وأما طعام أهل النار فهو الضريع والغساق ، والزقوم والغسلين،

والصديد وهو ما يخرج من أجساد أهل النار بسبب العذاب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الغاشية:٦-٧].

قال المفسر الطبري وابن كثير رَحِمَهُمَا اللَّهُ : الضريع هو الشبرق إذا يبس، وهو سمُ ، وهي شجرة شوك من شر الطعام وأخبثه. اهـ

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [النبأ:٢٤].

قال ابن كثير عن الربيع بن أنس رَحِمَهُمَا اللَّهُ : هو ما اجتمع من صديد أهل النار ، وعرقهم ودموعهم وجروحهم ، فهو بارد لا يستطاع من برده ، ولا يواجه من نتنه. اهـ

وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرق النار. اهـ

ومن طعام أهل النار شجرة الزقوم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾[الدخان:٤٣-٤٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الصافات:٦٣-٦٦].

فهذه الشجرة نبتت في النار ، وغذيت بالنار ، ومنها خلقت ، وشبهها الله برؤوس الشياطين لقبحها. ذكره الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ .

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يُكره أهلُ النار على تناولها يتزقمونها .

وذكر عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الدنيا لأفسدت على الناس معائشهم. اهـ

ومن طعام أهل النار الغسلين ، كما أخبر ربنا في كتابه الكريم: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحاقة:٣٥-٣٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: هو الدم والماء يسيل من لحومهم . وقال: صديد أهل النار. اهـ

وقال الطبري والبغوي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ : هو ما يخرج من الجروح والقروح. اهـ

فإن قيل:كيف يستسيغون أكل هذا الطعام على خبثه ونتنه وحرارته؟، قيل يتجرعونه تجرعًا ويتغصصونه، ولا يكادون يصيغونه وعليهم مقامع من حديد.

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾ [المزَّمل:١٣] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ينشب بالحلق فلا يدخل ولا يخرج. اهـ

وقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحج:١٩-٢١] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يذيب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء، وتذوب جلودهم. اهـ

والصهر هو الإذابة، فهذا هو طعام أهل النار.

* وأما شرابهم فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩]، والمُهل هو الرصاص المذاب.

فإذا تناولوه قطَّع أمعاءهم من شدة حرارته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[محمد:١٥].

وروى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: **«إِنَّ الحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُؤوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الحَمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ، حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ»**.

* وأما لباس أهل النار فهي ثياب قطعت من نار، ولهم فرش ولحاف من نار، تغشاهم النار من جميع الجوانب ،ويسحبون فيها على وجوههم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾[الحج:١٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾[الأعراف:٤١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزُّمر:١٦].

وروى الترمذي والنسائي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: **«يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى**

بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الخَبَالِ».

وفي رواية: «**وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ:**«**عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ**» **أَوْ** «**عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ**».

وفي رواية: «قيل يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال: قال نهر يجري من صديد أهل النار».

هذا وإن النار دركات بعضها تحت بعض، وأهلها يعذبون بحسب أعمالهم فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم إلى ركبتيه، ومنهم من يكون في الدرك الأسفل من النار كالمنافقين.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ**» .

وأهون أهل النار عذابًا رجل يوضع تحت أخمص قدميه جمرتان، يغلي منهما دماغه ، يرى أنه أشد الناس عذابًا، وإنه لأهونهم عذابًا، وهذا من شدة حرها، وأليم عذابها .

فقد روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ، توضع عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ وَالقُمْقُمُ» أي كما يغلي القدر، والقمقم إناء ضيق الرأس.

وفي رواية لمسلم: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِ الْمِرْجَلُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا**» .

فهذا أدناهم عذابًا فكيف بأعلاهم والعياذ بالله.

هذا بعض ما تيسر ذكره من وصف جهنم وما بقي أكثر وأكثر حتى إن أهل النار ليتمنون الموت ولا موت فيها ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧) ﴾[فاطر:٣٦-٣٧] .

وقَالَ تَعَالَى عن أهل النار: ﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) ﴾[الحاقة:٢٧-٣٢] .

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ثم في سلسلة: «من سلاسل الجحيم في غاية الحرارة فانضموه فيها بأن تدخل من دبره وتخرج من فمه ويعلق فيها». اهـ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :« .. ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى وقال كعب كل حلقة فيها قدر حديد الدنيا. اهـ

ثم ينادي أهل النار مالكا عَلَيْهِ السَّلَامُ ليشفع عند ربه عَزَّ وَجَلَّ أن يميتهم فلا يجيبهم لما سألوه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) ﴾[الزُّخرُف:٧٧] .

فييأس القوم فيلجأون إلى البكاء والنحيب والعويل بأصوات تشبه أصوات الحمير، أولُها شهيق وآخرها زفير نسأل الله العافية.

فقد روى الطبراني موقوفًا عن عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:« إن أهل النار ليدعون مالكًا فلا يجيبهم أربعين عامًا ثم يقول: ﴿ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٧]، فلا

يجيبهم مثل الدنيا ثم يقول: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٨]، ثم يأيس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير أولها شهيق وآخرها زفير» .

اللهم إنا نعوذ بك من النار ، وما يقرب إليها من قول أو عمل، ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٢] .

اللهم حرم أجسادنا على النار ، اللهم وفقنا لكل عمل يقربنا من الجنة ، ويباعدنا من النار يا رحيم يا غفار ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

(١) ملاحظة:هناك خطبة أخرى لعيد الفطر المبارك في كتابي الآخر (خطب المناسبات) بعنوان: «منكرات الأعياد» .

فنحمد الله الذي بنعمته تم الصالحات،الحمد لله الذي أكمل لنا عدة رمضان وأعاننا على صيامه وقيامه وتلاوة كتابه،فنسأل الله أن يتقبل منا صلاتنا وصيامنا وقيامنا وتلاوتنا للقرآن الكريم.

ونحن في هذا اليوم العظيم نهنئ كل مسلم بحلول هذه الشعيرة العظيمة وهذا العيد العظيم الذي جعله الله عقب فريضة عظيمة وهي فريضة الصيام.

فهنيئا لمن غفر ذنبه في هذا الشهر المبارك، وهنيئًا لمن عُتقت رقبته من النار، وبعدا وخسارا لمن لم يغفر ذنبه ولم تعتق رقبته ، بعدا وخسارا لمن فرط في صيام هذا الشهر وقيامه، وبعدا وخسارا لمن هجر القرآن فيه وفي غيره.

فقد روى ابن حبان عن مَالِكِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمِنْبَرَ فَلَمَّا رَقِيَ عَتَبَةً قَالَ:(آمِينَ) ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةً أُخْرَى فقَالَ: (آمِينَ) ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةً ثَالِثَةً فقَالَ:(آمِينَ) ثُمَّ قَالَ: « **أَتَانِي جِبْرِيلُ فقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللهُ قُلْتُ: آمِينَ قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَدَخَلَ النَّارَ فأَبْعَدَهُ اللهُ قُلْتُ: آمِينَ فقَالَ: وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ الله قل: آمين فقلت: آمين**» .

فيا أيها الناس:

يقول تعالى في كتابه الكريم:﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[يونس:٥٨] .

وإن الفرح الحقيقي في هذا اليوم لهو للصائمين وحُقَّ لهم أن يفرحوا وأما من ضيع وفرط في الصيام فأي فرحة يرجوها؟.

وروى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **قَالَ اللهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّة .. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ**».

وقد فسر أهل العلم الفرحة في هذا الحديث بأنها عند فطرالصائم وقت غروب الشمس، وعند فطره في أول يوم من شوال وهو يوم العيد ، فيفرح الصائم لأن الله أكمل له العبادة وأعانه عليها ويأمل من الله أن يكتب له الأجر والمثوبة يوم يلقاه فيكون أشد فرحا عند لقاء ربه.

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس:٥٨] .

فلا بأس في مثل هذا اليوم أن يفرح المسلمون في ضوء الشرع وأن يتوسعوا في المباحات بلا إسراف ولا تبذير، وألا يكون فرح البطرين فرحًا منوطًا بالمعاصي والمخالفات كفرح قارون إذ كان من البطرين فخسف الله به وبداره الأرض ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [القصص:٧٦] .

فإن بعض الناس يظن أنه لا يتم الفرح إلا بسماع الأغاني والاختلاط بالنساء الأجنبيات ومصافحتهن والإسراف في المأكل والمشرب والملبس وترى بعضهم يترك الصلوات أو يتهاون في الجماعات في أيام الأعياد وهذا خطأ بل هو فرح مذموم وصاحبه مأثوم وفرح بغير حق كما قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [غافر:٧٥] .

فإن الفرح الحقيقي يكون بطاعة الله والابتعاد عما حرم الله ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ

﴿وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨﴾[يونس:٥٨] .

فليفرحوا بتلاوة القرآن والذكر والتكبير وزيارة الأرحام وغير ذلك ولا بأس من اللعب والتمارين والزيارات والاتصالات والمراسلات والتهاني وتبادل العبارات والبشاشة في وجوه الآخرين في مثل هذا اليوم.

فقد روى أبو داود عن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قَدِمَ رسولُ الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – المدينةَ ولهم يَوْمَانِ يلعبون فيهما، فقال: «ما هذان اليومَان؟ « قالوا: كنا نلعبُ فيهما في الجاهلية، فقال رسولُ الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «إنَّ الله قَدْ أبدَلَكُم بهما خَيرًا مِنهما: يَومُ الأضحى، ويَومُ الفِطرِ»

وروى الإمام البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «**رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَسْتُرُنِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الحَبَشَةِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي المَسْجِدِ** » الحديث.

فهذا كله من الفرح المباح ومن أحسن أنواع الفرح أن يفرح العبد بطاعة الله وبشرع الله وأن يفرح بذكر الله وإقام الصلاة وأن يفرح بنصرة دين الله ، ويفرح بهذا اليوم لأنه شعيرة من شعائر الدين وعقب فريضة الصيام، ولا يجوز الفرح بالأعياد المحدثة والأعياد الغربية والاحتفال بها وإنما يفرح بالأعياد الشرعية لأنها من الدين.

فافرح بالحسنات ولا تفرح بالسيئات ، فقد روى الترمذي عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ**».

وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفرح إذا حصل له أمر يسره فيما يتعلق بدين الله فيسجد لله شكرا فقد روى الإمام الدارقطني عن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:« كان

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حصل له أمر يسره سجد لله شكرًا ».

وكان صحابته الكرام رضوان الله عليهم يبكي أحدهم من الفرح إذا حصل له أمر يسره في دينه فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأُبَيٍّ بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: « **إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ** ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [البينة: ١] ، قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَبَكَى.

وبكى أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فرحا حينما هدى الله أُمه إلى الإسلام، وكانت مشركة، والقصة في صحيح مسلم.

وسجد كعب بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ شكرًا لله فرحًا بتوبة الله عليه وعلى صاحبيه وقد ذكرهم الله في القرآن الكريم في آيات تتلى إلى قيام الساعة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨ ﴾[التوبة:١١٨] .

وقال بعض السلف: ثنتان لا أدري بأيتها أفرح،أأفرح أن هداني الله للإسلام أم أن هداني إلى السُّنَّة. أو كما قال رَحِمَهُٱللَّهُ.

ولما قدم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى المدينة فرح الأنصار فرحا شديدا بقدومه لأنهم يعلمون أن الله سينقذهم به من الكفر إلى الإسلام ويخرجهم به من الظلمات إلى النور.

فهكذا ينبغي على المسلمين أن يفرحوا بكبار الإسلام، وعلماء الدين، وطلاب العلم والدعاة إلى الله، لأنهم ينزلون على الناس كالغيث .

لكن صار حال كثير من المسلمين يفرحون بقدوم أصحاب المال والوجاهات

والمناصب ولا يبالون برجال الدين وحملة القرآن بل صار بعضهم يكره هؤلاء بل ويحاربهم ويحذر منهم وهذا من الجهل والضلال والعياذ بالله.

فصارت عامة مؤاخاة الناس ومعاملتهم من أجل الدنيا إلا من رحم الله، فلا يُفرح بالدنيا وأهل الدنيا ويُهمل جانب الدين، فإن الدنيا فانية وما عليها، وإن المرء مع من أحب يوم القيامة فقد جاء في الصحيحين عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»، وفي رواية قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فما فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ.

ولما أرسلت ملكة سبأ هدية لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ردها عليها وتوعدهم بإرسال جيوش إليهم لا قِبل لهم بها كما أخبر الله عنهم في كتابه الكريم ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل:٣٥-٣٧].

فلا يفرح العبد بالدنيا إلا بالقدر المباح الذي لا يلهيه عما أوجب الله، ولا يطغيه عن دين الله، فقد تكون هذه الدنيا استدراجًا للعبد وإمهالا له، وسببًا لهلاكه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام:٤٤] أي: آيسون مفلسون.

قال العلامة المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: آيسون من كل خير، وهذا أشد ما يكون من العذاب، أن يؤخذوا على غرة، وغفلة وطمأنينة، ليكون أشد لعقوبتهم، وأعظم لمصيبتهم. اهـ

ومن الناس من يفرح بالباطل وأهل الباطل ويفرح بالبدع وأهل البدع ويفرح بما عنده من علم يخالف العلم الشرعي ويصادم النصوص من القرآن والسُّنَّة فلا تفرح بالباطل وأهله ، فإياك يا عبد الله أن تكون من هذا الصنف ، أو تكون مناصرًا لهذا الصنف من الناس، فإن الله تعالى يقول في كتابه الكريم ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر:٨٣-٨٥] .

ولا تفرح بما ليس عندك وتتشبع بما لم تعطَ فإن هذه الصفة من صفات المشركين أهل الكتاب قَالَ تَعَالَىٰ عنهم : ﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٨].

ولا تفرح بالأحزاب التي فرقت المسلمين إلى فرق وأحزاب متناحرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المؤمنون:٥٣-٥٤].

فالفرح يا عباد الله له شروط وضوابط وله ميزان يوزن به،وهو ميزان الشرع.

فافرحوا بما أباح الله، وشاركوا الفقراء والمساكين في فرحتهم بالعطية والصدقة، واغنوهم عن السؤال في مثل هذا اليوم، ولهذا كان من الحكم في

شرعية زكاة الفطر للفقراء والمساكين ليستغنوا بها عن السؤال وليشاركوا الأغنياء فرحتهم وليتوسعوا بها فيما أباح الله .

فقد روى أبو داود وابن ماجهْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**فَرَضَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنْ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنْ الصَّدَقَاتِ**» .

الشاهد من الحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ**» .

ويؤخذ من هذا الحديث وجوب زكاة الفطر على كل مسلم صغيرا كان أو كبيرًا ذكرا كان أو أنثى ، ومن فرط فيها فهو آثم لأنها حق المساكين فقد روى البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: « فَرَضَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَدَقَةَ الفِطْرِ عَلَى الذَّكَرِ، وَالأُنْثَى، وَالحُرِّ، وَالمَمْلُوكِ والصغير والكبير من المسلمين صاعا من تمر أو صاعًا من شعير، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة».

ويؤخذ منه وجوب أداؤها قبل صلاة العيد ، ومن أخرها إلى ما بعد الصلاة فلا تجزئ زكاة للفطر وإنما تصير صدقة من الصدقات ، ومن نسيها أو أخرها جهلا فقد أفتى بعض العلماء بجواز إخراجها بعد الصلاة لهذا العذر.

ولايجزئ إخراجها نقودا لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بإخراجها طعاما كما في الحديثين المتقدمين ، فمن أخرجها نقودا فقد خالف السُّنَّة وخالف السلف الصالح وأحدث في دين الله، والله تعالى لا يقبل عملًا يخالف سُنَّة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما في الصحيحين عنْ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :« **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ؛ فَهُوَ رَدٌّ**».

وفي رواية لمسلم أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- **قَالَ** : « **مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ** ».

فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم، أن يتم لنا ولسائر المسلمين الفرحة والسرور، وأن يثبتنا على طاعته، ويجنبنا معصيته ، وأن يدفع عنا وعن سائر المسلمين كل سوء ومكروه ، كما نسأله تعالى أن يحفظنا بالإسلام قائمين ، وبالإسلام قاعدين، وبالإسلام راقدين، ولا يشمت بنا الأعداء والحاقدين، إنه جواد كريم ، ونسأله تعالى أن يتقبل منا صالح الأعمال، والحمد لله رب العالمين



٣٥

خطبة عيد الأضحى المبارك (١)
بعنوان: «نعمة الإسلام»

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله:

ففي هذا اليوم العظيم الذي جعله الله شعيرة عظيمة من شعائر الدين يفرح

(١) ملاحظة: هناك خطبة أخرى لعيد الأضحى المبارك في كتابي الآخر (خطب المناسبات) بعنوان: «فضل العيد وآدابه»

به المسلمون ويهنئ بعضهم بعضًا ويتقربون إلى الله بأنواع القربات من الذكر والنسك والهدايا والأضاحي وغير ذلك

نحب أن نذكر أنفسنا بأعظم نعمة أنعمها الله علينا لنشكره عليها ونحافظ عليها بالعمل بها ألا وهي نعمة الإسلام ، فإنها أعظم نعمة على الإطلاق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾[المائدة:٣] ، فسماه الله نعمة وأخبر أنه أكملها وأتمها لنا ونزلت هذه الآية في يوم عيد، وهو يوم عرفة ويوم الجمعة .

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾[المائدة:٣] ، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ» .

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: هَذِهِ أَكْبَرُ نِعَمِ الله، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ حَيْثُ أَكْمَلَ تَعَالَى لَهُمْ دِينَهُمْ، فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى دِينٍ غَيْرِهِ، وَلَا إِلَى نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ، صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا جَعَلَهُ اللهُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَبَعَثَهُ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَلَا حَلَالَ إِلَّا مَا أَحَلَّهُ، وَلَا حَرَامَ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ، وَلَا دِينَ إِلَّا مَا شَرَعَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْبَرَ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا خُلْف، كَمَا قَالَ تَعَالَى:﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ ﴾[الْأَنْعَام: ١١٥] أَيْ: صِدْقًا فِي الْأَخْبَارِ، وَعَدْلًا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَلَمَّا أَكْمَلَ الدِّينَ لَهُمْ تَمَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ أَيْ: فَارْضَوْهُ أَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّهُ الدِّينُ الَّذِي رَضِيَهُ اللهُ وَأَحَبَّهُ

وَبَعَثَ بِهِ أَفْضَلَ رُسُلِهِ الْكِرَامِ، وَأَنْزَلَ بِهِ أَشْرَفَ كُتُبِهِ. اهـ

فهذا هوالدين القويم وهو الصراط المستقيم ولهذا فإن المسلم يدعو ربه في كل ركعة أن يهديه إليه ويثبته عليه.

قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[الفاتحة:٦-٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صراط الذين أنعمت عليهم هُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۞ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۞ ﴾ [النِّسَاءِ: ٦٩ - ٧٠] .

وَقَالَ الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ بِطَاعَتِكَ وَعِبَادَتِكَ، مِنْ مَلَائِكَتِكَ، وَأَنْبِيَائِكَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ. اهـ

والصراط صراطان صراط الدنيا وهو الإسلام وصراط في الآخرة وهو الصراط المنصوب على متن جهنم الذي يمر عليه الناس، فناجٍ مسلَّم ومخدوشٌ مرسل ومكردسٌ في نار جهنم والعياذ بالله، فكيف ما كان سيرالعبد في صراط الدنيا الذي هو الإسلام يكون سيره على صراط الآخرة الذي على متن جهنم، فإذا كان العبد مسارعًا في الخيرات بعيدًا عن المنكرات ، ممتثلاً للواجبات ومجتنبًا للمنهيات فإنه يكون من أسرع الناس مرورًا على صراط الآخرة ، ويكون من الناجين بإذن رب العالمين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«وللهداية مرتبة أخرى وهي آخر مراتبها وهي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة ، وهو الصرط الموصل إليها فمن هدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم ، الذي أرسل به رسله ، وأنزل به كتبه هدي هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ، ودار ثوابه وعلى قدر ثبوت قدم العبد

على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار ، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم ، وعلى قدر سيره على هذه الصراط يكون سيره على ذاك الصراط ، فمنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالطرف ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كشد الركاب ، ومنهم من يسعى سعيًا، ومنهم من يمشي مشيًا ، ومنهم من يحبوا حبوًا ، ومنهم المخدوش المسلم ، ومنهم المكردس في النار ، فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا حذو القذة بالقذة ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ هل تجزون إلا ما كنتم تعملون .

ولينظر الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم فإنها الكلاليب التي بجنبتي ذاك الصراط تخطفه وتعوقه عن المرور عليه فإن كثرت هنا وقويت فكذلك هي هناك وما ربك بظلام للعبيد»اهـ

فمن وفقه الله لهذه النعمة فقد حاز الخير كله وظفر بالمطلوب ونجى من المرهوب وفاز بسعادة الدارين.

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[الزُّمَر:٢٢] .

قال المفسر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ أي: على بصيرة ويقين بتنوير الحق في قلبه. اهـ

وقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[الأنعام:١٢٥] .

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: يشرح صدره للإسلام أي يوسع صدره لقبول الحق. اهـ

وروى الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**».

فهذا هو عنوان الفلاح وهو النور المبين والسبيل القويم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ** ﴿١٥﴾ ﴾ [المائدة:١٥] .

وهو الدين الذي لا يقبل الله دينًا سواه قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران:٨٥] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران:٨٣] .

وجاء عند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**» .

فإننا نرى خلقًا كثيرًا قد حرموا هذه النعمة، بل ملايين البشر لم يعتنقوا هذا الدين فصاروا يتخبطون في ظلمات الكفر فأذلهم الله، فمنهم من يعبد الفروج ، ومنهم من يعبد الفئران، ومنهم من يعبد النار، ومنهم من يعبد الأقمار، ومنهم من يعبد الأبقار، وأنت أيها المسلم أكرمك الله بهذا الدين تعبد إلهك الحق الذي خلقك ورزقك، وصورك وأحسن صورتك، وستلاقيه يوم القيامة، فيثيبك بعملك ويرفع درجتك بدينك ، وأنت خير من ملء الأرض

من هؤلاء الكفار وإن كنت فقيرًا، فاستحضر هذه النعمة العظيمة، ولا تنبهر بما أعطاهم الله من حطام الدنيا الزائل، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيعذبهم بذلك، وإن الله وصفهم بأنهم كالأنعام بل أضل من الأنعام لأنها تؤدي وظيفتها التي خلقت من أجلها، وهؤلاء لم يؤدوا الوظيفة التي من أجلها خلقوا، وإن الحيوانات تسبح لله وتمجده وتقدسه ، وهؤلاء لم ينزهوا الله ولم يمجدوه ولأن الحيوانات تدرك ما يضرها فتجتنبه وهؤلاء لم يدركوا ما يضرهم ولم يجتنبوه.

قال الله في كتابه الكريم:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف:١٧٩] .

قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَمَثَلِ الْأَنْعَام إِذَا دَعَاهَا رَاعِيهَا لَا تَسْمَعُ إِلَّا صَوْتَهُ، وَلَا تَفْقَهُ مَا يَقُولُ؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي هَؤُلَاءِ: ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ أَيْ: مِنَ الدَّوَابِّ؛ لِأَنَّ الدَّوَابَّ قَدْ تَسْتَجِيبُ مَعَ ذَلِكَ لِرَاعِيهَا إِذَا أَبَسَّ بِهَا، وَإِنْ لَمْ تَفْقَهْ كَلَامَهُ، بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ؛ وَلِأَنَّ الدَّوَابَّ تَفْقَهُ مَا خُلِقَتْ لَهُ إِمَّا بِطَبْعِهَا وَإِمَّا بِتَسْخِيرِهَا، بِخِلَافِ الْكَافِرِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا خُلِقَ لِيَعْبُدَ اللهَ وَيُوَحِّدَهُ، فَكَفَرَ بِاللهِ وَأَشْرَكَ بِهِ. اهـ

وقال العلامة البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: كَالْأَنْعَامِ فِي أَنَّ هِمَّتَهُمْ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالتَّمَتُّعِ بِالشَّهَوَاتِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ لِأَنَّ الْأَنْعَامَ تُمَيِّزُ بَيْنَ الْمَضَارِّ وَالْمَنَافِعِ، فَلَا تُقْدِمُ على المضار و هؤلاء يُقْدِمُونَ عَلَى النَّارِ مُعَانَدَةً مَعَ الْعِلْمِ بِالْهَلَاكِ. اهـ

فمن جانب هذا الدين فقد خسر الدارين: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾[الزُّمَر:١٥] .

فديننا الإسلامي دين السماحة ودين اليسر والرحمة ودين الخيرية فما من خير

إلا ودل عليه، وما من شر إلا وحذر منه ، فأحل الله الطيبات وحرم الخبائث، فمن تمسك به هدي ونجى ومن تخلف عنه ضل وغوى، وخسر وهوى ، فيجب على كل مسلم أن يحافظ على هذه النعمة العظيمة وذلك بالعمل بها وشكر الله عليها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٧] .

ومن الحفاظ على نعمة الإسلام العمل به وإقامة شرائعه والوقوف عند حدوده والإتيان بأركانه من توحيد وصلاة وزكاة وصيام وحج والأخذ به من جميع جوانبه والثبات عليه حتى الممات كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

فكل شيء دعا إليه الإسلام فهو حق وكل شيء حذر منه فهو باطل، وكل شيء أحدث فيه من المحدثات فهو بدعة وضلالة ، وإن جاء بها بعض من ينتسب إلى الإسلام فهي مردودة على صاحبها، لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**» رواه الترمذي والطبراني والنسائي عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وينبغي على المسلم أن يسأل الله الثبات على هذا الدين، فقد كان من دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا مقلب القلوب ثبت قلب على دينك**» . رواه الترمذي عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وكان من دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **اللهُمَّ احْفَظْنِي بِالْإِسْلَام قَاعِدًا وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَائِمًا وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ رَاقِدًا وَلَا تُشَمِتْ بِي عَدُوًّا ولاحَاسِدًا** » . رواه الحاكم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أيها المسلمون عباد الله:

ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فأحسنوا في ذبح هذه البهيمة وتجنبوا المخالفات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وأخلصوا فيها لله تعالى فإن الله غني عنها ولن يناله من لحومها وإنما شرعها لكم وجعل نفعها عائد عليكم ثم يثيبكم عليها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج : ٣٧] .

ولا تبخلوا على الفقراء والمساكين في هذا اليوم جودوا من أموالكم على من لا مال له ، واجعلوا من هذه الأضاحي لمن لا أضحية له، تروا أجرها وذخرها عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

واشكروا الله عليها بذكره وعبادته ، فلا يجوز لكم أن تستعينوا بها على معصيته، فإن هذا من كفر النعمة، وذلك أن تصرف النعمة فيما يغضب الله أو يستعان بها على معصيته، فليس من شكر النعمة أن يبيح الله لك أن تذبحها فتهريق دمها ، وتزهق روحها ، وتقطع أوصالها ،وتأكل لحمها ، ثم تذهب تعصي الله تعالى ، وتترك الصلاة ، فليس هذا من العدل والإحسان ! ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾.

واجتنبوا المخالفات والمعاصي والمنكرات التي يحدثها بعض الناس في أيام الأعياد ؛ من أغاني واختلاط الرجال بالنساء الأجانب، وتصوير الأرواح ،

فكل هذا مما نهى عنه الإسلام .

وتجنبوا الإسراف والتبذير، ولابأس من التوسع في المباحات في مثل هذا اليوم، بلا إسراف ولا تقتير، ولا بخل ولا تبذير ، وإنما يكون ذلك في حدود الشرع وضوابطه.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه ، اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات ، وحب المساكين، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك، اللهم احفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام راقدين ، ولا تشمت بنا الأعداء والحاسدين ، اللهم ثبتنا على هذا الدين ، وتوفنا مسلمين ، والحمد لله رب العالمين .



فهرس

